أفضل الدين الكرمانى

بدائع الأزمان فى وقائع كرمان

دراسة وترجمة وتعليق

أ . د. ثريا محمد على

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها المساعد

كلية الألسن - قسم اللغات الشرقية الإسلامية

راجع الترجمة

أ . د. بديع محمد جمعة

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها

قسم لغات الأمم الإسلامية

كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

٢٠٠٠



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

تصميم الغلاف : وائل أحمد محمود

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون - فاكس ٣٨٧١٦٩٣

ص . ب ٦٥ خالد بن الوليد بالهرم - رمز بريدى ١٢٥٦٧

Publisher:ĖIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Alharam - A.R.E. Tel : 3871693

P . B 65 Khalid Ben - Alwalid - Alharam P. C 12567

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الترجمة العربية

تذخر المكتبة الفارسية بالعديد من المصادر التاريخية الإسلامية تمثل عصور إسلامية ودول مترامية فى المكان وبعيدة فى الزمان. وتعد المصادر التاريخية الإسلامية الفارسية ثروة من ثروات التاريخ الإسلامى، وهى حلقة فى سلسلة طويلة من الحلقات تربط بين العالم الإسلامى ماضيه وحاضره. ولاشك فى أن العالم الإسلامى المعاصر يحتاج إلى المزيد من الوشائج التى تربط بين حلقاته، واحسب أن الثقافة ومعارفها وعلومها حلقة قوية - إذا ما دعمت- للربط بين شعوب العالم الإسلامى.

ومن أهم أدوار أقسام اللغات الشرقية تقديم المصادر الفارسية مترجمة إلى العربية لدعم المكتبة التاريخية الإسلامية ، والكشف عن مزيد من الدراسات الشرقية التاريخية التى كان يعوق الإطلاع عليها معرفة اللغة ، كذلك تقديم عدد لا بأس به من مؤرخى التاريخ الإسلامى من الفرس الذين اهتموا بتدوين أحداث التاريخ وحضارة الشعوب الإسلامية عبر سنوات طويلة، من هؤلاء المؤرخين المؤرخ أفضل الدين الكرمانى المعاصر للدولة السلجوقية والذى اهتم بتدوين تاريخ السلاجقة فى كرمان منذ عهد قاورد بن جغرى بيك وحتى استيلاء الغز على كرمان وذلك فى كتابه (بدائع الأزمان فى وقائع كرمان).

وترجع أهمية الكتاب إلى أنه يمثل رواية شاهد عيان ومعاصر لأحداث الدولة السلجوقية فى واحدة من أهم إماراتها وهى إمارة كرمان. وإن كانت الكتب التاريخية عن الدولة السلجوقية تتناول تاريخ الدولة برؤية مركزية تتحدث عن الملوك العظام لهذه الدولة فإن كتاب بدائع الأزمان يقدم رؤية محلية لأحداث التاريخ لهذه الدولة مما يضيف إلى تاريخ الدولة السلجوقية فى إيران بعدا محليا يوضح ملامح تاريخ هذه الفترة ويفسره كما يضيف بعدا حضاريا إقليميا .

وقبل الخوض فى موضوعات كتاب (بدائع الأزمان فى وقائع كرمان) لابد من الإشارة إلى موضوعين هامين هما إطارا هذا الكتاب، وهما مؤلف الكتاب أفضل الدين الكرمانى، وإمارة كرمان وأهم مدنها:

المؤرخ أفضل الدين الكرماني:

هو أحمد بن حامد الكرماني ويكنى أبا حامد أو تاج الزمان أفضل الدين، اسمه بالكامل : تاج الزمان أفضل الدين أحمد بن حامد الكوهبناني الكرماني، وأشتهر فى تاريخ السلاجقة بالأفضل الكرماني. عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى فى كرمان وتولى بها عدد من المناصب.

لم يؤرخ الأفضل الكرمانى لحياته تأريخا مباشرا ولكن وردت فى ثنايا مؤلفاته لمحات عن حياته وأعماله ألقت الضوء على بعض جوانب حياته ، ومنها أنه عمل طبيبا وترك كتابا فى الطب أسماه (صلاح الصحة) أو كما ضمه الباحث الإيرانى على محمد عامرى نائينى باسم (رسالة صلاح الصحاح) وألحقه بكتاب الأفضل الكرمانى المعروف بـ (عقد العلى للموقف الأعلى) والكتاب الأخير نشره الباحث فى طهران عام ٢٥٣٦ ش بعد تصحيحه ، وقدم له الدكتور باستانى باريزى أستاذ التاريخ بجامعة طهران.

ورسالة صلاح الصحة للأفضل الكرمانى يصنف اليوم فى علوم الطب الوقائى أو طب المجتمع، وقد أشار أفضل الدين لعمله كطبيب فى ثنايا كتابه عقد العلى للموقف الأعلى حينما تحدث عن مودته مع أبناء طغرلشاه وأشرافه على المستشفيات ، قال:

(.. به حكم آن كه مرا معايشى بسيار فرموده بودند وشروع در مدارس ومارستانات كرده مرا تكليف أعمال نمودند) [١]. كذلك وردت فى ثنايا كتابه عقد العلى إشارة أخرى إلى عمله كطبيب فى يزد ذاكرا رعاية ملوك يزد له ، قال : (.. از آن حضرت در احترام وتوقير من مبالغت من نمودند ومارستان با مبالغ ارتفاع مسلم فرمودند) [٢].

وفى محاولة -من الباحث الإيرانى باستانى باريزى- لتحديد تاريخ ميلاد الأفضل الكرمانى معتمدا فيها على ما ورد عن الأفضل فى ثنايا مؤلفاته ، يرى أن تاريخ مولده هو

١- باستانى باريزى ، مقدمة كتاب عقد العلى، تهران ، ٢٥٣٦ش، ص.٤٠، والترجمة العربية (ووفقا إلى أننى كنت متعدد الأعمال ووسائل الرزق فقد تم تكليفى بالأعمال التى بدأوا فيها من مدارس ومستشفيات). وعن اسمه ولقبه انظر دهخدا ، لغتنامه ، شماره مسلسل ٤٢، تهران، ٥١٣٣٨ . ش ، ص٣١٢ .

٢- مقدمة عقد العلى ، ص.٤٠ . والترجمة العربية (وقد بالغ هؤلاء السادة فى توقيرى واحترامى وأوكلوا إلى المستشفيات ببالغ الكرم) .

هو عام ٥٣٠ هجرية / ١١٣٥م، وقد وصل إلى هذا التاريخ اعتمادا على أن الأفضل الكرمانى كان نديما للملك أرسلان فى عام ٥٦٥ هجرية وهى مكانة لايصل إليها الإنسان -كما يرى باستانى- وعمره يقل عن أربعين سنة كما أن الأفضل صنف كتابه (المضاف إلى بدائع الأزمان) عام ٦١٣هجرية، فإذا ما حسبنا الفارق بين التاريخين وجدناه يزيد على أربعين عاما، ومع افتراض أن عمر الأفضل لم يزد على الثمانين أو ما يقرب منها، كان افتراض باستانى باريزى لعام مولده بعام ٥٣٠ / ١١٣٥م [١].

ورغم أن خاتمة كتاب عقد العلى للموقف الأعلى للأفضل الكرمانى تشير إلى أنه انتهى منه فى ربيع الأول سنة ٦٤٩هجرية[٢]، إلا أن باستانى باريزى يرى أن هذا التاريخ هو تاريخ الانتهاء من نسخ الكتاب وليس تأليفه.

كان الأفضل الكرمانى متعدد المواهب فقد كان شاعرا إلى جانب كونه طبيب واشتهر بحسن الخط وقدراته الأدبية وهذا ما أهله لمنادمة أحد حكام كرمان من السلاجقة وهو الملك طغرلشاه (ت٥٦٥ / ١١٦٩) ، ثم بعد وفاته ووقوع الخلاف بين أبنائه الثلاثة بهرامشاه وتورانشاه وأرسلانشاه أختار الأفضل أن يلتحق بخدمة الابن الأكبر أرسلانشاه وصاحبه فى جميع معاركه ومناوشاته. لقد أهلت سمات الأفضل الشخصية وقدراته توليه عدد من المناصب خاصة ديوان الإنشاء للأتابك قطب الدين محمد بزقش كما صرح بنفسه فى ثنايا كتابه بدائع الأزمان فى وقائع كرمان لذلك ليس عجيبا أن نراه شاعرا ومؤرخا وخطاطا وأديبا.

صاحب الأفضل الكرمانى الملك أرسلانشاه بن طغرلشاه فى حله وترحاله وأصبح من خاصة ندماء الملك وذلك منذ عام ٥٧٠ / ١١٧٤م، ثم تولى له بعد ذلك نيابة ديوان الإنشاء. وفى عام ٥٧٧ هجرية حدث قحط شديد فى كرمان فعقد الأفضل الكرمانى نيته على التوجه إلى خراسان ملتحقا ببلاط الملك طغانشاه إلا أنه عرج فى طريقه على بلدته كوبنان (كوهبنان) حتى يعد العدة لهذا السفر الطويل فاستضافه الأمير العالم مجاهد الدين لمدة خمس سنوات. وعن طريق الأمير مجاهد الدين الكوبنانى تعرف الأفضل على الملك دينار وحينما أصيب الأخير بسهم فى وجهه عند فتح قلعة راور أرسل له الأفضل من كوبنان هذه الرباعية:

١- مقدمة عقد العلى للموقف الأعلى، ص٦ ، ٢٢ .

٢- باريزى ، حاشية مقدمة كتاب عقد العلى، ص١٦٦ .

تيرى كه بدو داد عدو باسخ شاه

آمد به نظاره رخ فرخشاه

وآورد كليد قلعه وبيش كشيد

شكرانه بوسه اى كه زد بر رخ شاه [١]

فاستدعاه الملك دينار إلى خدمته وصاحبه إلى (راور) أحد أعيانها وهو قارىء للقرآن جميل الصوت يدعى جمال الدين أبى بكر. وبذلك التحق أفضل الدين بخدمة الملك دينار ثم قدم له قصيدة بالفارسية مطلعها:

پرده نيلى حجاب چشمه خور كرده اند *** سرمه مشكين شب درچشم اختركرده اند[٢]

وحظى أفضل الدين باهتمام خاص من الملك دينار إلا أن انشغال الأخير بتوسيع مملكته وكثرة ترحاله جعلت الأفضل يفكر فى الانتقال إلى يزد خاصة وأن دعوة قد وصلته من بلاط يزد تدعوه إليه وتطلب منه الإشراف على مستشفيات يزد. ورغم كراهة الأفضل الكرمانى للانتقال إلى يزد لمحن سابقة ألمت به فيها؛ إلا أنه وافق على الانتقال إليها وذلك لاستحالة العودة إلى كرمان فى ذلك الوقت - بسبب القحط- ثم لما قدم إليه من احترام بالغ من بلاط يزد حينما دعاه.

وكان انتقال أسرة الأفضل وعائلته إلى يزد أمر غاية فى الصعوبة عانوا فيه من محن مختلفة وويلات متعددة، أما الأفضل فأصيب بالرمد فى يزد وواجه العديد من المشكلات وذلك فى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م الموافق للعام ٥٧٧ الخراجى. وفى شعبان من نفس العام حاول الأفضل الاعتذار إلى ملك يزد علاء الدولة بن الأتابك سام عن الإقامة فى يزد ولكنه رفض وعرض عليه منصب كاتب البلاط الملكى ورئيس ديوان الإنشاء. وكرر الأفضل محاولاته للخروج من يزد بأعذار مختلفة ثم استطاع فى النهاية أن تشفع له إحدى السيدات ذوات

١- مقدمة عقد العلى، ص١٦ . والترجمة العربية: - أن السهم الذى ألقاه نحوك العدو ، فاقترب من وجنة الملك السعيد. - جلب النصر وفتح القلعة، ثم تقدم وطبع قبلة شكر على وجنة الملك.

٢- الترجمة العربية تقول:- غلالة السماء الزرقاء قد حجبت عين الشمس، كما تحجب كحلة الليل المسكية عين البدر (الكوكب الطالع).

السلطان - قد تكون ابنة أحد سلاطين السلاجقة أو مرضعة الأتابك محمد- فأذن له بإجازة لمدة شهر يعود بعدها إلى يزد . ويصف الأفضل الكرمانى معاناته فى يزد فى قصيدة عربية يقول مطلعها:

خليلى أزمعت الترحل عن يزد *** وخلفت قلبى عند من بره عندى

وكم لى بكرمان الكريمة صاحب *** يكاتبنى كتبا تخبر عن وجدى[1]

وفى قصيدة عربية أخرى يصف إصابته بالرمد ومعاناته من أهل يزد ، يقول:

فؤاد حسرة الكمد *** وعين طمها الرمد

وعيش ريحه عصف *** ولكن ماؤه ثمد

وصيف جوه لهب *** ولاخبش ولاجمد

- - - - - - -

لقد ذمت خلائقهم *** وظنوا أنهم حمدوا

أمالى منهم فرج *** أهمى ما له أمد

عرانى منهم وصب *** أجرنى منه يا صمد[2]

وبعد خروجه من يزد توجه إلى كوبنان واختار المكوث فيها وعكف على تأليف كتابه (عقد العلى للموقف الأعلى). ولاندرى تاريخ الانتهاء من هذا الكتاب فالتواريخ الملحقة بنهايته وهى ٦٤٩ هـ فى إحدى النسخ و١٠٧٥هـ فى نسخة أخرى هى على الأرجح تواريخ لنسخ الكتاب وليس تأليفه[3].

وتوالت الأحداث فسقطت كرمان تحت حكم الملك دينار وعاد قوام الدين مسعود بن كيخسرو من سجستان إلى بم فأسند إليه الملك دينار منصب الوزارة فى كرمان. وكان الأفضل الكرمانى ربيبا لقوام الدين مسعود وكثيرا ما مدح الأخير شعر الأفضل فى شبابه وصباه؛ لذا

١- مقدمة عقد العلى، ص١٧ ، ١٩ .

٢- الأفضل الكرمانى، عقد العلى للموقف الأعلى ، تصحيح على محمد عامرى نائينى، تهران، ٢٥٣٦ش، ص١٦٦ .

٣- انظر عقد العلى، ص١٦٦ .

شعر الأفضل أن محنة كرمان قد انتهت بوزارة قوام الدين مسعود فنظم قصيدة عربية طويلة فى مدح وزارة قوام الدين وتهنئته أوردها كاملة فى كتابه عقد العلى؛ ومطلعها:

أحادى عيرها روحى هدية *** إليك أسوقها فقف المطية[١]

ويبدو أن سعادة الأفضل الكرمانى وراحة باله قد انتهت مع نهاية وزارة قوام الدين مسعود إذ لم نجد له آثار غير كتابه (المضاف إلى بدائع الأزمان) والذى ألفه فى عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م وقدمه إلى الوزير ركن الدين محمد بن صلاح الدين المظفر الذى وزر للملك دينار؛ إلا أن الوشاة أوقعوا بين ركن الدين والملك دينار فزج به فى السجن حتى توسط له أحد أمراء خراسان فأطلق سراحه ثم التحق فى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م ببلاط الأتابك سعد بن زنكى وتولى له منصب الوزارة.

وفى عهد عجم شاه بن الملك دينار تسلط ملوك شبانكاره على حكم كرمان وذلك عام ٥٩٨هـ تقريبا وكان الأفضل الكرمانى يشغل منصب رئيس الأوقاف فى ذلك الوقت فصودرت أمواله واتهم بعدة اتهامات عانى منها حتى أخرجه من هذه المحنة ركن الدين محمد بن صلاح الدين. وقد عبر الأفضل الكرمانى عن هذه الفترة فى ختام كتابه عقد العلى بقوله : (كربت غربت ومفارقت وطن باكثرت عيال وتقلب أحوال با من هيچ نگذاشته بود)[٢]. مما يشير إلى معاناة من الفقر فى نهاية حياته.

وتتحدث كتب تاريخ السلاجقة عن علاقة الأفضل بالأتابك سعد بن زنكى ومجالس الشعر والأدب التى عقدها الأخير فى كرمان حينما أغار عليها فى محاولتين جرت الأولى فى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢؛ أما الثانية ففى عام ٦٠٥هـ، كذلك تأليفه كتابه (المضاف إلى بدائع الأزمان) عام ٦١٣هـ، وتؤكد هذه الأخبار على أنه كان ما زال حيا حتى هذا التاريخ . وبين تاريخ منادمة الأفضل الكرمانى للملك أرسلان عام ٥٦٥هـ وتاريخ تأليف كتابه (المضاف إلى بدائع الأمان) عام ٦١٣هـ؛ ومع احتمال أن عمره لم يزد على الثمانين : يقترح باستانى باريزى

١- بالتفصيل انظر الصفحات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

٢- الترجمة العربية : (أن محنة الغربة وفراق الوطن لم تدع معى شيئا بالإضافة إلى كثرة العيال وتقلب الأحوال).

٣- انظر مقدمة عقد العلى، ص٢٢ .

تأن اريخ وفاته لم يتعد عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م تقريبًا لذا فأن حياة الأفضل الكرمانى ومعاصرته لأحداث كرمان التاريخية كانت بين أعوام ٥٣٠هـ وعام ٦١٥هـ على وجه التقريب.

رغم أن كتاب بدائع الأزمان فى وقائع كرمان يقدم الأفضل الكرمانى كمؤرخ لتاريخ السلاجقة فى كرمان؛ إلا أنه أيضا يؤكد على شاعريته الفذة وعلى إتقانه اللغة العربية إلى جانب اللغة الفارسية وإتقانه نظم الشعر باللغتين. وقد اشتملت كتبه التاريخية الأخرى (عقد العلى للموقف الأعلى) وكتاب (المضاف إلى بدائع الأزمان) على أشعار له واستشهادات شعرية فارسية وعربية ، وأمثال وحكم أكدت على اطلاعه على جوانب عديدة من الثقافتين . ومما يؤكد على ثقافته الواسعة توليه منصب رئيس ديوان الإنشاء وقد أشار بنفسه إلى ذلك فى عدة مواضع من الكتاب الذى بين أيدينا . كذلك منادمته للملوك منذ نادم الملك أرسلان فى شبابه وحتى مجالس الشعر التى حضرها مع الأتابك سعد بن زنكى.

وتأكيدا على شاعريته الفذة ما روته كتب التاريخ عن معارضته لبيت من الشعر للشاعر الغزنوى المختارى وهو عثمان بن محمد الغزنوى وكان قد مدح السلطان بهرامشاه ببيت يقول فيه:

تا بياموزند شاهانى كه زر بخشند وسيم *** رسم جان بخشيدن از سلطان دين بهرامشاه

فنظم الأفضل الكرمانى هذين البيتين معارضا البيت السابق:

زد تيغ ملك بر دل دشمن دى نار *** با دولت گفت وتقى با دين آر

گر مى بخشند بادشاهان دينار *** جان مى بخشد خسرو عادل دينار[1]

وفى مجلس من المجالس الشعرية مع الأتابك سعد بن زنكى طلبوا من الأفضل أن ينشد شعرا على البديهة يذكر فيه بعض أصناف الحبوب كالعدس والحمص والأرز؛ فأنشد هذه الرباعية:

١- الترجمة العربية تقول: (حتى يلقن الملوك (كيف) يهبوا الذهب والفضة، أصدر سلطان الدين بهرامشاه مرسوما يهب فيه الروح.

يضرم سيف الملك فى قلب عدو الأمس نارا، تقول أن جلال الدولة وعظمتها تتأتى بالدين.

- وإذا ما وهب الملوك دينارا، وهب الملك العادل دينارالروح (التى بين جنبيه).

تا خال عدس شكل شبيخون آورد

غلطان چو نخودز چشم من خون آورد

سوداى دو چشم ماش گون تو مرا

ازپوست پرنج وار بيرون آورد[١]

مما لاشك فيه أن الأفضل الكرمانى كان شاعرا مجيدا لولا انشغاله بعمله بالطب واهتمامه بالتأريخ ثم توليه ديوان الإنشاء عدة مرات؛ لولا هذه الاهتمامات المختلفة لوجدنا له ديوانا حافلا بالأغراض الشعرية المتنوعة والتى شاهدنا جانبا منها خلال مؤلفاته التاريخية.

منهج أفضل الدين فى التأريخ :

ارتبطت كتابة التاريخ الإسلامى فى بداية أمرها بكتب السيرة ثم بكتب الأنساب والطبقات والحوليات ؛ وطبيعى أن تتعدد الطرق وتتنوع المناهج وفقا لسُنة التطور الذى شهدته الحضارة الإسلامية؛ كذلك ما أخذته هذه الحضارة عن التراث الحضارى الذى سبق وجودها. ويربط البعض من دارسى المناهج بين طرق الكتابة التاريخية التى يغلب عليها الطابع الإسلامى البحت- مثل كتب السيرة والأنساب والطبقات- وبين المدونات السابقة لظهور الإسلام[٢] وهو أمر لا يجرح التجربة المنهجية وعلميتها عند المسلمين؛ ولكن المغالاة فى هذا الأمر لاتعطى المؤرخين المسلمين حقهم، فمن المعروف أن ظهور كتب السيرة ارتبط برغبة المسلمين وحرصهم على تسجيل تاريخ رسولهم الكريم وشرح كفاحه ونضاله من أجل الدعوة الإسلامية وهى مسألة إسلامية بحتة ليس فيها تأثر بالمناهج السابقة على الإسلام. ثم كان وضع التقويم الهجرى فى

١- انظر مقدمة عقد العلى، ص٢٣ ، ٢٤ . والترجمة العربية تقول:

- ما زال خالك الأسود الشبيه بحبة العدس يهجم على،
- متقدما نحو عينى كأنه حبة حمص أدمت عينى،
- وكنت أنت بؤبؤ عينى الشبيه بالعدسة السوداء ،
- فابيضت عينى كأنها مزرعة أرز (أبيض) .

٢- فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح العلى، بيروت ، ١٩٨٣، ص٣٥ . محمد بن صالح العليانى ، منهج كتابة التاريخ الإسلامى ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٩ .

زمن الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٧هـ / ٦٣٨م[١] - بسبب ضرورات إدارية اقتضتها معاملات الدولة المالية بعد توسعها شرقا وغربا- مساعدا على ظهور الكتب الحولية فى التاريخ الإسلامى وظهرت مؤلفات تاريخية تؤرخ للخلافة الإسلامية والدول التى ظهرت فى زمانها وتعاملاتها معها فدون المؤرخين تاريخها بالطريقة الحولية. وكان منهج هذه المؤلفات التاريخية استعراض التاريخ فى مركز الخلافة أو الدولة أو ما أطلق عليه التاريخ العام. إلا أن المشرق الإسلامى شهد منهجا جديدا أو ظاهرة تاريخية أخرى وهى ظهور مؤلفات تاريخية محلية أو إقليمية أو ما أطلق عليه ظهور كتب الأقاليم والمدن.

وترجع إحدى الدراسات[٢] عوامل ظهور هذه الظاهرة إلى الاتصال الحضارى والامتداد التراثى بوقوف المؤرخين المسلمين على النماذج والمؤلفات الخاصة للمدن التى تم فتحها ، أما العامل الثانى فيرجع ظهور هذه الظاهرة المنهجية إلى الأحوال السياسية والحضارية للعالم الإسلامى حيث كانت الخلافة على مدى قرنين من الهجرة تقريبا تعبر - عن الوحدة السياسية والادارية للعالم الإسلامى وكان يدور فى فلكها من الناحية الإدارية الولايات فى المشرق والمغرب الإسلامى. كما ساعدت ظاهرة الدول المستقلة كأسر ونظم حاكمة وافقت الخلافة على وجودها؛ وواكب ظهور هذه الدول توجه ثقافى يميل إلى الإقليمية أو المحلية فانطبع ذلك بالتالى على الكتابة التاريخية؛ حيث بدأ أمراء هذه الدول يجعلون من عواصم دولهم بصفة خاصة وأقاليمهم بصفة عامة محل نظر المؤرخين الذين يعيشون فى تلك العواصم. بالإضافة إلى الازدهار الاقتصادى الذى تمتعت به أغلب مدن المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع/ التاسع والعاشر بتقدم الزراعة والصناعة والتجارة وقد مكن هذا السلطات المحلية وأمراء الأقاليم من منح العلماء والمؤرخين الذين كانوا يعيشون فى رحابهم الهدايا والهبات مما ساعد على انتشار كتب التواريخ الإقليمية .

وكتاب بدائع الأزمان فى وقائع كرمان أحد الكتب التى انتهج فيها مؤلفه أفضل الدين الكرمانى منهج التأريخ الإقليمى أو المحلى . ويلاحظ على أفضل الدين أنه لم يتبع الطريقة

١- السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨م، ص٧٨ .

٢- فتحى أبوسيف ، ظهور كتب الأقاليم والمدن كظاهرة منهجية فى المشرق الإسلامى، القاهرة ١٩٩٤، ص٥ وما يليها .

الحولية كما فعل غيره من المؤرخين مثل الطبرى أو ابن الأثير لكنه كان يذكر مع الحدث التاريخ الخراجى أحيانًا إلى جانب التقويم الهجرى، ويعتمد فى الغالب عند ذكره أحداث هامة- على التقويم الخراجى ويقابله فى بعض الأحيان بالتقويم الهجرى ومنها مواضع نشير إليها:

- عند ذكره خبر وفاة الملك محمد بن الملك أرسلانشاه الملك السابع من القاوردية أرخ لوفاته فى السادس من شهر جمادى الأولى سنة ٥٥١هـ الموافق للعام ٥٤٤ الخراجى.

- وحينما أرخ لمرض بهرامشاه فى أواخر صيف سنة ٥٦٤ الخراجية ثم أرخ لوفاته فى شهور ٥٧٠ هجرية.

- أرخ لوصول تورانشاه وأيبك إلى جيرفت فى شهر اردیبهشت سنة ٥٦٦ الخراجية الموافق لغرة رمضان سنة ٥٧٢ هجرية.

- أرخ لمقتل الملك تورانشاه فى يوم هرمز من شهر تير سنة ٥٧٢ الخراجية الموافقة لسنة ٥٧٩ الهجرية.

ونلاحظ مما أشرنا إليه سابقا أن الفارق فى السنين بين السنة الخراجية والسنة الهجرية ست سنوات أو سبع حسب الشهر الذى وقعت فيه الأحداث. بالإضافة إلى أن السنة الخراجية التى ذكرها أفضل الدين سنة ترتبط بالتقويم الإيرانى وشهور السنة الإيرانية ولقد اعتمد عليها فقط عند ذكره بعض الأحداث فى كتابه دون مقابلتها بالتاريخ الهجرى؛ منها مواضع نذكر منها:

- حدوث كسوف شمسى فى شهر اردیبهشت سنة ٥٥٧؛ كذلك استعماله التقويم الإيرانى حينما يشير إلى انتقال الأسرة الحاكمة من الجروم (الأصقاع الدافئة) إلى الصرود (الأصقاع الباردة) والعكس أيضا.

- ذكره خروج الملك تورانشاه من بردسير فى يوم الجمعة آخر شهر خرداد سنة ٥٥٨ الخراجية ووصوله مع الجيش أول شهر تير سنة ٥٥٨ إلى بردسير.

- ذكره خروج الملك أرسلان فى شهر دى من عام ٥٦٠ الخراجى إلى جيرفت ومكوثه هناك حتى شهر خرداد من سنة ٥٦١ الخراجى.

ويتضح مما سبق أن أفضل الدين الكرمانى اعتمد التقويم الخراجى فى تأريخه وكذلك التقويم الهجرى أحيانا، وأن التقويم الخراجى الذى اعتمد عليه يرتبط بالسنة الإيرانية وشهورها، ومن المعروف أن التقويم الإيرانى يعتمد على الشمس وأن شهور الفصول الأربعة فيه

ثابتة؛ وأن التقويم الهجرى يعتمد على القمر والسنة فيه تقل عن السنة الشمسية؛ ومن هنا جاء الفارق فى السنوات الست أو السبع بين التقويم الخراجى والتقويم الهجرى والذى أشرنا إليه سابقا، وبحساب الفارق فى الأيام بين السنة القمرية والسنة الشمسية يمكن معرفة بداية التقويم الخراجى فى إيران.

وجدير بالإشارة هنا أن احداث كتاب بدائع الأزمان فى وقائع كرمان قد بدأت بانتقال الملك قاورد بن چغرى بيك الملقب بـ قره أرسلان إلى إمارة كرمان فى شهر شعبان سنة ٤٤٢ الهجرية؛ وإن كان أفضل الدين لم يراع ذكر التواريخ الهجرية عاما بعام بمعنى أنه لم يعتمد الطريقة الحولية فى التأريخ؛ ولكن جاء تأريخه وفق منهج مذكرات الساسة العاملين فى البلاط الملكى وقد يرجع هذا إلى أن الباحث الإيرانى الدكتور مهدى بيانى قد استخرج كتابه (بدائع الأزمان) من بطون كتب السلاجقة كما هو واضح فى مقدمته ، والأمل بعيد فى وجود أصل هذا الكتاب بين المخطوطات المختفية فى سراديب مكتبات العالم الإسلامى. أما ختام أحداث الكتاب فتنتهى بحكم الملك دينار وهجوم الغز على كرمان وانتهاء حكم سلاجقة كرمان. والكتاب يعد من أهم المؤلفات التاريخية للأفضل الكرمانى وإن كانت نسخته الخطية قد فقدت بعد العصر الصفوى إلا أن جهود الباحث الإيرانى الدكتور مهدى بيانى قد أظهرته للوجود. وإننا إذ نشكر للباحث الإيرانى هذا الجهد الشاق والعمل الرائع لنرجو أن تكون ترجمة الكتاب من الفارسية إلى العربية كذا إضافة بعض التعليقات والحواشى عملا مكملا لهذا الجهد .

إمارة كرمان وأهم مدنها :

كرمان بالفتح ثم السكون وآخره نون وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة. يقال سميت كرمان نسبة إلى اسم إحدى القبائل الإيرانية القديمة المتحضرة والتى ذكرها هيرودوت باسم (كرمانيان). ويرى محمد إبراهيم باستانى أن كرمان تنسب إلى طائفة (كارا) أو (كارى) والتى وردت فى كتب الجغرافيين اليونانيين قبل الإسلام باسم (كارامانيا) ومعناها مقام طائفة (كارى) [١]. ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، تمتد ٠٠٠ / ٢٢٥ كيلو متر تقريبا. تقع فى جنوب شرق إيران؛

١- محمد إبراهيم باستانى، وادى هفت واد، جلد نخست، ٢٥٣٥ش، ص٢٦٥ .

شمالها خراسان ويزد وغربها فارس وشرقها سجستان وبلوجستان- وتعد بلوجستان الآن جزءً من كرمان- جنوبها بحر فارس وموانيه الآن جزءا منها مثل ميناء بندر عباسى وميناب وجاسك وجابهار وكوادر [١]. أغلب ولاية أو إقليم كرمان من بلاد الجروم أو الأصقاع الدافئة؛ وما يقرب من ربعها يغلب عليه الجبال ومنه يؤتى بغلات بلاد الصرود أو الأصقاع الباردة. الشتاء فيها قصير ونهاره مشمس وليله بارد وأحيانا تنخفض فيه درجة الحرارة حتى عشرة أو أربعة عشرة درجة تحت الصفر؛ وينزل الثلج على قمم الجبال[٢] وسرعان ما يذوب ويتحول إلى مياه إلا قمم جبلية قليلة يستمر الثلج على قممها العالية حتى فى الصيف. والربيع فى كرمان قصير حار- ما عدا المناطق الجبلية- خاصة فى مدن مثل بم وجيرفت ويلحق به الصيف والذى تصل حرارته أحيانا إلى ٤٥ أو ٤٧درجة فوق الصفر. وقد وصف أحد الشعراء طقس كرمان فى بيت شعرى : يقول :

از آب وخاك كرمان ، غافل مباش اى دل *** شش ماه خاك بر سر ، شش ماه پاى در گل[٣]

لذلك لاتعرف كرمان غير المناطق الحارة والمناطق الباردة أو كما اصطلح المؤرخون الجروم والصرود. وتنتقل ملوك كرمان وأمرائها بين مناطقها تبعا لطقسها الحار أو البارد.

حدد المقدسى فى كتابه خمس كور لإقليم كرمان وذلك فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى وأطلق اسم قصبتها على كل كورة :

الأولى: هى بردسير ولها ناحية خبيص فى شمالها.

والثانية : هى السيرجان على حد فارس .

والثالثة : بم (بفتح الباء وتشديد الميم) .

والرابعة : نرماسير وهى على شفير المفازة شرقا.

١- كى لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس ، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص٣٣٧ ، ٣٣٨ .

٢- ياقوت الحموى ، معجم البلدان، م٤، بيروت ، ١٩٨٤م، ص٤٥٤ . وادى هفت واد، جلد نخست، ص٢٠٦ .

٣- باستانى ، وادى هفت واد، ص٢٠٨ : ٢٠٦ . والترجمة العربية:- لاتغفل أيها الحبيب عن طقس كرمان، لستة شهور يعفر رؤوسنا التراب، ولستة أخرى تغوص أقدامنا فى الوحل.

والخامسة : جيرفت وهي تتاخم ساحل بحر هرمز[١].

كانت حدود كرمان في ذلك الوقت في الشمال والشرق المفازة الكبرى؛ وفي الجنوب الغربي البحر؛ ولها في غرب كرمان عند حدود السيرجان دخلة في حد فارس.

ومن الجدير بالذكر أن قصبة مدينة كرمان أو عاصمتها ومدينتها الأولى وهي مدينة بردسير كان يطلق عليها اسم الإقليم فتعرف بكرمان أيضا، كما عرفت باسم كواشير وهو الاسم الذي كان يطلقه الفرس عليها تحريفا عن الاسم القديم (ويه ارتخشير)؛ وقد عربه الجغرافيون جواسير (بالضم) وجواشير وسماها العرب بردسير [٢]. ونرى المؤرخ أفضل الدين الكرماني يستعمل الأسماء الثلاثة للدلالة على عاصمة الإقليم فنراه يذكرها كرمان أحيانا أو بردسير أو كواشير، وكانت هي دار الملك أو العاصمة للأسرة السلجوقية من ملوك وهم أمراء السلاجقة في كرمان. أما أهم مدن كرمان والتي وردت في نص كتاب بدائع الأزمان؛ فهي كالتالي:

بردسير: هي المدينة الأولى لإقليم كرمان أو قصبتها ، وهي مدينة قديمة ترجع إلى عهد الساسانيين؛ ويقال إنها من بناء الملك اردشير وأن اسمها جاء تحريفا عن الاسم الذي وضعه لها وهو (بيه اردشير) ومعناها الموضع الطيب لاردشير. اتخذها ولاة بني أمية عاصمة للإقليم وجعلوا منها مدينة حصينة على جانبها قلعة وفيها بساتين . وكان لها أربعة أبواب سميت بأسماء المدن التي تؤدي إليها الطرق الخارجة منها وهي باب ماهان؛ وباب خبيص ؛ وباب زرند وباب مبارك.

وفي كرمان الحديثة آثار لثلاثة قلاع هي (قلعة دختر) أو قلعة البنت ويقال إن أردشير هو بانيها. والقلعة الثانية فوق جبل في جنوب المدينة الشرقي محكمة التحصين بأسوار وأبراج وهي معروفة الآن بقلعة أردشير. والقلعة الثالثة العتيقة في وسط المدينة[٣].

بم : في الجنوب الشرقي من ماهان على شفير المفازة الكبرى وعند الحد الشرقي لكرمان. يحدها من الجنوب والجنوب الغربي جبال (رودبار) وجبال (شاه) . ومن الشرق (بلوجستان).

١- كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٥، ص٣٤١ .

٢- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٤١ .

٣- نفسه، ص٣٤٤ .

ومن الغرب (جيرفت). وهى من المناطق الحارة فى كرمان وتزيد درجة الحرارة فيها صيفا على ٤٤ درجة ، وفى الشتاء تنخفض إلى ٧ درجات تحت الصفر ، وهى تبعد عن مدينة كرمان ١٩٣ كيلومتر[١].

جيرفت : بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء ثم تاء مفتوحة، أطلق عليها فى كتب البلدانيين العرب (قمادين) ، وذكرها ماركوبولو باسم (كامادى) . بها خيرات ونخل كثير وفواكه؛ وبها نهر يتخلل البلد إلا أن حرها شديد[٢]. كانت جيرفت فى القرون الوسطى مدينة جليلة الشأن، وكان كل النصف الجنوبى من إقليم كرمان حتى ساحل البحر تحتويه كورة جيرفت. وفى جنوب شرقى جيرفت جبل القفص (بضم القاف وسكون الفاء، وفى شرقها البلوص أو (البلوج) وذلك فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى. وقد قضى قاورد بن جغرى بيك على عصابات البلوج والقبائل الجبلية فى القفص وضمها إلى حكمه فى كرمان[٣]. وقد ذكر الأفضل وقائع هذه الحادثة بتفاصيلها فى الكتاب الذى بين أيدينا . ومدينة جيرفت مدينة زراعية تسقى من نهير يسمى (سغدر) و(هليل = هرى رود) . واليوم مركزها مدينة سبزواران وهى مدينة تبعد عن كرمان بما يقرب من ٢٤٠ كيلو متر مرورا بمدينة بم [٤]، وإلى جانب كونها مدينة زراعية تعد الآن مركزا تجاريا هاما .

نرماسير : أو نرماشير وهى جنوب شرقى بم على شفير المفازة، وقصبة مدينة نرماسير فى منتصف الطريق بين بم والفهرج[٥].

خبيص : وتسمى الآن (شهداد) ، صحرائها تتصل بكورة بلوجستان وخراسان. وهى مدينة حارة أما الجبل الذى يفصلها عن كرمان فإنه من المناطق الباردة[٦].

١- باستانى، وادى هفت واد، ص٢١٣ .

٢- وادى هفت واد، ص٢٢٦ . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م٢، ص١٩٨ .

٣- ياقوت الحموى، معجم البلدان، م١، ص٣٥٣ ، ٣٦١ .

٤- باستانى ، وادى هفت واد، ص٢١٢ ، ٢٢٦ .

٥- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، م١، ص٣٥١ .

٦- وادى هفت واد، ص٢١١ .

ماهان : وتقع أسفل جبل جوبار الذى تعلو الثلوج قمته . والمسافة بين ماهان وكرمان حوالى ٣٦ كيلو متر مرورا بمدينة بم[١].

رايـــين : مدينة إلى الجنوب من ماهان، على نحو سبعين ميلا شمال غربى بم، وصفها المقدسى بقوله : (صغيرة ، الجامع وسط الأسواق، كثيرة البساتين)[٢].

الـسـيـرجـان : مدينة يفصلها عن كرمان من الغرب حوالى ١٨٤ كيلو متر، يطلق على حاكمها لقب (سعيد اباد)، ورغم أن درجة حرارتها قد تصل إلى ٤٠ درجة أحيانا إلا أنها من المناطق الباردة ، يغلب عليها الجبال ويعيش بها قبائل (جاقجى) و(آل سعدى) و (الافشار) .

راور: تقع شمال كرمان وتتصل بيزد وخراسان، ومن توابعها مدينة (كوهبنان) ، يفصلها عن كرمان حوالى ٢٠٠ كيلو متر[٣].

كوبنان (كوه بنان) : إلى الغرب من راور ، زارها الرحالة الإيطالى ماركوبولو. وهى مدينة صغيرة لها بابان وربض فيه حمامات وخانات والجامع على الباب ، التفت بها البساتين والجبل منها قريب، وبالقرب منها مدينة بهاباد[٤].

بـافـت : وهى فى القسم الشرقى لمدينة السيرجان. مدينة جبلية بها جبل (شاه) وجبل (لاله زار) وكان يسمى قديما جبل (كازار)، وأيضا جبل (بيد خوان) .

مدينة بابك : وتقع إلى الغرب فى الشمال الغربى لكرمان ، بينها وبين كرمان ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر[٥]، وفى الشرق منها تقع مدينة رفسنجان .

مدينة بهاباد : هى مدينة بالقرب من كوبنان (كوهبنان) ، ذكرها المقدسى باسم (بهاوذ) . وهى من المناطق الباردة وتشترك مع يزد فى خط عرض واحد هو خط ٣٢ درجة بها بساتين وهى ما زالت قائمة حتى الآن. يقال إن التوتيا وهو دواء جيد للعيون يصنع بها ويصدر إلى

١- نفسه، نفس الصفحة.

٢- لسترنج ، بلدان الخلافة، ص٣٥١ .

٣- وادى هفت واد، ص٢١١ .

٤- بلدان الخلافة الشرقية، ٣٤٧ .

٥- وادى هفت واد، ص٢١١ .

أرجاء الأرض، ذكر هذا الرحالة الإيطالى ماركوبولو فى رحلته. وكانت تعد مادة التوتيا من أهم تجارات إقليم كرمان فى القرن الرابع الهجرى[١].

بسرك : هى مدينة تجاور مدينة فرك (بضم الفاء) على بعد ثلاثة مراحل من جنوب شرقى دارابجرد والأخيرة إحدى كور فارس الخمس. وكثيرا ما يقع اللبس فى اسمى هاتين المدينتين (فرك ، برك) فيطلق اسم إحداهما على الأخرى. ومدينة برك (بضم الباء) وتكتب أيضا بالباء المثلثة فى هودة على فرسخين من الجبل والجامع بها بجانب السوق والماء بها كثير. يقال إنه كان للمدينة قلعة حصينة لاتقتحم مبنية بحجارة ضخمة ، ذكرها المستوفى وقال يكثر بها القمح والتمر[٢].

تارم (طارم) إحدى كور ثلاث تقع بمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل إقليم الجبال عن بلاد الديلم وطبرستان . وتقع فى الشمال الكور الثلاث (بشكل دره) (والطالقان) وتارم. وهى على مرحلتين شرق مدينة فرك فى الطريق إلى ساحل البحر، ويخرج من الجبال نهر يطلق عليه طارم[٣].

صفون : مدينة تقع شمال مدينة ولاشجرد فى الطريق إلى جيرفت. وهى مدينة كثيرة البساتين وبها أشجار النارنج، أهلها يشربون من قنى ، ويقال أن خرائبها تعرف اليوم باسم فرياب أو برياب[٤].

طبس: إحدى مدن قوهستان . وكانت ومازالت فى قوهستان مدينتان يقال لهما (طبس) ولذلك كثيرا ما ذكرهما البلدانيون العرب بصيغة (طبسين) وأحيانا يطلق خطأ الاسم (طبسين) (المثنى) على هذه المدينة أو تلك ويراد واحدة منهما. وللتمييز سميت إحداهما طبس التمر والأخرى طبس العناب .

١- بلدان الخلافة، ص٣٤٧ . واد هفت واد، ص٢٠٦ .

٢- بلدان الخلافة، ص٣٢٩ .

٣- بلدان الخلافة، ص٢٦٠ ، ٣٢٩ .

٤- نفسه، ص٣٥٥ .

تقع طبس التمر على شفير المفازة العظمى لذلك سماها البلاذرى باب خراسان ، وهى من مدن الجروم ونخلها كثير. وعلى نحو ثلاثة فراسخ جنوب شرقى طبس على حافة المفازة يدخل المفازة طريق شور الآتى من كوبنان (كوه بنان) . وعلى نحو ثلاثة مراحل جنوب شرقى طبس مدينتا خور وخوست وكانتا مرحلتين ينتهى إليهما الطريقان اللذان يقطعان المفازة من راور وخبيص فى كرمان. من ثمارها الليمون والنارنج إلى جانب التمر، وماؤها كثير يخرج من عيون . كان عليها حصن منيع وحولها كثير من القرى[1].

يـــزد : كانت إحدى مدن إقليم فارس أيام الخلافة، وبعد الفتح المغولى أصبحت من إقليم الجبال (قوهستان) ، أما اليوم فتعد جزءا من كرمان. كانت ابنيتها من اللبن أو الطين ، بها قلعة أما الجامع ففى الربض، ولها نهر يخرج من ناحية الجبل الذى عليه القلعة . وهى على طرف المفازة ويندر أن يهطل المطر فيها غير أن مياهها وافرة . ثمارها كثيرة تحمل إلى اصفهان، بالقرب منهام معدن الآنك وهو الرصاص الأبيض وبها صناع الحرير السندس ويحمل منها إلى سائر البلاد[2].

* * *

الحمدالله الواحد الأحد على ما وفقنى من جهد وعمل، وبعد حمد الله أتقدم بالشكر والعرفان إلى استاذى الفاضل الدكتور بديع محمد جمعة لتفضله بمراجعة هذا العمل وأيضا على جميل عطفه وأخوته وأستاذيته التى غمرنى منذ كنت طالبة فى مرحلة الليسانس . وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فيما كتبت. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب.

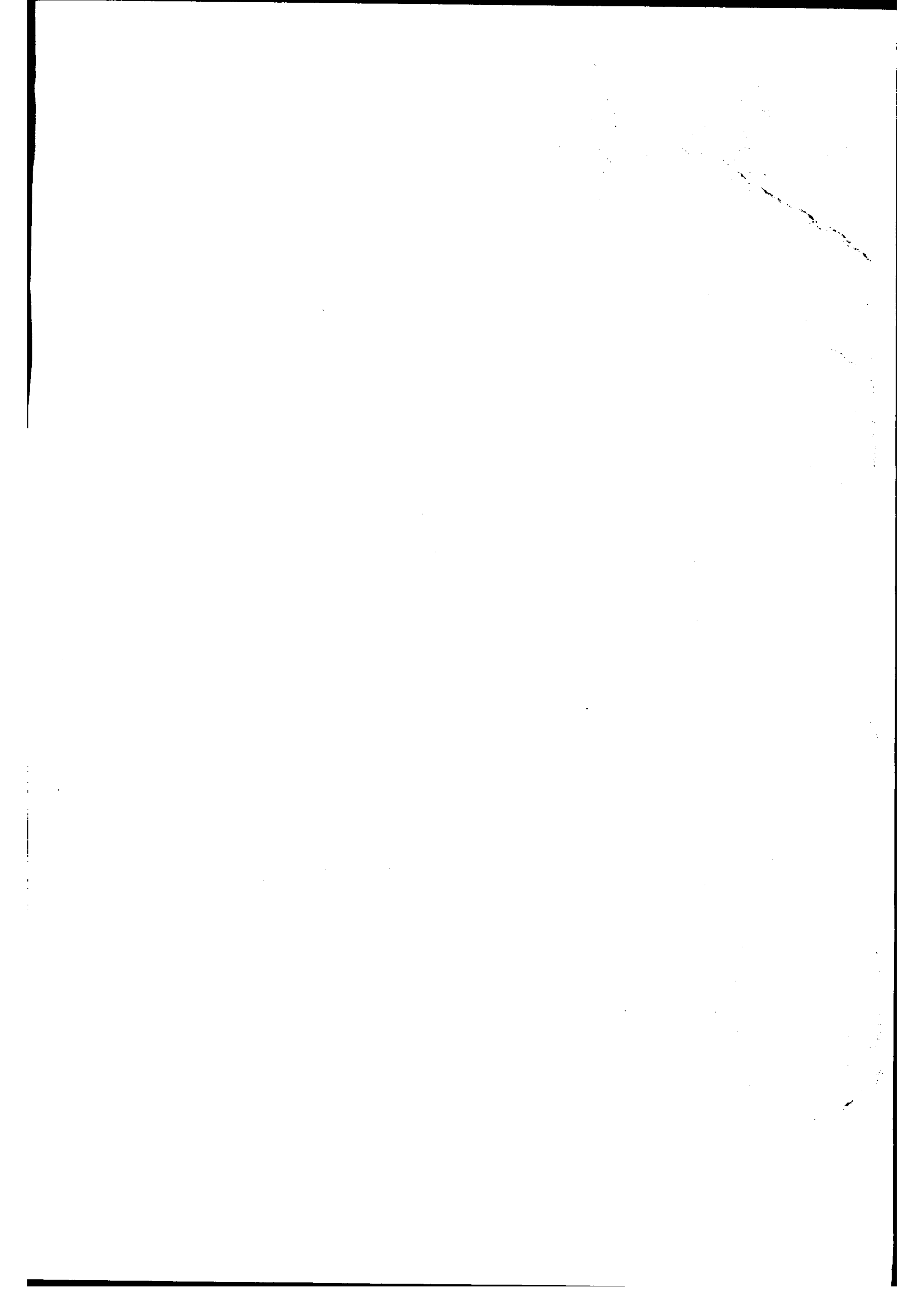
دكتورة / ثريا محمد على

مصر الجديدة

٢٠٠٠م

١- نفسه، ص٣٩٩ ، ٤٠١ .

٢- نفسه، ص٢٨٤ ، ٣٢١ .



مقدمة المحقق

د. مهدى بيانى

من أهم الكتب فى تاريخ فارس وإيران- التى من الواضح أن النسخة الكاملة منه قد فقدت- كتاب (بدائع الأزمان فى وقائع كرمان) تأليف أفضل الدين أبى حامد الكرمانى مؤلف كتاب (عقد العلى للموقف الأعلى) . ومن المصادر التى ذكرته صراحة كتاب (تواريخ آل سلجوقى) تأليف محمد بن إبراهيم ، وهناك من ذكره تلميحا دون ذكر عنوانه وهو كتاب (سمط العلى للحضرة العليا) تأليف ناصر الدين بن منتخب الدين المنشى الكرمانى. فقد جاء فى كتاب محمد بن إبراهيم ما يشير إليه بقوله:

(.. ويأتى فى هذا المقام ذكر أخلاق وأحوال أبناء طغرلشاه على النحو الذى ذكره أفضل الدين أبوحامد أحمد بن حامد المعروف بالأفضل الكرمانى كاتب الأتابك محمد بن الأتابك بزقش ... وقد شاهد بعينه أفعالهم وسمع بأذنه أقوالهم وذكرها فى كتابه تاريخ بدائع الأزمان فى وقائع كرمان؛ الذى اشتهر بتاريخ الأفضل، وقد اعتمدت على أقواله واستخرجت أكثر أحوال أولاد قاورد شاه من تاريخه ونقلت عنه) .

كما ورد فى تاريخ سمط العلى لناصر الدين الكرمانى؛ ما يلى:

(... ولما كان هذا التاريخ حاويا ومشتملا على أخبار السلاطين القراخطائيين وأيامهم حتى الآن؛ ومن قبلهم عصر المملكة السلجوقية وحكام كرمان الآخرين كما ورد فى التاريخ وسجل أعمال كل واحد منهم كما ينبغى ؛ لاسيما ما كتبه السيد أفضل الدين الكاتب رحمه الله. فإن الهدف من هذا المؤلف ذكر أخبار سلاطين القراخطائيين وشرح أحوالهم وكأننى شاهدتها وعاينتها) .

وندرك من هذه المقدمة أن أفضل الدين الكرمانى قد صنف كتابا فى تاريخ سلاجقة كرمان بعنوان (بدائع الأزمان فى وقائع كرمان) أو (تاريخ الأفضل) فقد ذكره محمد بن إبراهيم فى كتابه (تواريخ آل سلجوق) واستفاد منه وكان منبعا مباشرا أو غير مباشر لكل مؤرخ ذكر وقائع تاريخ سلاجقة كرمان؛ أنه كتاب تاريخ الأفضل .

ومن المؤسف أن النسخة المخطوطة من هذا الكتاب قد فقدت وطواها النسيان رويدا رويدا؛ فى حين أن هذا الكتاب ينبغى أن يحتل المرتبة الأولى فى سلسلة تواريخ إيران ذلك أنه سند قديم يخص أحداث سلاجقة كرمان؛ كما أنه من إنشاء أديب عالم ومؤرخ جليل هو أفضل الدين.

إن إعلان وجود أصل هذه النسخة النفيسة ؛ أو الحصول على جزء من هذا التاريخ؛ يعد خبرا سعيدا لدى المهتمين بالتاريخ والأدب وتاريخ الأدب فى إيران. ولاشك فى أن البحث عن النسخة الكاملة من هذا الدر القيم من أجل العثور عليه فى الخرابات المنسية هو أمر يجب السعى للوصول إليه.

ومع هذا فإن الباحث المتواضع يستطيع أن يبشر بأن هذا الجوهر الغالى والدر الفريد ليس كما يظن قد فقد بكامله ولكن بقلب مطمئن ورأى قاطع يدعى أن القسم الأعظم- يكاد يقترب من معظمه- من نص بدائع الأزمان وأخبار سلاجقة كرمان وخلفائهم حتى أحداث ٦٠٦هجرى قمرى بقلم وإنشاء أفضل الدين الكرمانى نفسه؛ موجود؛ وهو فى أيدينا اليوم سواء وصل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولأجل توضيح المقولة السابق ذكرها كان لابد من شرح الآتى:

مقدمة

نشر هوتسما الجزء الأول من (مجموعة النصوص المرتبطة بتاريخ السلاجقة) وطبع النص الفارسى من تاريخ سلاجقة كرمان تأليف محمد بن إبراهيم مع مقدمة باللغة الفرنسية فى عام ١٨٨٦م بمطبعة بريل فى ليدن بهولاندا. وقد ذكر هوتسما فى مقدمته كتاب تاريخ الأفضل قائلا:

(... لو كان هذا النص فى أيدينا لكنت سعيت إلى طبعه ونشره دون تردد؛ ولكن وبعد بحث طويل قد صار مؤكدا أن هذا الكتاب لايوجد له أثر قط فى أى مكتبة من مكتبات أوربا ويبقى أن البحث عنه دون فائدة. أما وقد ذكر محمد بن إبراهيم نفسه أنه استفاد منه فى تاريخه إفادة كبيرة فإن احتمال فقد النسخة الأصلية أمر لايجب التسليم بقبوله .

تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم

وفق ما ذكر هوتسما فى مقدمة هذا التاريخ فإن النسخة الأصلية تنفرد بها المكتبة الملكية فى برلين؛ وإن الكتاب المطبوع هو عن نسخة خطية تبدأ من الورقة ٣٦؛ أى أنها تبدأ من تاريخ سلاجقة كرمان. أما الأوراق السابقة عليها فتشتمل على بعض القطع وهى: مقدمة الكتاب وتاريخ سلاجقة العراق وتحتوى على سقطات بسبب التقطع بها؛ وهى عبارة عن تواريخ مفصلة قديمة ومتعدده، وهى أهم من النسخة الحالية الخاصة بتاريخ سلاجقة العراق التى بين أيدينا. أما المطبوع منه فقد طبع القسم السليم أو الخالى من القطع وهو من الورقة ٣٦ حتى آخر النسخة وهى نص كامل . وعلى هذا فإن النص المطبوع لم يفقد الجزء الأول والأخير من النسخة.

كتبت النسخة الخطية بخط تعليق جميل فى حدود القرن الثانى عشر الهجرى، ولم يتحدد عنوان هذه المخطوطة لوجود نقص فى المقدمة . ومن الجائز أن الأقسام المفقودة تحتوى على بيانات عن أحوال المؤلف وحياته والتى حرمنا الاستفادة منها.

أما عن أحوال محمد بن إبراهيم وعصره فلم يذكر عنه شىء قط فى كتب التواريخ والتراجم ولكنه يشير فى ثنايا تاريخه لاسمه ولأبيه وبعض أقربائه وذكر سنة من سنوات حياته، كما يلى:

(... وقد ذهب كاتب هذه الصحيفة محمد بن إبراهيم إلى سجستان فى شهر جمادى الأولى سنة ١٠٢٥؛ بعد أن فاز بمتعة زيارة حضرة إمام الجن والإنس ؛ الإمام المعصوم؛ المرتضى على الرضا- عليه وعلى آبائه التحية والثناء- وذلك مع الأقارب والأبناء بسبب وفاة خالتى عليها الرحمة ولرغبة ابن الخالة- وهو نور حدقة الناس وبهاء نور بستان السخاء والفتوة- الأمير أبى الفتح- سلمه الله تعالى وأبقاه فى ظل مولانا الوالد الماجد السلطان المطاع الملك جلال الدين والدنيا خلدت ظلاله العالية. وبعد ما يقرب من شهرين كنت فيها ملازما للتراب المستطاب لملك الإسلام وخادما للأبناء العظام؛ سمح لى بالعودة إلى الوطن والديار بعد أن توجهت بكثير من الالتماسات بالإذن وقد شاهدت بأم عينى آثار الخيرات القاوردية) .

إن النسخة المطبوعة من تاريخ محمد بن إبراهيم تشتمل على مقالة احدة وخاتمة. والمقالة

الثانية وكذلك الأولى متماثلتان وتحتويان على مقدمات وتاريخ سلاجقة العراق وهما لم يطبعا. أما المقالة المنشورة فتحتوى على وقائع تاريخ سلاجقة كرمان؛ أى من بداية حكم قاورد على وجه التقريب؛ حتى نهاية حكم محمد شاه بن بهرامشاه؛ وفى نهايتها خاتمة (فى ذكر حكم الملك دينار وأولاده فى كرمان وجمع آخر على سبيل الإجمال حتى زمان ارتفاع راية قتلق سلطان براق الحاجب) .

جامع التواريخ لحسنى بن شهاب

ذكر ضمن أجزاء المخطوطات التاريخية فى مكتبات اسطمبول تحت رقم ٤٢ بعنوان (جامع التواريخ الحسنى) تأليف (حسن بن شهاب بن حسين بن تاج الدين اليزدى)؛ وقد كتب فى وصف النسخة : (تاريخ عام من خلق ادم حتى تاريخ ٨٥٥؛ ألف باسم غياث الدين أبى المظفر محمد بن بايسنقر بن شاهرخ؛ نسخة مختصرة وبدون أهمية)، ثم تلا ذلك شرح محتويات الكتاب. وفى المكتبة القومية فى طهران نسخة أخرى من نفس الكتاب الموجود وهو جامع التواريخ الحسنى؛ وبمقارنته مع فهرس فيلكس توير ثبت أنه يتفق تقريبا مع جميع محتويات نسخة اسطمبول وذلك من حيث القطع والخط والتزيينات وغير ذلك ؛ كما أن الكاتب واحد.

والنسخة الموجودة بخط نستعليق متوسط والعناوين مكتوبة بالأحمر بخط عبدالله الكاتب الأصفهانى - تاريخ التحرير ٨٨٠- الصفحة فخمة عبارة عن جدول مذهب بقطع ٣٣٠× ٢٢٠ مليمتر؛ عدد الصفحات ٨٧٣؛ وكل صفحة ٢٥ سطرا. والغلاف من الورق البنى المصقول على هيئة مثلثات مطوية ذى حشوة. ومع هذا فإن أكثر صفحاته بها وصلات ؛ والنسخة مضبوطة بالشكل؛ ودفتاه سليمتان وبه نقص فقط (بين صفحتين ٣٢ و٣١ أى بما لايزيد عن ورقتين.

ومن الواضح أن هذه النسخة قد كتبت لأحد العظماء ومن الجائز أن يكون من أسرة الأمراء.
وخلف الصفحة الأولى فى الوسط شمس مذهبة وبخط الرقعة الجميل هذان البيتان بالعربية:

لصاحبه السعادة والسلامة *** وطول العمر ما ناحت حمامة

وعـز لايدانيـه هـوان *** وإقبـال إلى يوم القيـامـة

الصفحتان الأوليتان مذهبتان ومرصعتان : كتب فى وسط كل صفحة منهما أحد عشر سطرا قصيرا من نص الكتاب وفى مقدمة هاتين الصفحتين ونهايتهما كتبت هذه الكلمات التالية بخط ثلث واضح وجميل وبقلم أبيض على الصفحة المذهبة (ولذكره أعلى؛ وبالتقديم أولى؛ كتاب جامع التواريخ الحسنى) .

فى البداية (الشكر والحمد لله علام الغيوب).

وفى النهاية (... أتمنى أن يبقيه خالدا عند جميع مواطنى كرمان بحق محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا)، (ثم كتاب جامع التواريخ وهو من قول أفصح المتكلمين وأملح المتأخرين مولانا تاج الدين حسن شهاب المنجم الملقب بابن شهاب الشاعر المنجم اليزدى عفا الله عنهما. كتب بيد العبد الضعيف المحتاج تراب قدم الفقراء والمساكين عبدالله الكاتب الأصفهانى سنة ثمانيين وثمانمائة من الهجرة النبوية:

- مهما كان الأمر لايجوز النظر إلى خطى ؛ فقد كتبته امتثالا لأمر مخدومى.

والحقيقة التى من الضرورى أن نذكرها هى أن كاتب النسخة شديد الجهل؛ فهو يخطىء إملائيا فى أبسط جملة؛ كما يحرف الكلمات مثلما يظهر فى هذه النسخة بحيث لايخلو أقل سطر منها؛ ويعد تصحيح العبارات خاصة الأعلام أمرا صعبا جدا .

وقد صرح باسم الكتاب خلال ثناياه بطريقة مكررة وهو (جامع التواريخ الحسنى) . وكانت بداية تأليفه باسم السلطان غياث الدين محمد بن بايسنقر بن شاهرخ بن الأمير تيمور الجرجانى فى ٢٥ محرم من عام ٨٥٥ فى كرمان. ونهاية تأليفه بعد عام ٨٥٧ باسم أبى القاسم بابر أخى السلطان محمد المذكور.

وجامع التواريخ الحسنى يشتمل على وقائع تاريخية من بداية خلق آدم وحتى زمن حياة المؤلف، ومحتوياته فى ستة أقسام وخاتمة وبعض أقسامه فى عدة فصول ، وقد قسمه على هذا النحو:

القسم الأول: فى ذكر آدم وحواء وأولادهما.

القسم الثانى: فى ذكر ملوك العجم وسيرهم وجاءت على هذا المنوال:

الطبقة الأول: البيشداديون.

الطبقة الثانية : الكيانيون .

الطبقة الثالثة : الساسانيون

القسم الثالث : فى ذكر ولادة الرسول ونسبه العظيم ومبعثه ووفاته (وفى نفس هذا القسم ذكر أولاد وأصحاب رسول المسلمين والخلفاء والراشدين) .

القسم الرابع : فى ذكر أمراء بنى أمية .

القسم الخامس : فى ذكر خلافة بنى العباس (وفى هذا القسم جاء بتاريخ الصفاريين والسامانيين والديالمة والغزنويون باختصار والسلاجقة بالتفصيل) .

القسم السادس: ذكر سلطنة سائر الملوك الذين جاءوا بعد آل سلجوق ؛ فى عدة فصول على هذا النحو:

الفصل الأول : ذكر آل بويه.

الفصل الثانى: ذكر الخوارزمشاهيين وسلاطين هذه الديار.

الفصل الثالث : ذكر السلغريين.

الفصل الرابع : ذكر القراخطائيين وشجرتهم .

الفصل الخامس : ذكر آل المظفر حتى ارتفاع راية الأمير العظيم قطب الحق والدين الأمير تيمور الجرجانى .

الفصل السادس : فى تاريخ جنكيز خان وأولاده وأتباعه الذين حكموا أرض إيران.

الفصل السابع : فى ذكر تاريخ إمارة قطب الحق والدنيا والدين الأمير تيمور الجرجانى؛ وتاريخ الجماعة بعد وفاته (وفى هذا الفصل ذكر تاريخ التيموريين حتى عام ٨٥٧ وكان ذلك فى عصر سلطنة أبى القاسم بابر) .

الخاتمة : فى ذكر أولاد الأمير غياث الدين غناشيرين.

من أهم وأجمل العناصر التى نطالعها فى التاريخ لابن شهاب ما كتبه من المصادر والمراجع التى ضمنها خاتمة رسالته تحت عنوان (تحقيق فى أحوال وآثار ابن شهاب اليزدى الشاعر المؤرخ المنجم فى القرن التاسع). وفيه بسطت المعلومات حول هذا الموضوع وحللت أغراضه التاريخية جزءا جزءا مع أغراض أخرى. وقد شرحت فيها أحواله وآثاره وكيف أصبح ابن شهاب شاعرا وكاتبا ومؤرخا ومنجما . أما هنا فهذا مجرد فصل أكتبه فى موضوع هذا البحث المتعلق بـ (تاريخ الأفضل ؛ أو بدائع الأزمان فى وقائع كرمان تصنيف أفضل الدين أبى حامد الكرمانى مصنف كتاب عقد العلى للموقف الأعلى).

* * *

سبق أن كتب الباحث ملاحظات حول كتاب جامع التواريخ الحسنى وعرضته على العلامة المبجل محمد القزوينى ؛ وذكرنى الأستاذ الأكبر وقد راجع هذه النسخة بأنه لابد أن شهاب قد استفاد حينما جمع تاريخ من كتاب بدائع الأزمان لأفضل الدين . ثم راجعت بدقة شديدة تاريخ سلاجقة كرمان كله فى كتاب جامع التواريخ الحسنى عسى أن أجد اسم كتاب بدائع الأزمان أو أثر من آثار المصنف أفضل الدين، وبعد بحث اكتشفت أنه لايوجد أثر قط بأية حال من الأحوال لهذين الاثنين فى القسم التاريخى أو فى مكان آخر فى كتاب جامع التواريخ الحسنى.

ولم أرض بهذا القدر من الجهد فنظرت بتمحيص فى عبارات وكلمات تاريخ سلاجقة كرمان فى جامع التواريخ الحسنى وبعد بحث وتدقيق وصلت إلى هذه النتيجة ؛ وهى :

أن ابن شهاب قد نقل إلى كتاب جامع التواريخ عبارات بدائع الأزمان لأفضل الدين بنفس الأسلوب الذى كتبه أفضل الدين فى تاريخه. والحاصل أننا نرى رغم هذا أنه لم يرد اسم تاريخ الأفضل أو بدائع الأزمان أو اسم أفضل الدين خلال تاريخ سلاجقة كرمان فى كتاب جامع التواريخ؛ ولو حتى على سبيل التعريض بأى منهما (المؤلف أو الكتاب) فكيف لايوجد فى هذا الكتاب أثر؟ ولهذا فإننى ادعى وأؤكد أن كل ما أتى من أحداث عن تاريخ سلاجقة كرمان فى جامع التواريخ الحسنى قد نقل بنصه وبذات أسلوب بدائع الأزمان لأفضل الدين.

وهنا تظهر المسألة صعبة ولكن أسلوب حلها بسيط للغاية ؛ فإن معطياتنا من أجل الحل كانت تتمحور حول بضعة ضمائر شخصية هى (أنا) ضمير المفرد المتكلم ؛ و(نحن) ضمير جمع المتكلمين التى وردت فى ثنايا عبارات تاريخ سلاجقة كرمان لكتاب جامع التواريخ الحسنى.

وبعد أن تأملت هذه العبارات أيقنت أن مرجع هذه الضمائر لشخص ينقل وقائع ويحكى حكايات ويؤرخ لتاريخ سلاجقة كرمان على أساس أنه شاهد عيان لهذا التاريخ يرويه بعباراته؛ وقطعا فإن ابن شهاب الشاعر المنجم (وقد حددت تاريخ حياته فى الرسالة المذكورة سابقا) على أنه قد عاش ومضى عليه أكثر من مئتى سنة منذ وقوعها؛ وعلى هذا فمن الواضح أنه قد نقل هذه العبارات نفسها من تاريخ آخر. وبناء على ما سبق ومع إدراكنا بأن أحداث تاريخ حكومة سلاجقة كرمان قد ذكرت بالتفصيل ؛ وهى بين أيدينا؛ ولم تذكر قط إلا فى كتاب تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم .

وفى كل موضع من كتاب تاريخ ابن شهاب حيث الضمائر التى ذكرتها آنفا وجدت أن عباراتها مطابقة ومقابلة لنص تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم ؛ وأدركت أنه فى الأماكن العديدة التى وردت فيها الضمائر (أنا) و(نحن) التى وردت فى كتاب جامع التواريخ الحسنى وكتاب تاريخ محمد بن إبراهيم تدل على اسم أفضل الدين الكرمانى. وبهذا يتضح الأمر وتحل المسألة؛ ثم بتحليل سائر العبارات المتشابهة وصلت إلى هذه النتيجة التى أعرضها جزءاً جزءاً كما يلى:

تاريخ محمد بن إبراهيم

أفضل گويد: ما در خدمت او بوديم وقتى كه او را كلمه خوش آمدى يا شعرى شنيدى بيش از عطا، رخساره ما را قبله خويش ساختى وما آنرا منصبى بلند وقربتى تمام مى بنداشتيم)

(وأحوال او در ارتفاع وانخفاض مرة هكذا ومرة هكذا مختلف ، چنانكه گزارش خواهد يافت. وخلق بداو آن بود كه در برده ظلام ... **أفضل كرمان مياَورد** كه هر جند اين باب باوى بتعريض وتصريح مى گفتيم اثر نميكرد واز آن عادت عدول نمينمود).

(شرف الدين بيشنا مردى بود بشجاعت مشهور وبغايت بسالت مذكور. أفضل الدين كرمانى گويد: من از دور مى شنيدم كه شرف الدين ميگفت كه فردا چون روز آيد آن كندكان را از عقبه بزير آورم . روز ديكر روى بباى عقبه نهادند . **أفضل الدين ابن حامد الكرمانى گويد** : ما جماعتى

تاريخ ابن شهاب

ما در خدمت او بوديم وقتى كه اورا كلمه خوش آمدى يا شعرى ثنائى شنيدى بيش از عطا رخساره ما را قبله قبله خويش ساختى ومد آنرا منصبى بلند وقربتى تمام بنداشتيمى) .

(وأحوال اوردا در ارتفاع وانخفاض **ومن در خدمت او بودم وديوان إنشاء أو بمن مفوض. واز أخلاق نابسنديده او آن ميدانستم** كه در برده ظلام... ودر اين باب باوى بتصريح وتعريض گفته ميشد واثر نكرد واز آنعادت عدول ننمود. استغفر الله چنانكه بودند شدند وكرده هاى خويش باخود بردند).

(شرف الدين بيشنا مردى بود بشجاعت مشهور وبغايت بسالت مذكور.

من از دور مى شنيدم كه شرف الدين مى گفت كه فردا چون روز برآيد اين كندكان از عقبه بزير آورم. روز ديكر روى

از أصحاب عمايم از خدمت ركاب باز ايستدايم وبديهى شديم كه آنرا سرسنك خوانند چه متيقن بوديم كه لشكر يزد گذر نتواند).

ببای عقبه نهادند وما جماعتی از اصحاب عمایم از خدمت رکاب باز استادیم وبدیهی شدیم که آنرا سرسنك خوانند چه متقین بودیم که لشکر یزدگذر نتواند کرد.

أفضل الدين أبو حامد أحمد الكرمانى گويد: كه مرا رنجگى بود ودر خدمت ركاب نتوانستم بود ومقام متعذر شد؛ بارنجورى).

(چون ملك از جيرفت عزم بردسير فرمود مرا ، ونجگى بود ودر خدمت ركاب نتوانستم بود ومقام جيرفت متعذر شد بسبب رنجورى) .

اتضح فى المواضع السابقة أنه يوجد اسم أفضل الدين صراحة فى موضع كل ضمير من الضمائر المذكورة، كما اشترك النصان فى ألفاظ وعبارات محددة لم يكتبها سواء ابن شهاب أو محمد بن إبراهيم ؛ بل اقتبساها من منبع واحد. علاوة على أن ابن شهاب قد ألف تاريخه قبل محمد بن إبراهيم بما يقرب من مئتى سنة فلايجوز الظن هنا أن منبعه كان تاريخ محمد بن إبراهيم؛ ولايحتمل أن محمد ابن إبراهيم قد اقتبس معلوماته من جامع التواريخ الحسنى ولكنه أتى بعد المؤرخين الذين استفادوا من تاريخ الأفضل، وسنعقد فصلا منفصلا فيما بعد ونتناول فيه هذه القضية بتوضيح أكثر .

وهذه هى بقية المصادر التى لايذكر فيها اسم الأفضل فى إحداها فى حين يوجد فى الأخرى الضمير، ولنتفحص بالمقارنة مقصود هذه العبارات:

تاريخ محمد ابن إبراهيم

(... وكيل خيل قطب الدين محمد از جهت طلب وجوه ديوانى وارزاق وعلوفات حشم بردسير، در آن هفته بجيرفت رسيده بود وتا ملك طغرل...)

تاريخ ابن شهاب

(... وكيل خيل قطب الدين محمد از جهت طلب وجوه ديوانى وارزاق حشم بردسير در آن هفته بجارفت رسيده بود ومن مصاحب او وتا طغرل...)

نلاحظ هنا العبارة (ومن مصاحب أو) التى وردت فى تاريخ ابن شهاب لم ترد فى تاريخ محمد بن ابراهيم وبناء عليه فقد حذف اسم أفضل الدين باعتباره زائدا .

واز تزاحم خلق وكثرت نعمت جنت عدن مینمود	(... واز تزاحم خلق وكثرت نعمت جنت عدن مینمود وراستی من بعد از دو سه ماه چون از مضیق در بندان بیرون آمدم وبفضای معسکر رسیدم پنداشتم که فردوسی را بزمین فرستاده اند یا بغداد را بکرمان آورده اند. وبهرامشاه ومؤید الدین از خراسان استمداد لشکری می کردند).
وبهرامشاه ومؤيد الدين از خراسان استمداد لشكر ميكردند.	

هنا نجد أن محمد بن ابراهيم قد حذف عبارات أفضل الدين نفسه كلها.

تاريخ محمد بن إبراهيم	تاريخ ابن شهاب
(... واكثر معارف وأهل هوای ملك ارسلان بی مركوب وتوشه از شهر بيرون شدند وروی بسرحد فارس وعراق نهاد ومصيبتی تازه واضطرابی بی اندازه...).	(... واكثر معارف واهل هوای ملك ارسلان بی مركوب وتوشه از شهر بيرون شدند وروی بسرحد فارس وعراق نهادند واز آن جمله يكی من بودم ومصيبتی تازه واضطرابی بی اندازه).

هنا أيضا حينما وردت سيرة أفضل الدين فأن محمد بن إبراهيم قد رأى عدم ضرورة ذكره فی تاريخ سلاجقة كرمان ؛ فحذفه.

(... نيم شبی آواز بر آمد كه ملك أرسلان رفت وفوجی از امرا وحشم شهر بخدمت ملك بهرامشاه آمدند...).	(نيم شبی با خدمتگاران اتابك محمد در ديه كرديه برپام سرای قرعه انديشه ميكردانيديم وفال كيفيت خاتمت اين محاصره ميگرفتيم؛ آواز بر آمد كه ملك ارسلان وفوجی از امرا وحشم شهر بخدمت ملك بهرامشاه آمدند...)

هنا مرة أخرى فان محمد بن إبراهيم قد حذف كلمات الأفضل التی ليس لها دخل مباشر بالتاريخ .

(روز شنبه بانزدهم ماه دی عزم جیرفت کردند . چون بمنزل درفارد نزول افتاد خبر کردند که...)

روز بنچشنبه پانزدهم ماه دی عزم جیرفت کردند. ومن به نیابت دیوان انشاء در خدمت بودم چون بمنزل درفارد نزول افتاد خبر کردندکه...)

وهنا أيضا نفس الملاحظات السابق ذكرها.

تاریخ محمد بن ابراهیم

(چه حشم فارس در شهر نشد وهم در ربض شب گذاشت وحال ایشان در جزع وفزع افتاد واز **لشکرگاه زارتر بود**. بامداد چون بهم پیوستند خروج گردند واز دیوارها خودرا می نمود. چه هنوز غلبه در لشکر دشت بود، اما هول شب دست وپای مردم را چنان سست گردانیده که کس را طاقت لگام برسر اسب نبود. امیری شپانکاره بود اورا حسن سرو گفتندی بمردی مذکور وبشجاعت مشهور، لرزه برهفت اندام افتاده بود وگریزان رخت در هم میآورد).

تاریخ ابن شهاب

(... چه حشم فارس شب در شهر نشدوهم در ربض شب گذاشت وحال ایشان در جزع وفزع افتاد واز **حال ما زارتر** . بامداد چون بهم پیوستند وخروج کردند واز دیوارها خودرا مینمودند چه هنوز غلبه در لشکر گاه دشت بود؛ اما هول شب دست وپای مردم چنان سست گرده بودکه کس را طاقت لجام برسر اسب کردن نبود. امیری شپانکاره بود اورا امیر حسین سرو گفتندی بمردی مذکور وبشجاعت مشهور **اورا دیدم** لرزه برهفت اندام فتاده وگریزان رخت دیدم درهم میآورد....).

إن محمد بن إبراهيم قد غيّر عبارة (واز حال ما زارتر) بعبارة (واز لشكرگاه زارتر)، ولما كان أفضل الدين نفسه فى معسكر الجند فقد حذف (محمد بن إبراهيم) عبارة (اورا ديدم) لأنه هو شخصيا لم يره.

جمله بنگاه وخیمه ها ودیگهای پخته بر جای **گذاشته** شب را بنرماشیر آمدند).

(... جملگی بنگاه وخیمه ها ودیگهای پخته **گذاشتیم** وشب بنرماشیر آمد).

هنا أورد محمد بن إبراهيم الفعل (كذاشته) فى تاريخه بديلا عن الفعل (گذاشتيم) المسند إلى أفضل الدين.

(... ناگاه خبر وفات اتابك زنكى ومراجعت اتابك محمد ولشكر فارس از جيرفت آوردند).

(ومن از لشكر گاه بهمى بشهر شده بودم بر در شهرستان ايستاده ناگاه بر سر دروازة طبلى زدند ونعره بر آوردند. بترسيدم واز انحال پرسيدم- گفتند اتابك زنكى بجوار رحمت حق تعالى پيوست واين بشارت وفات اوست من آنرا رنجى دانستم وناموسى پنداشتم. ساعت بساعت خبر شايع تر ميشدتا خبر جيرفت رسيد كه ملك آتابك محمد ولشكر باز فارس رفتند).

هنا حذف كل ما هو مرتبط باخبار الأفضل أو حول شخصه واكتفى بهذا القدر البسيط المختصر.

(چنانكه در مدت سى وچهار سال كه بادشاه بود، نيم ذره در نقد او زيادت نقصان نرفت وگويند كه هرگز...).

در مدت بيست وچهار سال كه پادشاه بود زرنيم ذره در نقد أو زيادت ونقصان نرفت **لاجرم اين ساعت نقد قاوردى بر همه نقود راجع است** وگويند هرگز...)

إن محمد بن إبراهيم أسقط عبارة (لاجرم اين ساعت نقد قاوردى بر همه نقود راجع است) وهى تعنى أن النقد القاوردى كان هو الراجع فى تلك الأثناء أى فى الوقت الذى كان فيه أفضل الدين منشغلا بكتابة بدائع الأزمان وهو أمر غير وارد فى زمان تأليف تاريخ محمد بن إبراهيم.

تاريخ محمد بن إبراهيم

(وديگر پسران قاورد در قلاع بودند. چون ركن الدولة سلطانشاه).

تاريخ ابن شهاب

(.. وديگر پسران او در قلاع بودند **قلعه كوچك كه آنرا گوهريه خوانند وچند جا نام عمر ومردانشاه بن قاورد بر ديوار نبشته است** چون ركن الدولة سلطانشاه).

هنا أيضا يتشابه مع المصدر السابق الذكر .

سلطان سوگند خورده بود كه شهر كرمان را خراب كند. تصديق سوگند سلطان را، يك برج از قلعه كهن كه آنرا برج فيروزه گفتند خراب كردند وسلطان...)

(سلطان سوگند خورده بود كه كرمان را خراب كند. تصديق سوگندا اور را يك برج از قلعه كهنه كه آنرا برج فيروزه **ميخوانند واين ساعت هنوز خرابست** خراب كردند وسلطان....).

وهنا أيضا يتشابه مع المصدر السابق الذكر:

(... وتخت ملك شيراز را بجمال عدل خويش جالى وچون فارس اورا مسلم شد).

(... وتخت ملك شيراز را بجمال عدل خويش بياراست **وشاهد عدل اين قصه محرابيست از سنگ مرمر در مسجد جامع شهر بردسير بر حواشي آن نهشته كه اين محراب از فيروز آباد فارس ملك قره ارسلان بيك بكرمان آورد** وچون فارس اورا مسلم شد).

لقد حذف محمد بن إبراهيم من نصه التاريخى قصة جلب المحراب من فارس ومرجع ذلك أنه إما أن يكون المحراب قد اندثر أثناء تأليفه تاريخه أو أنه لم يره ولم يطمئن إلى وجوده.

تاريخ محمد بن إبراهيم

ودر شهر بردسير ، بردر جامع تورانشاهى دار الكتبى فرموده مشتمل بر پنجهزار باره كتاب از جمله فنون وعلوم.

تاريخ ابن شهاب

(... ودر شهر بردسير، بر در مسجد جامع دار الكتب بنا فرموده است مشتمل بر مبلغ پنج هزار كتاب ازجمله فنون علوم **واين ساعت معمور ست وبرقرار**) .

لقد حذف محمد بن إبراهيم عبارة (واين ساعت معمور ست وبر قرار) والحق معه، ذلك لأن هذه المكتبة لم تكن قطعا عامرة فى زمانه .

(... وأمیر حسام الدین ایبك علی خطیب که در خدمت چغرانه بود مجروح کردید).

(... وأمیر حسام الدین ایبك علی خطیب که **این ساعت در قبض است** از مجروحان آن روز است ودر خدمت أمیر چغرانه بود).

والعبارات الآتیة أیضا من نفس المصادر السابقة الذکر:

وکار بجائی رسید که کرمان که در عموم وشمول امن ودوام خصب وفرط راحت وکثرت نعمت، فردوس اعلی را دوزخ می نهاد ویا سغد سمرقند وغوطه دمشق لاف زیاد می زد، **ویاندك روزی** در خرابی دیار لوط...).

(تا کار بجائی رسید که کرمان که در عموم عدل وشمول امن ودوام خصب وفرط راحت وکثرت نعمت، فردوس اعلی را دوزخ مینهاد **امروز** در خرابی دیار لوط..).

وهنا أیضا مثل سابقتها :

(اسپهسالار سیف الجیوش که مردی ظریف بود، می گفتی که در این لشکر کارکن هست کار فرما نیست؛ یعنی اتابك وملك را استخلاص این شهر وطریق آن بدست نیست).

(سپه سالاری بود، او را سیف الجیوش گفتندی، مردی ظریف بود **روزی در ذکر این کوشش بیفایده شروع کرده بودیم گفت ای فلان**، درین لشکرگاه کارکن هست، کار فرمای نیست، یعنی که ملك واتابك را طریق استخلاص این شهر بدست نیست).

قطعا فأن المخاطبة بکلمة (فلان) لیست موجهة إلى محمد بن إبراهیم ولایجب أن تکون فی تاریخه ومثلها:

(میترسم که شکلی حادث شود بتر از صلح. اگرچه از این سخن من له ادنی مسکه میدانست که سر رشته طایر است وجمعی از لشکر بیرون برو رود غدیر غدر عازم).

(می ترسم که حادث شود بتر از صلح. **من حاضر بودم وچون این کلمه شنیدم؛ دانستم** که شور وشر متطایر است وفوجی از لشکر بیرون در عزم غدر آمدند).

وهنا حينما استبدل اسم أفضل الدين بحديث المتكلم، فلاشك عندئذ فى أن هذا الأمر سوف يجيز له تحريف العبارة.

... ومع هذا فقد اجتهد محمد ابن إبراهيم كلما أتى فى موضع بكلمات أفضل الدين أو اسمه: أن يتخلص من اسمه بتحريف العبارة، وقد غفل أو سهى عليه فى عدة مواضع فافتضح أمره، وفى إحدى هذه المواضع من تاريخه قال:

(.. وقد أصبحت منازل وربض بردسير وقصور الصحراء، التى كنا نشترى شبرا واحدا منها بمثقال من الذهب المصفى قد هجرها البوم وهرب من خراباته خوف الوحدة ورهبة من تلك الأطلال).

هذه حكاية عن أحوال كرمان بعد هجوم الغز، ومنذ تاريخ هذه الأحداث وحتى الوقت الذى عاش فيه محمد بن إبراهيم ما يقرب من أربعمائة وخمسين عاما، ولذلك فقد رأى عمرانها وإعادة تعمير خراباتها مرة أخرى بنفسه، والوصف القائل (... وقد هجرها البوم وهرب من خراباتها خوف الوحدة ..) لاينسب إلا لشخص معاصر، وقطعا فإن أفضل الدين هو هذا الشخص المعاصر والمعاين لهذا المكان وليس محمد بن إبراهيم .

- كما قال عند ذكر أولاد قاورد:

(... ويقال إن له أربعين ابنة، زوج منهن ثمان لأولاد الولى الصالح شمس الدين أبى طالب زيد الزاهد النسابة المدفون بخبيص وهو جد الكاتب). لم ترد هذه المعلومة فى تاريخ ابن شهاب، أما المعلومة التى وردت فقد حرفت إلى : (وقد تواتر فى الروايات أنه كان له أربعون ابنة وبعضهن تزوجن من أمراء آل بويه والبعض الآخر من سادة خبيص). من الواضح أنه أمر بعيد جدا أن يعرف محمد بن إبراهيم شجرة أنسابه طوال ما يقرب من خمسمائة وخمسين عاما؛ وأن يبقى قبر جده بعد خمسة قرون ونصف فى خبيص، فإذا ما كان المقصود من كلمة (الكاتب) أن تعنى شخص أفضل الدين فإن المشكلة تنتهى لاقترابه من زمن الأحداث.

- كما قال فى شرح العمران فى عصر قاورد:

(من بداية البوابة حتى (فهرج بم) وهى أربع وعشرون فرسخا؛ شيد كل ثلاثمائة قدم علامات بارتفاع شخصين بحيث يرى من يقف عند بداية كل علامة ليلا؛ العلامة التالية، وقد شيدها حتى لايضطرب الخلق أو يتوه عباد الله) وبعد ذلك مباشرة حينما ذكر رحلته إلى سجستان عام ١٠٢٥ قال:

(ومع أن القليل من هذه العلامات قد بقى فإن المنارة المزدوجة فى مكانها)، (... وعند بداية البواية حيث تبدأ العلامات : بيت؛ وحوض ماء؛ وحمام مبنى من الآجر. وشيد بين الكرك والفهرج منارتين؛ إحداهما ارتفاعها أربعون ذراعا والأخرى ٢٥ ذراعا؛ وأسفل كل منارة نُزل للقوافل وحوض).

وحول نفس الموضوع قال:

(... ومن ناحية يزد وعلى بعد عشرة فراسخ منها بئرا وأجلس عليه عاملا والآن يطلقون عليه اسم بئر قاورد). من المحال أن يبقى بئر محفور لمدة خمسة قرون مكانه فى حين تخرب الأبنية العظيمة فى كل الدنيا من أثر الأحداث!! لذا من الصعب أن يبقى مثل هذا البئر والعلامات على حالها حتى زمان محمد بن إبراهيم ؛ خاصة وأنه هو بنفسه بعد أن ذكر هذه الآثار فى شرح رحلته إلى سجستان عام ١٠٢٥؛ قال:

(ولو أن علامات قليلة قد بقيت فإن المنارة المزدوجة باقية فى مكانها).

- وعند ذكر نفى الشيخ شمس الدين محمد روزبهان من كرمان بأمر ارسلان شاه؛ جاء فى متن تاريخه ما يلى:

(... ثم جاء شخص إلى الشيخ وقال : قد تأذى الملك منك؛ وهو رجل تركى. فقال الشيخ: نحن لانخاف من الأتراك ؛ نحن نخاف الشخص الذى قضى عمره وقد بسط يده يسأل الناس. ثم قام غاضبا وخرج من كرمان ؛ وقال : نحن نلقى بكرمان خلفنا. وفى هذه الأثناء كانت هناك ذئبة قد ولدت صغارا أسفل منارة الشاهيجان. وكان الشيخ المبارك كازر؛ وهو رجل صالح ومشهور وكثيرا ما كانت تظهر عليه مظاهر الولاية وقد صاحب شيخ الإسلام برهان الدين الكوبنانى؛ كان يقول : إن أى شخص لايتمتع بالجرأة ويمر بالشاهيجان وحيدا فإنه يصبح اجبن الناس خوفا من الذئبة المفترسة).

وموضوع خراب كرمان هذا يعادل عام ٥٧٠ أى الوقت الذى كان فيه أفضل الدين شاهد عيان للحوادث وسامعًا لرواياتها فاذا ما نقل قول الرجل الصالح المعاصر له بقوله : (إن الشيخ المبارك كازر ... يقول) فإن هذا ليس بمشكلة، ولكن أن ينقل محمد بن إبراهيم القول بعد خمسة قرون فإن هذا يستلزم أن يكون قد قرأه فى أحد المصادر التاريخية عن الشيخ المبارك؛ ولانعلم وجود مثل هذا المصدر التاريخى.

- وفى المواضع العديدة التى لايجد فيها محمد بن إبراهيم وسيلة لتحريف العبارات وتوجيهها؛ نجده يحذف تلك العبارات كاملة من السياق ، ومنها ما جاء فى تاريخ ابن شهاب:

(ونعود إلى بداية القصة فهى محنة بلا نهاية وداء بلا دواء. وقد جمع هذه الصفحات فى العام التاسع والثلاثين من وفاة الملك طغرلشاه، وفى كل يوم يتكدر ماء هذه الحادثة أكثر؛ ويتغير مزاج اصلاح أحوال كرمان أكثر) .

قطعا فإن (تاريخ هذه الصفحات) لايقصد به جامع التواريخ الحسنى الذى كان في عام ٨٥٧، إذ كيف يكون هذا بعد تسعة وثلاثين عاما من وفاة طغرلشاه فى عام ٥٦٦ هجرى قمرى، اى أول القرن السابع، والصحيح أنه يقابل أواخر عمر أفضل الدين، وأن المقصود من كلمة (هذه الصفحات) كتاب بدائع الأزمان لأفضل الدين.

- أيضا :

(وغرضنا من جمع هذا (التاريخ) ذكر تغيرات الدول وتبدل الملوك على وجه العموم، وإذا ما اهتممنا بجزئيات الوقائع والحوادث وأنواع المحن والفتن التى وقعت فى هذه الفترة فى كرمان؛ من عزل أو تولية الوزراء؛ والقاء القبض أو اطلاق سراح الأمراء. ومجىء أو خروج الغلمان، والأشكال البديعة أو الأعمال الفظيعة، والاقتتال الذريع والغارات الشنيعة، فإن هذه الصفحات ستصبح عشر مجلدات وقد أوردنا هذه الأخبار على سبيل المثال، والخوخ أسفل[١] حتى أصل إلى ذكر الغز وشرح فتنتهم. وقد نظمت قصيدة أثناء نوائب كرمان وحرائقها ومصائبها وقبيل هجوم الغز، فيها من الترصيع؛ ومدحت فيها مخلصا المصطفى صلوات الله عليه وقد دونت بيتا واحدا من هذه المرصعة يليق بهذا السياق:

- اغترفت الغم بيدى كما ترى : فلماذا تسأل ما هى الحكاية ؟ لقد احاطتنى المحنُ لذا انهمرت دموعى).

من المؤكد الضمير (أنا) فى العبارات السابقة لايمكن أن يرجع إلى ابن شهاب؛ وأن يكون الشخص الذى نظم (قبيل هجوم الغز قصيدة فيها الترصيع) ليس إلا أفضل الدين شخصيا).

* * *

من الجائز الآن الاكتفاء بما كتبته لاثبت ما ذهبت إليه من رأى ومع هذا فقد عقدت مقارنات أكثر مع نسخ أخرى موجودة بين أيدينا؛ وخوفا من إطالة الحديث فإننى اعتذر عن ذكرها

١- من خصائص أسلوب أفضل الدين الكرمانى الاستشهاد بالأمثال العربية كما سنرى، ويبدو أن معنى المثل (والخوخ أسفل) المتداول فى عصره يشبه معنى المثل الشائع الآن (وما خفى كان أعظم) : (المترجمة).

جميعا؛ ولكنني اتوجه إلى هدف آخر يرتبط بموضوع حديثنا وهو أن أبحث في الإجابة عن هذه الأسئلة: من من المؤرخين غير ابن شهاب ومحمد بن إبراهيم قد أفادوا من كتاب بدائع الأزمان لأفضل الدين؟ وكيف استفادوا ؟ وما هو قدر هذه الافادة؟

حتى الآن فإن حصادي من البحث والتقصي هو النتيجة التي وصلت إليها؛ التي تقول : إنه ابن شهاب ومحمد بن إبراهيم ثم حافظ آبرو؛ في القليل مما يلاحظ ؛ هم الذين استفادوا فقط من تاريخ الأفضل. وإذا ما كان هنالك مؤرخون آخرون قد استفادوا في تواريخهم منه؛ فهو القليل التافه الذي لايستدعي ذكره، لتوضيح هذا نلحق بالقسم الثاني من هذه المقالة نموذجا من هذه التواريخ. ويجب أن نعلم أن منهج الاقتباس والاستفادة من تاريخ الأفضل بين حافظ أبرو وبين ابن شهاب ومحمد بن ابراهيم ؛ متفاوت ؛ بمعنى أنه يتشابه معهما في أن جميع العبارات والموضوعات التي أوردها في تاريخه ؛ لم يوردها بدون حذف أو تدخل وتصرف فيها وإنما كان منهجه في بعض ما أورده أنه نقله بتلخيص له ولم يتصرف بالحذف لبعض العبارات أو الموضوعات (حول هذا الموضوع انظر مقالة المؤلف بعنوان رسالة أحوال وآثار ابن شهاب). وهنا ننقل بعض النصوص بهدف مقارنة منهج استفادة حافظ آبرو من كتاب بدائع الأزمان لأفضل الدين مقارنا مع ابن شهاب ومحمد بن إبراهيم ؛ وهذه النصوص قد وردت في مجمع التواريخ (بالتحديد في كتاب جغرافية حافظ آبرو) وتواريخ آل سلجوق وجامع التواريخ الحسني).

تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم	جامع التواريخ الحسنى:	مجمع التواريخ لحافظ آبرو:
(طغرلشاه دوازده سال وكسرى بر بساط نشاط وساحت راحت پشت پجهار پالش بازداد. ودر دور أو رواج أهل طرب ونفاق أصحاب لهو ظافر شد ورعيت بموافقت آسايش- الناس على دين ملوكهم	ملك طغرلشاه دوازده سال وكسرى بر بساط نشاط در ساحت راحت در سهو لهو نشست وپشت پجهار پالش آسايش باز داد ودر آن دور، رواجاهل ملاهي ونفاق أصحاب طرب ظاهر شد ورعيت بموافقت الناس على دين ملوكهم روى بمحراب	(طغرلشاه دوازده سال وكسرى بر بساط نشاط، در ساحت راحت پشت پجهار پالش آسايش باز داد وخراج از تمامت مملكت كرمان در مدت سلطنت خود بينداخت واندوخته وتوخته اسلاف وارتفاعات أملاك خاصة در وجوه اخراجات خود صرف

ومتابعت الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم- روی بمحراب میخانه نهادند ورکوع صراحی راسجود میکردند وروز کاری خوش میگذاشت. وقاعده ملوك کرمان چنان بودکه در ماه آذر از دار الملك بردسیر انتقال باز دولت خانه جیرفت کردندی ودر ماه اردیبهشت عزیمت بمعاودت بردسیر فرمودندی چنانچه هفت ماه موکب کبریا ومرکز عز وعلاء به بردسیر بودی وپنجماه به گرمسیر. پس در ماه اردیبهشت ۵۵۷ خراجی اتفاق کسوفی تمام افتاد در برج ثور بغایت هایل وسهمناك وهوا بمثابة تاریك شد که ستاره پیدا آمد. دیگر سال که ستاره پیدا آمد. دیگر سالی ۵۵۷ خراجی بود ملك طغرلشاه در جیرفت رنجور شد ودر بیستم فروردین در گذشت واو را چهار پسر بود)

میخانه نهادند ورکوع صراحی راسجود میکردند وروز کاری خوش میگذاشت وقاعده ملوك کرمان چنان بود که ماه آذر از دار الملك بردسیر انتقال باز دولت خانه جیرفت کردند ودر ماه اردیبهشت عزیمت معاودت بردسیر فرموندی چنانکه هفت ماه موسم گرما مرکز عز وعلا بسردسیر بود وپنجماه گرمسیر. بر سریر سرور جای همه بر بساط نشاط پای همه. پس ماه اردیبهشت سنه سبع وخمسین وخمسمائة اتفاق کسوفی تمام داشت در برج ثور بغایت هائل سهمناك چنانك هوا تاریك شد وستاره پیدا آمد ومرغان از درختان در افتادند . دیگر سال سنه ثمان وخمسین خراجی ملك طغرلشاه در جیرفت رنجورشد واورا چهار پسر بودند).

میکرد وخواص وعوام کرمان برموافقت أو بموجب الناس علی دین ملوکهم روی بمحراب میخانه نهادند ورکوع صراحی سجودمیکردند.

شعر

برسریر سرور جای همه

* * *

بربساط نشاط پای همه.

در شهور سنه سبع وخمسین وخمسمائة کسوفی تمام افتاد در برج ثور، چنانکه هوا تاریك شد وستاره پیدا آمد وملك طغرلشاه را چهار پسر بودند) .

واحد المصادر التاريخية التى نقلت صراحة تاريخ ولاية كرمان عن بدائع الأزمان؛ كتاب زبدة التواريخ لأبى القاسم الكشانى الذى كتب:

(.. إن تاريخ ولاية كرمان ومعرفة نواحيها وقصباتها وذكر الملوك منقول من كتاب بدائع الأزمان فى وقائع كرمان) .

ولكن النقل والاقتباس منه كان بقدر ضعيف جدا لايستدعى معه الذكر. وننقل هنا على سبيل المثال قسما من عبارات وقائع حكم عماد الدولة تورانشاه التى وردت فى جامع التواريخ الحسنى؛ وزبدة التواريخ للكشانى:

جامع التواريخ الحسنى

چون قباه ملك بر قامت او راست باستاد ساز عدل شاخت كه مردم نواحى انصاف نوشيروان فراموش كردند واز لطايف حسن سيرت مثلثى آميخت كه غاليه عهد عمر رضى الله عنه در جنب أو بوى نداد ودر نوبت لشكر بفاوس كشيد بقصد اتابك، أول نوبت مغلوب شد وباز كرمان آمد وتجهيز لشكرى ديگر كرد ورفت وآن رابشكست وفارس را گرفت. ودر عهد أو أهل عمان خروج كردند وشحنه كرمان را انزعاج كردند وولايت را باز خود گرفت ملك تورانشاه فوجى از حشم مسرعان را تجهيز فرمود وفرستاد تا از سكان آنولايت بعضى خوارج وبعضى روافض سر سفاهت شكستند وزنج وقاحت بستند وولايت باز قبض خويش گرفت ودر كتب رئيس أبو الكفاه در فتح عمان مشهور است وبر اين قصه گواه صدق. ووزير ملك تورانشاه صاحب ناصر الدين أتابك مكرم بن العلاء بوده است نام أو ساخته اند مثبت است ودواوين شعراء مفلق چون غزى وبرهانى ومعزى بحسن آثار وكمال بزگوارى أو شاهد عدل وعباسى در مدح أو ميگويد وتعرض وذم نظام الملك ميكند:

الشيخ يعطى درهما من بدرة
والصدر يعطى بدرة من درهم

زبدة التواريخ للكشانى

(در اثناى آن حال سلطانشاه وفات يافت ، برادرش تورانشاه را به پادشاهى نشاندند واو بار لشكر بفارس فرستاد بقصد اتابك نوبه أول مغلوب شد وكرت دوم غالب آمد وفارس وعمان مسخر كرد. وزيرش ناصر الدين أتابك مكرم بن أبى العلاء بود معاصر نظام الملك؛ عباسى در ذم نظام الملك ومدح أو گفته:

الشيخ يعطى درهما من بدرة
والصدر يعطى بدرة من درهم).

إن تاريخ سلاجقة كرمان كله الذى جاء فى كتاب زبدة التواريخ لأبى القاسم الكشانى (نسخة ملك السيد اسماعيل افشار) يقع فى احدى وعشرين صفحة فقط؛ والصفحة فى تسعة عشر سطرا من القطع الوزيرى، وهى بالمقارنة مع تاريخ كرمان الحسنى وتواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم؛ لاتتجاوز الواحد على خمسة عشر أو عشرين منها.

* * *

ما زلنا نذكر أن محمد بن إبراهيم قد اقتبس مباشرة من بدائع الأزمان لأفضل الدين وكان نص الكتاب بين يديه- ومع المقدمات السابقة- فاذا ما كان هنالك من استفاد بصورة غير مباشرة فيجب أن يكون إما كتاب جامع التواريخ لحسنى بن شهاب أو كتاب مجمع التواريخ لحافظ آبرو اللذان اقتبسا من تاريخ الأفضل بنفسيهما؛ وهذا أمر لانستطيع أن نجيزه أيضا. وذلك لأننا رأينا محمد بن ابراهيم يذكر فى عدة مواضع صراحة أفضل الدين الكرمانى وبدائع الأزمان، أما تاريخ السلاجقة كما جاء فى مجمع التواريخ أو جامع التواريخ فلم يرد فيه اسم أو عنوان هذا الكتاب أو مؤلفه ؛ علاوة على ذلك- وبالصورة التى رأيناها فى مجمع التواريخ- فإن موضوعات وعبارات تاريخ الأفضل قد ذكرت باختصار ، وكانت أكثر وضوحا فى كتاب جامع التواريخ الحسنى. وبطريقة ما فى بعض الموضوعات فقط رأينا مشاركة كلية فى العبارات بين هذه الكتب التاريخية الثلاثة. وأيضا فان ابن شهاب قد ذكر تاريخ السلاجقة ووقائع تاريخ سلاجقة كرمان وخراسان والعراق بصورة مختلطة على أساس اشتراكهم فى فترة زمنية واحدة، فإذا افترضنا أن محمد بن إبراهيم قد اقتبس موضوعات تاريخ السلاجقة للأفضل من كتاب جامع التواريخ لابن شهاب ؛ فلماذا لم يذكر ابن شهاب اسم الكتاب والمؤلف؟

من الواضح أن تحديد أى العبارات الواردة فى تاريخ ابن شهاب هى المنقولة من تاريخ الأفضل كان أمراً صعبا عليه ولذلك فأنه لايستطيع أن يصرح فى كتابه: بان الأفضل ذكر هذا فى تاريخه أو أورد ذاك، علاوة على أن المقارنة بين هذين الكتابين التاريخيين تهدينا إلى أن بعض الموضوعات قد وردت عند محمد بن إبراهيم بصورة مفصلة جدا أكثر منها عند ابن شهاب؛ وأن بعض الفصول التى أضافها كانت من كتاب الأفضل. ثم أنه من المعلوم أن محمد بن إبراهيم كان بين يديه منفردا نص كتاب تاريخ الأفضل، وأن ابن شهاب وحافظ آبرو كل واحد منهما على حدة قد استفاد من تاريخ الأفضل. وأيضا فأن تاريخ تأليف مجمع التواريخ لحافظ آبرو يسبق تاريخ جامع التواريخ الحسنى بأكثر من ثلاثين عاما، وأن ابن شهاب لم

يقتبس من تاريخ حافظ آبرو وأيضا ذلك أن موضوعات تاريخ سلاجقة كرمان فى كتاب مجمع التواريخ قد وردت أكثر تلخيصا من تلك التى وردت فى جامع التواريخ الحسنى ونستخلص مما سبق أن كتاب بدائع الأزمان لأفضل الدين- الذى كان فى الظاهر مفقودا - كان موجودا حتى القرن الحادى عشر الذى ألف فيه محمد بن إبراهيم تاريخه، ولانعلم بعد ذلك متى فقد؟ ومن الجائز أنه ما زال باقيا حتى الآن ولكننا لاندرى عن وجوده شيئا.

* * *

فى نهاية تاريخ آل قاورد اى سلاجقة كرمان لمحمد بن إبراهيم مبحث بعنوان (خاتمة فى ذكر الملك دينار وأولاده فى كرمان وجمع أخر على سبيل الإجمال حتى زمان طلوع رايات قتلغ سلطان الحاجب) ، ثم ينقسم هذا المبحث إلى عدة فصول .

أما وأن الحال كما ذكرنا فلا أقل من أن تكون هذه الخاتمة من إنشاء محمد بن إبراهيم أو يكون قد اقتبسها من آخر؛ فإذا ما كانت الأخيرة فمن المؤلف الحقيقى؟

فى هذه الخاتمة وخلافا لما ورد فى القسم الأول من تاريخه فإن محمد بن إبراهيم لم يذكر اسم فضل الدين أو بدائع الأزمان بأى صورة من الصور، وللأسف فإن ابن شهاب أيضا قد ذكر باختصار فى كتابه جامع التواريخ وقائع نهايات تاريخ سلاجقة كرمان، ولم يذكر عن عصر حكم الملك دينار سوى سطرين، كذلك فى مجمع التواريخ لحافظ آبرو لانجد أثرا لذكر تاريخ الملك دينار وخلفائه، وقد أوضحنا هذا بمقابلة العبارات ومطابقتها. ونحن نعتقد أن هذا الجزء أيضا هو ذيل لتاريخ بدائع الأزمان من تأليف وانشاء أفضل الدين الكرمانى شخصيا؛ ولتوضيح هذا نورد هذه القرائن:

رغم أن محمد بن إبراهيم- فى القسم الأول من تاريخه- قد ذكر صراحة اقتباسه من بدائع الأزمان حيث قال: (... وقد ذكر أفعالهم وأقوالهم التى رآها بعينه وسمعها بإذنه فى تاريخ بدائع الأزمان فى وقائع كرمان المشهور بتاريخ الأفضل). ولما كان الاعتماد على أقواله فأن تاريخ أكثر أحوال أولاد قاورد شاه قد استخرج من تاريخه). ونكتفى هنا بهذا القول (تاريخ أحوال أولاد قاورد شاه قد استخرج من تاريخه) ويقول محمد بن إبراهيم هذا ندرك أن بدائع الأزمان يحوى فقط تاريخ سلاجقة كرمان وأولاد قاورد وأنه قد استخرج تاريخ سلاجقة كرمان فقط من تاريخ الأفضل؛ والحقيقة أن الواقع لم يكن هكذا؛ فتاريخ بدائع الأزمان لم ينته بتاريخ آل قاورد؛ وكان أفضل الدين ما زال حيا يرزق بعد سقوط الإدارة السلجوقية فى كرمان، وكان ما يزال يرى ويعاين ويعمل فى الأعمال الديوانية بكرمان وذلك فى ديوان الإنشاء،

ذلك لأن كتاب عقد العلى للموقف الأعلى الذى صنفه عام ٥٨٤ قد كتب له مقدمة فى تاريخ قدوم الملك دينار قبل ذكر محاسن ومآثر الملك دينار فى القسم الأول- الذى هو أحد أقسام الكتاب الخمسة (فى ذكر دولة آل سلجوق وأيام ملك كرمان)-، فى هذا القسم وأيضا فى قسم تاريخ الملك دينار تشابهت الموضوعات وحتى الألفاظ والعبارات مع موضوعات نص تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم وخاتمته. وهكذا نصل إلى أنه أثناء تصنيف بدائع الأزمان وهو تقريبا عام ٦٠٦أى ستة وعشرون عاما بعد تصنيف كتاب عقد العلى؛ ومن أجل كتابة موضوعات تاريخ بدائع الأزمان قد رجع إلى مصنفه الأخر أى كتابه عقد العلى ليقتبس منه ويراجع عليه رؤوس موضوعات تاريخ سلاجقة كرمان. ولما كان يطمح إلى تصنيف تاريخ عام لكرمان فقد شرح وبسط فى ذكر نفس الموضوعات ، وقطعا إذا ما تكررت نفس الألفاظ والعبارات أحيانا عند ذكر موضوع فى بدائع الأزمان مع عقد العلى فاننا لانستطيع أن نقلل من ذلك؛ فإن مؤلفا له هذا القدر من القوة وكاتبا فصيحا بهذا المستوى؛ من الممكن ألايجد من أجل الوصول لهدفه الذى أوضحه فى مرة سابقة؛ عبارات وألفاظ أسهل وأفضل.

ونتقل هنا عددا من الموضوعات التى تتشابه فيها الموضوعات والعبارات حول تاريخ سلاجقة كرمان بين بدائع الأزمان وعقد العلى.

عقد العلى:

(در ماه اردیبهشت سنة سبع وخمسين وخمسمائة اتفاق كسوفى تمام هايل افتاد ، روز آدينه دو ساعت از روز گذشته ، جهان تاريك شد وستاره پيدا آمد ومرغان از هوا درا فتادند. سال ديگر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة روز هژدهم ماه فروردين ملك طغرل در جيرفت بجوار حق پيوست).

(ملك طغرل در جيرفت بجوار حق پيوست وامارت سلامت بنهانشد وعلامت قيامت پيدا آمد وتركان در شهر افتادند وچهارپاى أهل قلم ورعيت را بغارت ميبردند. خواجگان را در كوى پرهنه ميكردند وملك بهرامشاه كه سوم پسر بود از ملك طغرل

بدايع الزمان:

(در ماه اردیبهشت سنة سبع وخمسين وخمسمائة اتفاق كسوفى تمام افتاد در برج ثور بغايت هايل وسهمناك، چنانكه هوا تاريك شد وستاره پيدا آمد ومرغان از درختان درا فتادند . ديگر سال سنة ثمان وخمسين خراجى، ملك طغرلشاه در جيرفت رنجور شد ودر بيستم فروردين در كذشت).

(بامداد روز شنبه هجدهم ماه فروردين آواز بر آوردند كه ملك طغرل فرمان يافت واضطراب در شهر جيرفت افتاد وتركان وغلامان دست بتاراج وغارت برآوردند وجمله مراكب وستوران تاجيكيان وأصحاب قلم ببردند... فى الجمله بمجرد آن آوازه،

شاه باستظهار اتابك مؤيد الدين برين حال برملك مستولى شد).
(در كرمان مردى ظريف بود او را سيف الجيوش گفتندى . وروزى گفت در عهد ماهر خوشه گندم كه مى آيد برچمى باخود ميآورد.

بهرامشاه باستظهار قوت مؤيد الدين ريحان برتخت شد وبجاى پدر بنشست).
(سپهسالار أجل سيف الجيوش ميگفت كه در اين عهد هر خوشه كه از زمين برميآيد برچمى را از هوا بسر او ميآوردند).

ونحن نتخذ مما أوردنا هنا قرينة؛ فلو تطابقت الموضوعات والعبارات بين خاتمة تاريخ محمد بن إبراهيم وعقد العلى لكان هذا أيضا اقتباسا من ذاك التاريخ.

تاريخ محمد بن إبراهيم:

(... وچند سرهنگ جلد از آن اتابك يزد در آن قلعة بودند . در اثناى آمد وبر عقب آن زخم حصار گشاده شد. يكى از فضلاء كرمان حاضر بود، اين دو بيتى بگفت :
رباعيه:
تيرى كه بدو داد عدو پاسخ شاه
آمد بنظاره رخ فرخ شاه
وآورد كليد قلعه وپيش كشيد
شكرانه بوسه كه زد بر رخ شاه
ملك بعد از فتح ، سرهنگان را تسكين فرمود واز سختى ونرمى كمان استعلام كرد پس او ديگر سرهنگان را بدرقه داد).

عقد العلى:

(... در آن حصار جمعى كثيف از ترك وسرهنك وسواره وپياده ومردان روزگار ودليران كارزار. بنفس خويش با تنى چند معدود مصاف با أهل حصار درپيوست ودر آن سكر مجاهدت وعطش مغالبت چندان نزديك شد بديوار حصار، كه از قلعه تيرى بر روى مباركش آمد... هم در آن آمدند. ومن در اين حالت دوبيتى گفتم واز كوبنان بسر اور افرستادم ودرين معنى بهتر ازين جست نتوان گفت:
تيرى كه بدو داد عدو باسخ شاه
آمد بنظاره رخ فرخ شاه
وآورد كليد قلعه وبيش كشيد
شكرانه بوسه كه زد بر رخ شاه
(من چنان شنيدم كه در آن حالت معلوم شد كه تير كدام سرهنك انداخته است او را حاضر كرد وأحوال كمان وسختى أو به برسيد . پس فرمود بروتا چشم تو را آسيى نرسانند) .

ونلاحظ أن الموضوع واحد، وأن العبارات إلى حد ما متشابهة ؛ ولو كان أفضل الدين قد تناول موضوعه هذا بالشرح أكثر؛ وتوسع في ذكر مدائح الملك دينار أكثر، لكان كتاب عقد العلى ترجمة واقعية لأحوال الملك دينار شخصيا- الذى كان ما زال حيا فى تلك الفترة- وكان ذكرا للمحامد والصفات الخاصة به، ولقد أراد أفضل الدين أن يقدمه فى كتابه مستعرضا لفصاحته .

أما فى كتاب بدائع الأزمان فقد كان الملك دينار قد توفى ولذلك فقد جال القلم بحرية أكثر، مثلما ورد فى بعض الموضوعات وخلافا لكتاب عقد العلى؛ فقد تناول الملك دينار بانتقاد وتحقير وتطاول؛ فقد قال : (... والديالمة من ذوى الثروة والذين كانوا يقيمون بالولاية؛ كان يأخذهم بأشد العقاب ويثقلهم بطلباته حتى امتص خيراتهم. لكم كان حب المال غالبا على هذا الملك، وغل يده بشدة عن منح العطايا وأرهق الناس وضيق عليهم. فلاعجب فى أن خزانته- طوال الثمانية أعوام التى كان ملكا فيها- قد امتلأت بأنواع الأموال والبضائع والنقود بحيث تتجاوز حساب الكاتب واحصاء المحاسب . ولكن لم يحمل إلى أولاده من بعد وفاته ولو دينار واحد). هذا أولا.

وثانيا : فى كتاب بدائع الأزمان اقلال فى اللفظ وزيادة فى الموضوعات ، ذلك لأنه كان يطمح إلى تصنيف تاريخ بلاد كرمان دون النظر إلى شخصية محدده، ويقول محمد بن إبراهيم حول هذا الأمر: (وكان أحد فضلاء كرمان حاضرا؛ وانشد هذين البيتين) ومن يكون هذا الفاضل سوى الأفضل؟ وهو الذى يقول صراحة بنفسه فى كتاب عقد العلى: (فقلت حول هذا الأمر بيتين).

هناك شيء واحد فقط من الممكن أن يكون مدعاة للشك وهو أن يكون هناك مؤرخ آخر غير أفضل الدين ومحمد بن إبراهيم قد صنف تاريخا حول الملك دينار واستفاد فيه من كتاب عقد العلى لأفضل الدين ثم استفاد منه بعد عدة قرون محمد بن إبراهيم. ونحن نعلم أن مثل هذا التاريخ لم يسلط عليه الضوء- حتى الآن- فى أى تاريخ قط، فإننا لم نجد فيما اطلعنا عليه كتابا تاريخيا يسبق تأليف سمط العلى وبدائع الأزمان فى موضوع أحداث كرمان. ولم يذكر محمد بن إبراهيم اسم الأفضل عند ذكره منشد الرباعية المذكورة ليلفت النظر إلى أنه تعمد عدم ذكر اسمه فى الخاتمة وفى المقابل يذكر نفس الخاتمة مرة أخرى على النحو التالى: (حينما مضى عام على الاستيلاء على المدينة؛ وصل الوزير قوام الدين مسعود فى شهر شعبان سنة ٥٨٤ بنفسه وهو السيد الجليل سليل أسرة أكاسرة ووزراء كرمان القدماء؛ وقوام الدين نفسه هو خلاصة هؤلاء الأكابر ولب هؤلاء الأكارم؛ جبلت طينته على كمال العلم والحلم والحياء

والمروءة والعفو، وانتقل من دار العبودية إلى صدارة السعادة؛ وقال فى رثائه أحد فضلاء كرمان :

نظـــم

- سقطت شمس الشرف من قبة الفلك، ورحل عن الدنيا كنز الكرم.

- حيث انتزعت يد الأجل قوام الدين، فرحل.

وهو قوام الدين مسعود بن نظام الدين كيخسرو وزير الملك دينار، وكان يكن لأفضل الدين محبة زائدة الوصف، مثلما ورد فى عقد العلى فقد خصص القسم الرابع- وهو يشتمل على عدة فصول- لذكر : (المحاسن الشخصية وطيب اعراقه وشرف عنصره وعظمة أسرته) ، وجاء فى أحد فصول هذا القسم : (وصدر الدنيا الصاحب العالم العادل قوام الدولة والدين أدام الله ظله وهو من هؤلاء الأكابر والأماثل وهو اللسان العفيف والأصل النقى، جبلت طينته المباركة على كمال العلم والحلم والكرم والمروءة والحياء والعقل). وعندى ظن يكاد يقترب من اليقين وهو أن الرباعية التى قيلت فى رثاء قوام الدين والتى عرفها محمد بن إبراهيم هنا بأنها لـ (أحد فضلاد كرمان) كانت للأفضل نفسه؛ وهى أيضا نفس الرباعية التى انشدت حينما عاد الغز إلى كرمان ووردت فى الخاتمة : وهى:

- أيها الساقى لقد عادت تلك الكأس المرة مرة ثانية، كما أعادت القيثارة ترديد ألحانها السيئة.

- لم يجل بخاطر أحد عودة الغز؛ ولكن مضى فعلنا السىء وعاد الغز مرة أخرى.

وهى من الممكن أن تكون للأفضل فقد كان حاضرا ومعاينا من هجوم الغز المتكرر.

وأيضا هذه الرباعية التى يقول عنها (قال له أحد أهل الفضل هذه الرباعية) :

- أيها الملك؛ يا ملك العجم؛ يا من يزين مفرقه تاج الاحتشام.

- فيك كل الفضائل ؛ اللهم فابعد عنه عين الحسد ؛ ليس بك عيب واحد وإنما العيب فى الرعية.

ووفقا لنفس القرينة فهى أيضا لأفضل الدين.

سبق أن قلنا منذ قليل فى نفس هذا الفصل أنه ورد سطران فقط عن أحوال الملك دينار فى جامع التواريخ الحسنى، وأن نفس العبارات والألفاظ تتطابق أيضا مع نص الخاتمة ؛ وهى كالتالى:

جامع التواريخ الحسنى:

(... ونعمت فراوان وچنان معمور شد كه در كرمان گندم چهار صد من بيك دينار ودر بم هفتصد من ودر جيرفت هزار من...) .

تاريخ محمد بن إبراهيم:

(... خصبى مفرط روى نمود وهرگز در بردسير چهار صد من گندم بديناری نبوده است مگر در عهد او؛ ودر بم هفتصد من ودر جيرفت هزار من ..) .

هناك حقيقة أخرى ولكن لانستطيع أن نتخذ منها قرينة؛ وهى أن طريقة الأفضل عند تركيب الجمل هى إذا ما كان هنالك فى الجملة فعلان أو أكثر معطوفان على بعضهما وكان الفاعل لهذه الأفعال فى صيغة الجمع فإن الفعل الأول فى الجملة يأتى مطابقا لصيغة الجمع أما الأفعال الأخرى فتأتى بصيغة المفرد. وقد روعيت هذه القاعدة فى أغلب موضوعات كتاب عقد العلى وكتاب بدائع الأزمان؛ وكذلك نرى هذا الأسلوب فى خاتمة تاريخ محمد بن إبراهيم كلها، فإذا ما كان هذا التركيب غير متداول فى النثر الفارسى القديم لكان نادراً ما نراه، ولكان وجوده لايتعدى النماذج النثرية فى القرون الخامس والسادس والسابع، ولكان هناك تباين واختلاف مع أسلوب انشاء القرن الحادى عشر ومحمد بن إبراهيم . ولكن لما كان الأمر كما رأينا فأننا نظن أن محمد بن إبراهيم قد نقل نفس عبارات أفضل الدين فى خاتمة تاريخ آل سلجوق. ونذكر هنا عدة شواهد نقلناها من كتاب بدائع الأزمان وعقد العلى ومن خاتمة تواريخ آل سلجوق.

بدائع الأزمان : (... بعضى خوارج وبعضى روافض سرسفاهت **شكستند** وزنخ وقاحت **بربستند** وولايت باز قبض خويش **گرفت**). و(... وشمشير در أهل فارس **نهادند** وخلقى بسيار **هلاك كردند** وقومى را در قبض آورد) و(.. وشحنه بيردسير **فرستادند وفرمود**). و(... سر دفتر أبطال خراسان ودر خدمت تورانشاه بود. أول وهلت أو را در **قبض آوردند** ودر لشكرگاه در زنجير **كشيد**) .

عقد العلى : (... واز جيرفت بوى **مينوشتند** ودر ضبط ولايت وحفظ شهر وصايا **مى فرمود**، وهر روز اضطراب جانب زيادت مى شد ولشكرى غداير غدر تاب **مى دادند** وبركوش كفران **مى نهاد**). و(... چون چند غلام وحشم از خيلخانه اتابك قطب الدين محمد **برفتند** وحال مشاهده **كرد**). و(... سه روز هر بامداد لشكر فارس بدر شهر **مى آمدند** وحلقه واستفتحوا، مى زد وجواب وخاب كل جبار عنيد، **مى شنيد**) و(.. كه خاصه خدم أو بلكه عامة رعايا كه بيش از اين در كليم فاقت ووطاء حاجت **بودند** اين ساعت بر وساده سيادت

متكى است وبرغوش استغناء مستوى). و(... ولشكر حصار چون از گريبان صلح سر برنياوردند؛ لابد ، دست در دامن جنك زدند وهر روز دو وقت سوار وپياده از شهر وقلاع بيرون مى آمد) و(... روز؛ همه روز، رعيت را تكليف قسمت مى نمودند وشب بربار ومى فرستادتا باس دارند).

خاتمة تواريخ آل سلجوق : (... أولاد مجاهد الدين بحكم اتصالى كه بايزد داشتند، لبلس عصيان پوشيدند وكاس طغيان نوشيدند وشحنه ملك دينار را قبض كرد وبيزد فرستاد ولشكرى از يزد استدعا كرد). و(حشم غز چون از فتح آگاه شدند همه دنبال تبصيص بجنبانيدند وعذر تقاعد خدمت نهاد). و(چون شهر مسلم شد، او را در شهر آوردند ومحبوس داشت). و(ومقيمان ولايت از عوادى قحط ودواعى قسمت جلا مى كردند وبسيستان وديگر اطراف مى شد). و(.. او را بر بى گناهى برنجانيدند وچند روز محبوس داشت). و (واز جمله سرهنگان چهار شخص در پيش افتادند وپاى بر درجات ترقى نهاد) و(... سوم نوبت، آنجا دست تغلب بر آوردند وپاى تسلط پيش نهاد) و(... بى رخصت دست در انبار نهادند وبكس وناكس ميداد) .

فقط فى الفصل الأخير من الخاتمة وحجمه صفحة واحدة بعنوان (مقالة عن سائر أحوال كرمان على سبيل الإجمال حتى سنة ٦١٩ والتى فتحت فيها كرمان على يد قتلق سلطان براق الحاجب). وهى - فقط- بقلم محمد بن إبراهيم نفسه، وهو يقول فى نفس هذا الفصل : (لم نصل فى كتب التواريخ النقلية إلى ما وصلت إليه الأحداث بعد خروج مدينتنا بم وجيرفت من يد الأمير مبارز؛ وما هى آخر أعمال الغز، وماذا حدث لمدينة بردسير حينما خرجت عن سيطرة حشم فارس، وهو أمر يقوم على القياس والظن) .

وهكذا ندرك أنه لايمكن أن يكون هناك تاريخ فى أحوال كرمان إلا عقد العلى وبدائع الأزمان لأفضل الدين وبعدهما كتاب سمط العلى، ولما كانت تكملة هذه الوقائع ليست فى كتاب عقد العلى وأن كتاب سمط العلى أيضا لايحتوى على أهم الأحداث بعد عام ٦١٩، فلايبقى إلا كتاب بدائع الأزمان.

ولما كان أفضل الدين قد ختم تاريخه بوقائع عام ٦٠٦، وقطعا كما قال محمد بن إبراهيم (لم نصل إليها فى كتب التاريخ النقلية) ولاحيلة فى أن يعتمد تفكيره على (القياس والظن)، فكان يجب أن يقدم خلاصة لثلاث عشرة سنة فى صفحة واحدة حتى يكمل تاريخ بدائع الأزمان بسمط العلى .

ما ذكر فى هذا المجال حتى الآن هو قرائن ودلالات من أجل إثبات ادعائنا الذى ذكرناه، ولكن الدليل القاطع على هذا الادعاء هو الأسلوب نفسه، أسلوب النثر الفارسى فى كتاب تواريخ آل سلجوق. أنه ينتمى إلى العصر الصفوى واعنى به العصر الذى احتوى على احط درجات ومراحل الأسلوب حيث اختفت السلاسة والاستقامة ؛ وهكذا يتضح أنه بعيد جدا جدا عن أكثر التركيبات استقامة وعن أجمل الألفاظ فهل مثل هذا النثر الجميل البعيد عن التعقيد والتكلف يخرج من قلم محمد بن إبراهيم . إن نظرة اجمالية إلى عبارات محمد بن إبراهيم (وموازنة ذلك أمر سهل) ومقارنتها مع ألفاظ وعبارات بدائع الأزمان عند أهل الفن والذوق لاتترك لهم أى تردد فى إدراك التفاوت فيما بينهما وأن الفرق فى الأسلوب بقدر الفرق بين السماء والأرض.

كيفية تصنيف بدائع الأزمان

تقسيم محتويات بدائع الأزمان

بتدقيق النظر فى نصوص جامع التواريخ الحسنى وتواريخ آل سلجوق تبين لى- طوال ما كنت أنظر فيهما- أن كتاب تاريخ الأفضل يشتمل على مقالتين وخاتمة واحدة أو مقدمة ، ثم موضوع واحد وخاتمة؛ على هذا النحو:

المقالة الأولى أو المقدمة: ملخص عن تاريخ أسلاف السلاجقة والأمراء السلاجقة فى العراق وخراسان .

المقالة الثانية أو الموضوع : الوقائع التاريخية لسلاجقة كرمان.

الخاتمة : تاريخ حكم الملك دينار وخلفائه حتى أحداث عام ٦٠٦ .

وللأسف فإن المقدمة أو المقالة الأولى من هذا التاريخ ليست فى أيدينا ؛ والنسخة الوحيدة التى قدمناها هى نفسها التى طبعها هوتسما عن تواريخ آل سلجوق لمحمد بن إبراهيم ؛ واعتذر عن طبع مقدمتها. ومن الواضح أن هذا الموضوع القصير السطور فى بداية بدائع الأزمان منقول عن جامع التواريخ الحسنى؛ يؤيد هذا أنه غير موجود فى التاريخ المنشور لمحمد بن إبراهيم، بمعنى أنه تأكد بذلك أن عبارات هذا الموضوع هى جزء لاينفصل عن الموضوعات التى طبعها هوتسما فى تاريخه؛ وليس هناك اختلاف فى أسلوب الإنشاء أو تسلسل الموضوعات. علاوة على أنه ورد فى التاريخ الذى نشر ما يلى : (... وحينما سلمت فارس إليه؛ قتل أخوه الأكبر ألب أرسلان محمد الذى كان ملكا على إيران بعد عمه طغرلبيك عند

شاطىء جيحون على يد يوسف البرزمى مثلما ورد ذكره فى المقالة الأولى). وهذا ما ذكر فى نص وحاشية بدائع الأزمان . وهكذا ورد الموضوع هنا عند ابن شهاب ومحمد بن إبراهيم؛ وكان بينهما اختلاف جزئى؛ ولكن على كل الأحوال فقد وردت أيضا فى جامع التواريخ مع اختلاف فى العبارة، وقد ورد الموضوع كما يلى: (وحينما سلمت إليه مملكة فارس ومثلما وضح فى قصة السلطان ألب ارسلان محمد الذى سقط عند شاطىء النهر، واجلس - السيد نظام الملك بحسن تدبيره- السلطان ملكشاه على العرش وقد انتهت بقصة المصاهرة التى سبق شرحها..).
ومرة أخرى أورد محمد بن إبراهيم الآتى:

(.. وحينما جاء الربيع؛ جاء الملك دينار إلى أبواب بردسير مثلما شرح فى الخاتمة)، وأيضا (... مثلما سيدون فى الخاتمة بالتفصيل ، واتصل به الغز...) .

تاريخ تصنيف بدائع الأزمان:

كتب ابن شهاب فى تاريخ سلاجقة كرمان : (... ووصل الأمر إلى حد ان كرمان التى كانت كالفردوس الأعلى فى عموم العدل وشمول الأمن ودوام الخصب وفرط الراحة وكثرة النعمة؛ أصبحت جهنم. واليوم وقد تعرضت لضربات ثلاث فقد أصبحت فى الخراب كديار لوط وبلاد سبأ. وأعيد القصة مرة أخرى من أولها فهى محنة بلانهاية وداء بلا دواء ، وقد كان تاريخ جمع هذه الصفحات بعد تسعة وثلاثين عاما من وفاة الملك طغرلشاه - ورغم هذا- فإن ماء هذه الأحداث مازال أكثر تعكيرا ومزاج اصلاح أحوال كرمان أكثر تغيرا...) . بناء على قول أفضل الدين نفسه فإن (وفاة طغرلشاه كانت فى ٢٠ من شهر فروردين عام ٥٥٨ الخراجى، ومرة أخرى يقول فى شهر اسفند من عام ٥٥٨ الخراجى الموافق لعام ٥٦٦ الهجرى، وأن جلوس طغرلشاه ووفاة محمد شاه كان فى ٦ من شهر جمادى الأولى عام ٥٥١ الموافق ٥٤٤ خراجى)، وبناء على هذا التأريخ فإن هناك اختلافا بين العام الخراجى والقمرى يقترب من ثمانية أعوام ولذلك نزيد هذه الأعوام الثمانية على عام ٥٥٨ الخراجى حتى يتضح لنا الهجرى وهو ٥٦٦ (تاريخ جمع هذه الصفحات) ، وبذلك يصبح جمع بدائع الأزمان وهو بعد ٣٩ عاما من وفاة طغرلشاه؛ أى عام ٦٠٥هجرية . وكانت آخر عبارة فى التاريخ المنشور لمحمد بن إبراهيم بقلم أفضل الدين هى: (.. وفى آخر جمادى الأولى من سنة ٦٠٦ ألقى الصاحب العادل فخر الدين صدر الإسلام والمسلمين بحكم وزارته ظل الإقبال على ممالك كرمان وتشرفت هذه الخرابة بعظمته).ثم هناك ظن قوى يكاد يصل إلى اليقين وهو أن تاريخ نهاية تأليف بدائع الأزمان هو نفسه جمادى الأولى من سنة ٦٠٦، وقد وصلنا إلى هذا التاريخ وفق حساب عام ٦٠٥ السابق

الذى قام به أفضل الدين بنفسه، وليس بينهما اختلاف غير عدة شهور فقط. ولما كان كل شهر قمرى وشمسى قد أورده الأفضل فى تاريخه قد حدده مطابقا للآخر وفق حساب دقيق للنجوم فمن الجائز أن يقع بينهما الاختلاف فى عدة شهور.

* * *

كيفية ترتيب وتوفيق النسخة الحالية:

ككاتب راعيت فى تنظيم موضوعات وتنسيق عبارات هذا التاريخ الحقائق التالية:

١- إن العبارات والموضوعات الخاصة بتاريخ سلاجقة كرمان فى كتاب تاريخ ابن شهاب ونظيرتها فى تاريخ محمد بن إبراهيم ؛ التى عرفت بدون أدنى تردد أنها من إنشاء أفضل الدين ومن نصوص بدائع الأزمان؛ قد نقلتها وأوردتها فى نص الكتاب دون أية علامات أو إشارات.

٢- كل ما ورد فى جامع التواريخ الحسنى ولم يرد فى تواريخ آل سلجوق وكان عن طريق نقل او راو لحكاية على لسان مشاهد ومعاين ؛ فقد عرفت أنه أيضا من إنشاء أفضل الدين فأوردتها بين قوسين [ ] .

٣- كل ما لم يرد فى جامع التواريخ الحسنى وكان واردا فى تواريخ آل سلجوق ؛ وعلمت أنه أيضا من نص بدائع الأزمان وضعته بين قوسين ( ) .

٤- كل الموضوعات التى وجدتها فى تاريخ محمد بن إبراهيم وترتبط بأحداث سلاجقة كرمان وتتشابه فى الأسلوب مع سائر موضوعات بدائع الأزمان، عرفت أيضا أنها من سقطات ابن شهاب ؛ وضعتها أيضا بين قوسين .

٥- إذا ما وقع اختلاف فى الموضوع بين الألفاظ والعبارات؛ عرفت أن الأصل عند ابن شهاب واوردته فى النص، أما الفاظ محمد بن إبراهيم فقد اوردتها فى الحاشية على أساس أنها نسخة بديلة ، إلا إذا كان هذا سهوا واضحا فى جامع التواريخ الحسنى.

٦- حينما لايكون هنالك اختلاف بينهما فى الألفاظ والعبارات ولكن فقط فى مكان الجمل والعبارات ، راعيت ترتيب ابن شهاب؛ ولم أذكر هذا الاختلاف وأغفلته فى بداية التاريخ (فى الحاشية) فقط .

٧- حينما أجد أخطاء املائية فى تاريخ ابن شهاب (ونظرا لجهل الكاتب فهناك الكثير من هذه الأخطاء) وفى نفس الوقت كان الصحيح واضحا فى نص محمد بن إبراهيم؛ فإننى

أصححه دون الإشارة إلى ذلك، فإذا ما كان هناك سهو فى نص تاريخ محمد بن إبراهيم وليس هنا مثله؛ فإننى اعتمد على نص ابن شهاب.

٨- لم أهتم بالاختلاف فى الاملاء للإعلام ولم أراع النسخة البديلة واكتفيت بالمشهور.

٩- أوردت عناوين تاريخ ابن شهاب الواردة وغير الواردة التى تتفق -تقريبا- مع عناوين تاريخ محمد بن إبراهيم على وجه العموم.

١٠- أوردت فى الكتاب الذى بين أيدينا نص تاريخ سلاجقة كرمان من بدائع الأزمان، بمعنى أنه لم يكن لدى المقدمة والخاتمة؛ ومع هذا فإننى على يقين من أنه لأفضل الدين، وأننى لم أنقل لأن النسخة الأخرى التى استطيع أن أقارنها مع نص محمد بن إبراهيم بالقطع لم أجدها، وأحسب أن نقل صورة طبق الأصل عن نص منشور أمر لايجدى .

* * *

وهنا على أن أذكر فى نهاية هذا التمهيد ، إن ترتيب الموضوعات وتنسيق عبارات التاريخ الذى بين أيدينا- رغم المشكلات التى صادفتنى فى التنظيم - فإن أغلبها قد جاء وفق سليقة كاتب هذه السطور، ولا استطيع الادعاء باى طريقة بأن أفضل الدين الكرمانى. قد كتب نفس هذا القسم؛ ولكن استطيع أن أقول وبجرأة أن تسعين بالمائة مما ورد فى الكتاب الذى بين أيدينا هو بقلم أفضل الدين، وأكرر- فقط على سبيل الاحتياط- إذا ما وردت عبارات أو موضوعات أكون قد قصرت فى توضيحها وتكون منسوبة إلى أفضل الدين؛ فأرجو التغاضى عنها.

دكتور

مهدى بيانى

طهران، آذرماه ١٣٢٦

الترجمة العربية
للنص الكامل لكتاب
بدائع الأزمان فى وقائع كرمان
المعروف بتاريخ الأفضل

تأليف

أفضل الدين أبى حامد بن حامد الكرمانى

قصة ملك ركن الدنيا والدين عماد الإسلام والمسلمين قاورد بن چغرى بيك المعروف بـ قره أرسلان

... حينما وصل إلى دار الأمان كرمان فى شهر شعبان سنة ٤٤٢ الملك قاورد وهو ابن چغرى بيك وكان شجاعا عادلا ذا همة ولقبه عماد الدولة؛ وكان اسمه قاورد بن داود بن ميكائيل أما نقش خاتمه فهو قره ارسلان بيك بن چغرى بيك، أمر عماله فى كرمان أن يثبتوا هذا الخاتم. وحينما مهدت له دعائم الدولة وأمنت له سلامة القصر ورسوم كرمان؛ عزم على التوجه إلى هناك. وفى هذا الوقت كانت أمور المملكة فى يد قديرة هى يد با كالنجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة[1] وكان تحت سلطانه جميع ممالك فارس وكرمان، وكان قد أمر بان يتخذ من شيراز مقرا للحكم؛ وأن ينيب عنه فى كرمان نائبا له؛ وكان اسمه بهرام بن لشكرستان بن ذكى من أبناء الديالمة. وكان لشكرستان رجلا غنيا ذا حشم؛ وقد قيل عنه هذا الشعر:

– لو كان العادلون فى الدنيا اثنين وليس واحد، فهما العادل (جل شأنه) ولشكرستان بن ذكى.

١– هو أحد أمراء بنى بويه، ذكره ابن الأثير فى كتابه باسم أبى كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة. خطب له فى بغداد بالملك عام ٣٤٦هـ هجرية بموافقة الخليفة القائم بأمر الله. كان أول من تلقب بلقبين من أمراء الديالمة وهما (تاج الملة) و(شمس الملة) . (انظر ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٤٠) .

وكان عند قاورد من أنواع الخدم الأتراك خمسة أو ستة آلاف رجل وجميعهم يعيشون فى بيوت حسنة ويرتدون ثيابا مذهبة وشغلهم الشاغل يوميا هو بغض الأعداء؛ ورفع لواء الملك والدين ثم تهيئة فراشهم ليلا.

شـــعر

- جميعهم بالرماح الخطائية منشغلون ، وكلهم بالسيوف الهندية يلعبون.

- إن فرس رستم المدعو رخش؛ هو تحتهم كالشبل الغرير، والحراب فى أيديهم كأنها ثعبان يتلوى.

وكان فى مدينة بردسير حفنة من الديالمة العجزة المساكين مع بهرام لم تقع أعينهم قط على جيش الترك ولم يستمعوا مطلقا إلى عزف سواعدهم بالقوس. ولم يكن فى ربض مدينة بردسير عمران قط (وفى أيام دولة السلاجقة - أنار الله براهينهم- عمّر ربض بردسير) ؛ ونزل بهرام المدينة وقد ألقى الديالمة بعده سهام كانت فى حوزتهم ولكن هلك منهم عدد كبير بحراب الترك، وقد نقل بهرام صورة هذه الحادثة إلى بلاط الملك باكا لنجار فتمادى لفترة فى اعانته ولم يتمهل وجيزة ليدرك شدة بأس القاوردية. ثم رأى بهرام أن من مصلحته ومصلحة رعيته التوافق والتصالح مع قاورد، وبعد تبادل الرسل وأهل الشفاعة بينهما قرروا أن يسلم بهرام الولاية وأن يزوج ابنته إلى قاورد . وفى أثناء التفاوض من أجل الاتفاق تقدم الملك باكا لنجار بجيش كبير جرار من شيراز متوجها لحرب قاورد. ولما كان بهرام قد جعل من الترك كعبته وأصبح ميمما وجهه لمحبتهم ؛ ومونيا ظهره لصحراء الولاء للديالمة ؛ فقد أرسل شخصا لاستقبال باكالنجار فى الطريق كما استخدم جارية من خاصة خدم باكالنجار المقربين وخدعهما بالمال والوعود حتى تضع السم لبا كالنجار الذى نزل فى خناب، وحينما سمع جيشه عن قوة الأتراك وشوكة الملك قاورد عادوا من هذا المكان متجهين إلى فارس وسلموا بلاد كرمان لقاورد.

وكان الملك قاورد ملكا عادلا سياسته هى من جد وجد، وكان مدبرا ومعمرا وجريئا مظفرا؛ رايات دولته فى عالم الفتوحات منصورة؛ وآيات إقباله فى الملك مسطورة على صفحات الزمان، ولبراعة صنعته فى تأسيس دعائم حكمه فيها ، أكل احفاده جميعا من مكاسبه؛ وكان منامهم بالليل وراحتهم فى النهار نتاجا لسهره وتعبه. ومن خصائص سياسته واخلاقه الملكية هذا الأمر: إنه قد بالغ فى الحفاظ على العيار النقدى الذى سكه حتى أنه بقى لمدة أربعة وعشرين عاما- هى مدة ملكه- دون أن يزاد أو تنقص قيمته ولو نصف ذرة ولاعجب فى أن ترجح العملة القاوردية فى تلك الفترة على جميع العملات. ويقال أنه لم يسمح قط بأن يقدم إليه على المائدة طعام من لحم الحملان أو صغار الماعز، ولم يسمح أيضا للقصاب بأن يذبحها

جهارا نهارا، وكان يقول : إن الشاة الصغيرة طعام لرجل واحد وبعد عام واحد تصبح طعاما لعشرين رجلا، ولقد أعان على تربيتها فكانت ترعى العلف فى الصحراء وتسمن.

وحينما جلس على عرش السلطنة فى دار الملك بردسير أمر بالتعرف إلى طبقات الرعية وأمر بأن يرى كل طبقة من الشعب. وكان قاضى الولاية فى تلك الفترة هو القاضى فزارى، وكان رجلا طويلا عريضا متجملا؛ انيق الثياب جدا؛ وكان يعقد عمامة من القصب المصرى ويرتدى عدة أطالس فوق بعضها. فلما حضر إلى بلاط الملك قاورد مع كهل يرتدى عمامة وعباءة بيضاوتين وفى يده محبرة فاستفسر عن حالهما وعملهما ؛ فقالوا: هذا القاضى الشرعى وهذا كاتب أحكامه . فقال قاورد: إن هذه الثياب العظيمة ليست ثياب القضاة؛ إن ثياب القضاة هى التى يرتديها هذا الكهل . إن هذا هو الوزير وذاك هو القاضى. وفوض منصب وزارته إلى القاضى فزارى وسلم مسند القضاء إلى الكاتب. وكان هذا الكهل هو القاضى أبو الحسن جد قضاة كرمان. وقد أوصى القاضى والشحنة[١] وعمال كل ولاية بالعدل. وحينما استقر فى المملكة تيسرت له الفتوحات والانتصارات واجتمع حوله جيش كبير وحشم لايعد ولايحصى ولم تف هضاب وجبال الأصقاع الباردة برواتبهم ؛ فإن أساس المال والعطايا فى كرمان من الأصقاع الدافئة. وكانت الأصقاع الدافئة فى يد قوم الكوفج (جماعة القفص)[٢] وكانوا قد استولوا عليها منذ زمن بعيد نتيجة لضعف الديالمة وتسيدوا عليهم

١- الشحنة أحد المناصب الإدارية التى استحدثها السلاجقة؛ ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقى ومهامها مهام بوليسية وادارية وحربية . وصاحبها يقوم بادارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها وملاحقة الخارجين على النظام ومعاقبة المسيئين؛ وهى تشبه وظيفة حكمدار المدينة أو مدير الأمن. (أنظر د. محمد عبد العظيم، نظم الحكم واهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام، دكتوراه من آداب الزقازيق ، ص١٧٥ .

٢- جبال القفص تقع فى المفازة الكبرى لكرمان عاشت فيها عصابات البلوج (عربت البلوص). وهم قبائل جبلية تنسب إلى قبيلة كوج وقبيلة بارز التى اتخذت اسمها من اسم جبال بارز فى كرمان. ويقال أن القبيلتين اختلطتا واشتهرتا باسماء الكوج ؛ والبلوج؛ والكوفج (انظر محمد إبراهيم باستانى باريزى، وادى هفت واد، جلد نخست، تهران، ٢٥٣٥ شاهنشاهى ، ص٣٦٩: ٣٧٦) وكانت مفازة كرمان فى ذلك الزمان مخيفة لوجود عصابات البلوج بها، وصفهم المقدسى الرحالة بأنهم لاخلاق لهم، وجوههم وحشة وقلوبهم قاسية لايبقون على أحد حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار وبطريقة وحشية، يدّعون الإسلام (إلا أنهم أشد على المسلمين من الروم والترك) (انظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس واخر، ط٢، ١٩٨٥، ص٣٦٢) .

وكانت أعدادهم كثيرة ولضعف شوكة الديالمة لم يتيسير قمعهم، وكانوا منتشرين فى جميع الأصقاع الدافئة من جاوفت[1] نزولا إلى شاطىء البحر وحتى حدود فارس وأطراف خراسان . وكانوا يجلبون المال من اللصوصية وقطع الطريق ويعودون به إلى ولايتهم. وفى عهد الديالمة ساق معين الدين أبو الخير الديلمى الجيش إلى هناك واستقبله زعيم القفص واعد له كمينا فى شعب درفارد وسربزن وفجأة اغار على جيشه وأسره وتغلب على جنده ولم يتعرض لهم أحد آخر من الديالمة. وحينما رويت هذه القصة على الملك قاورد أدرك أنه لن يستطيع اقتلاع جذور البغى والفساد لهؤلاء القوم بالمجاهرة والمكابرة- وإذا لم تغلب فأخلب- واتخذ من الحيلة أسلوبا لتدبير شأنهم ؛ فأرسل إلى زعيم القفص منشورا يعترف بهم مع هدايا غالية ورد فيه: اننى أهبك أمر ولاية الجروم[2]، ونيابة الملك من سفح درفارد وسربزن حتى ساحل عمان، وذلك لأننى تركى ولايوافق مزاجى ومزاج حشمى الطقس فى الأصقاع الحارة. وأنه لابد من إرسال نائب إلى هناك؛ وأن أى نائب تقدر على إرساله نيابة عنك سيكون اليق. وفى هذا الوقت كان مقام جماعة القفص مع أتباعهم فى جبل بارجان. وأرسل قاورد سرا إلى سيد من معارفه المقربين كان قد أرسله مرتين أو ثلاثة برسالة إلى زعيم القفص ، وكانت الحيلة التى فكر فيها هى:

أن يختلف معه ثم يتهمه بعد ذلك بانه كان يراسل أحد أعداء الملك ويأمر على ملأ من الناس بطرده من الخدمة وقطع مرتبه ورزقه؛ واستيلاء الديوان على أملاكه وأمواله ثم يأمر بنفيه من المملكة. أما هو فبناء على معرفته السابقة بزعيم القفص ، يذهب إليه ويشكو إليه سيده ويستعطفه قائلا: بناء على المحبة الشديدة التى بينك وبين قاورد؛ ولأنه لايدع طلبا لك- بأية حال من الأحوال- دون اجابة، فأطلب منه أن يعفوا عن ذنبى.

واستمع إليه زعيم القفص وانصت ثم قال: ابق معنا ضيفا لعدة أيام حتى تهدأ ثورة غضب الملك تماما ، وعندئذ إذا ما كان الواجب أن أذهب بنفسى إلى الملك سأذهب واصالحك عليه. وحينما مرت عدة شهور أظهر خلالها كثير من الأخلاص فى الخدمة؛ واعتمد خلالها زعيم القفص عليه اعتمادا كليا فأصبح كاتم الأسرار والمعاون له فى جميع الأمور والأسرار.

١- هكذا وردت فى الأصل والمقصود بها مدينة جيرفت .

٢- المقصود بالجروم الأصقاع الدافئة ؛ وهى تعريب للكلمة الفارسية (كرمسيرات) ، استعملها المؤرخون المسلمون فى مصادرهم ومنهم ابن الأثير والطبرى. كما عربت الأصقاع الباردة بكلمة (الصرود) تعريبا للكلمة الفارسية (سردسيرات) .

وكان زعيم القفص أعمى وكان هنالك رجل شيخ مجرب ذاق حلو الزمان ومره، وذات يوم دخل إلى خدمته مع عدد من الشيوخ من معارف وحشم القفص وقال: لقد مضت ستة شهور وهذا الرجل هنا ؛ وأصبح معروفا ومشهورا ومن جملة ندماء الملك المقربين، وذا منزلة معروفة ومشهورة فأظهر له التعاون والمساعدة وتغاضى عنه حتى لاينحاز إلى الغير ويلحق بنا الأذى، فأن مثل هذا الرجل المحنك الفصيح والذى كان نديما ومشيرا وكاتبا ووزيرا لقاورد؛ لايلجأ إلينا إلا وهو يضمر شيئا فى نفسه. وقد انفعل جدا زعيم القفص المسكين لحديث هذا الشخص ؛ ولم يؤثر فيه مثل هذا الحديث ؛ وعلى الرغم من الحزن البادى أجاب: إن الحق تعالى قد جعل رجلا عظيما فاضلا كاملا يحتاج إلينا، وقد وجدت من الجميع عطفا عليه أكثر منك؛ لقد اضمرت له الحسد لهذا ففى كل يوم تتهمه بتهمة؛ وسأعطى ابنتى زوجة له.

فلما أجاب بهذه الإجابة الخاطئة ؛ قال الشيخ المجرب: أيها الابن الحبيب؛ إن مثلك ومثل هذا المقرب للملك مثل حال وزير الغربان وملك البوم التى وردت فى كليلة ودمنة. فقال أمير القفص: يبدو أنك هرمت فخرفت، إن بيننا وبين قاورد جبال شامخة وجبال راسخة ، وعقبات شديدة وشعاب مليئة بالأشجار تحول بيننا وبينه؛ فإذا ما تخطى واحدة من هذه العقبات انهالت عليه عقوباتنا؛ ومع هذا إذا ما لاحت هذه الفكرة فأننا سنعامله كما عاملنا معين الدولة، ولست أنا بأقل من جدنا. ولما كانت إذن عقله قد صمها ازيز الغرور، اقلع الشيوخ عن النصح، وبذلك أصبح السيد المقرب مطلعا على مداخل ومخارج هذا المكان ومترقبا الفرصة حتى يلتقى زعيم القفص مع آخرين من معارف جماعة الكوفج والقفص . ولما كان السيد على علم جيد بالنجوم فقد فوض إليه اختيار يوم العرس والوليمة ؛ فأختار يوما. وكان له تلميذ اسمه عليك؛ وكان هو أيضا مطلعا على المداخل والمخارج والمكامن والمضائق وأماكن اقامتهم ؛ واوقات احتشاد الجنود وتفرقهم وتشتتهم، كما كان عارفا بأماكن نزولهم ومناهلهم والمساعى والمراعى؛ فاختلق معه مشاجرة وأجبره على فراقه . وجاء فى ليلة إلى دار الملك وعرض على قاورد علام يكون الحال هناك وكى يحدد موعد اللقاء أخبره بأمر المصاهرة وموعد الزفاف والمدعويين؛ وأنه بعد ثلاثة أيام سيجتمع جميع معارف ورؤساء وزعماء رعايا الكوفج والقفص من سواحل البحر حتى أقصى مكران فى القرية الفلانية والبيت والفلانى، وحينما اطلع قاورد على الأمر اجتمع فى الحال بالرعايا:

بيـت

- وأمر بأن يجهز الفرس (رخش) ؛ وأن ينفخ فى البوق فى التو واللحظة.

وركب وخرج، وحينما علم بقية الجند بخروجه؛ اتبعوه، وأعلنوا له العزم على طاعته ومتابعته. وبعد مسيرة يومين ليلا ونهارا وصل إلى جيرفت ومرة أخرى لحق به القليل من الرعايا (وإذا قضى الله أمرا هيأ أسبابه)، ومضى من هناك ووصل فى يوم واحد إلى جبل كوفجان، واتفق أن الليلة نفسها هى ليلة العرس وأن جميع الأكابر والأصاغر والصغير والكبير والنساء والرجال من إشراف وأراذل المجتمع مجتمعون ومنشغلون باللهو. وهجم على هؤلاء المخاذيل فى وقت السحر وأمر بالقضاء على هؤلاء السكارى بحيث لم يتركوا طفلا واحدا على قيد الحياة.

فمساهم بسطهم منهم حرير *** وصبحهم وبسطهم تراب

ومن فى كفه منهم قنـــــاة *** كمن فى كفه منهم خضاب

- وقد صارت وجوه أعدائه الحمراء فى لون الياقوت من جرح خنجره الفيروزى.- رووسهم مبعثرة فى ساحة الوغى وكأنهم عيدان خضر قد حصدت بسيف.

واستولى على جميع أموال هذه الولاية من حلى وحلل ومراكب وغيره- مما كان قد اعد وهيىء- وأصبحت ولاية الجروم بأسرها خالية من غارات المعتدين. وإن كتب الفتوح التى كتبها كُتاب الملك قاورد عن فتوحه لجبال القفص لدليل صدق وشاهد حق على هذا.

ومن فتوحاته فتح عمان، وقصة ذلك أنه قد عرض عليه رأى مفاده أن الولاية التى تسمى عمان هى خزانة تمتلىء بأنواع النعم ومدينة مشحونة بالوقور الصبوح (الجميلات) ، وهى أرض خالية من الخصم القوى؛ وفارغة ممن يقاوم ويدافع ؛ والمسافة من ساحل هرمز حتى هذه البقعة ليست بعيدة، وأن ما يواجهنا هو خطر أمواج البحر المحيط ولاحيلة عن ركوب السفن؛ قال:

يغوص البحر من طلب اللآلىء *** ومن رام العلى سهر الليالى

قال : ايصل حافر حصانى إلى هناك؟ قالوا: يصل إذا ما جهز والى وأمير هرموز (هرمز) البحارة على استعداد وجهز السفن عند باب عيسى.

شعر

- أمر بأن تجدد حدوة الخيل؛ وأن يدوى النفير فى جنبات الأرض.

وحينما اتجه إلى الجروم وحضر أمير هرموز؛ أمره بأن يعد القوارب والمنشآت والمراكب والسفن؛ ؛ وأن يأخذ بعنانها- طاعة للملك- حتى يغرس فى قلب عمان راياته المنصورة. وعقد والى هرموز ازار الطاعة وجهز أسباب العبور؛ ووصل إلى بلاد عمان رافعا راية الملك. وكان والى عمان يسمى شهريار بن باقيل؛ وحينما رأى هذا البلاء المفاجىء والمحنة النازلة؛ اختفى. ووصل الملك إلى أقصى الغايات فى جنى ثمرات مراده واجتباء الأموال واستخراج الكنوز. دون أن يزيد فى إرهاق رعايا الولاية ، ومعتمدا فى ذلك على الوعود الحسنة ونوابه وشحنته العادلين، وأمر بأن تكون الخطبة والسكة فى الولاية بأسمه، وضرب الأمثلة بأن طلب عودة أمير الولاية وأن يحضر امامه فهو فى أمان الله وفى ضمان رعايتى. وبعد بحث وجدوه واحضروه إلى خدمة الملك . قال الملك : أيها التاجيكى[1] قد جئت إلى ضيافتك ؛ فتهرب من ضيافتى! والآن وقد عدت ثانية فإن الولاية لك وسيكون شحنتى هنا فى خدمتك وصحبتك . فركع هذا الرجل المسكين مظهرا الطاعة؛ وقال متضرعا بشدة" أيها الملك أن لى أولادا صغارا؛ فأن مننت على بروحى فأننى ابقى بقية عمرى - كما يقضى الله- وأنا احفظ لك هبة انعامك الملكية . فرق الملك لحاله وآمنة ورحمه .

شعـــــر

- معدن العفو وهو أصل التدين، وبهما ملك النهار.

- لقد رمت الظفر فوهبه الله لك، ولقد طلب منك العفو فلتتذكر أنه من الله.

ثم تخلى شهريار عن الدفائن والخزائن والزواهر والجواهر التى كان قد ادخرها هو وأسلافه ووهبها فى خدمة الملك . وعاد الملك ترعاه السلامة وتحميه الدولة مرة أخرى إلى جروم كرمان. وظلت عمان حتى آخر عهد الملك ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورد فى يد ملوك كرمان ، وكان شحنة كرمان دوما بها. وبعد وفاة ارسلان شاه وجلوس أخيه الملك مغيث الدولة والدين محمد؛ ذهب إلى عمان وأصبح مقامه هناك؛ ثم لم يعد بها شحنة كرمان بعد ذلك.

خاض قاورد شاه الحرب فى أطراف كرمان، بعضها كان فى دربند سجستان ، ولمدة ستة شهور تقريبا حارب ابنه اميرانشاه السنجريين وذكر هذه المعركة حكيم الأزرقى فى قصيدة قالها فى مدح أميرانشاه بن قاورد، وقد نظم قصائد غراء أخرى غير هذه القصيدة فى مدح اميرانشاه.

١- يطلق اسم (تاجيك) فى هذه الفترة على كل من هو ليس تركيا .

وحينما سخرت جميع ممالك كرمان لقاورد، اتخذو المظلة[١] شارة لهم- وفق قاعدة آل سلجوق حيث كانت شارتهم السهم والقوس- أما هم فقد جعلوا شارتهم أيضا على هيئة مظلة تعلوها علامة على هيئة السهم والقوس والقوس الصغير؛ وأسفلها التوقيع والاسم والألقاب. وانشأ قلعة فى طريق سجستان على بعد أربعة فراسخ من بوابة قاورد وصب لها بابا معلقا من الحديد وأجلس عليه عاملا. ومن بداية البوابة حتى فهرج بم- وهى أربعة وعشرون فرسخا- شيد علامات بارتفاع شخصين تبعد كل واحدة عن الأخرى ثلاثمائة قدم؛ حتى يرى ليلا من يقف عند العلامة الأولى؛ العلامة التالية ؛ وحتى لايضل أو يتوه الخلائق وعباد الله فى الطريق. ومن بداية البوابة حيث تبدأ العلامات من هناك؛ شيد بيتا وحوض ماء وحماما من الآجر. كما شيد منارتين بين الكرك والفهرج أرتفاع أحداهما أربعون ذراعا وارتفاع الأخرى خمسة وعشرون ذراعا وشيدت أسفل كل منارة داراً للقوافل وحوضا .

ومن ناحية يزد حفر بئرا على بعد عشرة فراسخ من يزد، وأجلس عليه عاملا ولهذا السبب اطلقوا عليه بئر قاورد.

وعمل العمال المعتمدون فى الممالك بالأمانة ووفقا لتعاليم الدين؛ وصارت حدود كرمان الأربعة ينهل فيها الذئب والشاة من ماء واحد، ووصلت فى الخصب والاتساع إلى حد أن رواة الأخبار ذكروا: أنه فى الوقت الذى اشتد فيه الشتاء توجه إلى جيرفت؛ وحينما أمر بتحرك الركب كان فى بردسير كرمان المائة من[٢] الخبز بدينار أحمر . وبعد أن نزل بدار الدولة جيرفت أنهو إلى سمع الملك أنه فى نفس الأسبوع أصبح التسعون منا فى بردسير بدينار وعلاوة على أنهم يخبزون الطحين الأسود والنخالة، وفى الحال عزم على التوجه إلى بردسير مع عشرة

١- اتخذ السلاجقة ديوانا اسمه ديوان الطغراء، وهى كلمة تركية تعنى الخط المقوس؛ عربت طغراج وتعنى الختم- وهو ما يرسم فى صدر الفرمانات والمنشورات وتتضمن نعوت الملك الذى صدر الكتاب فى عهده. (انظر : محمد عبد العظيم ، طغرلبك وتأسيس الدولة السلجوقية، رسالة ماجستير من آداب الزقازيق ، ١٩٩١م، ص٤٥٧) وفى العصر الحديث يطلق عليه شعار الدولة مثلما نرى فى مصر شعار النسر يحمل أسفله جمهورية مصر.

٢- المن وزن من الأوزان الإسلامية بقى سائدا فى الأمصار الإسلامية حتى القرن الرابع عشر. يطلق عليه المن الصغير أو المن الشرعى ويعادل ٦ / ٥ كغم، وفى عصر الالخانيين تغير وزنه وأصبح يعادل ٢٦٠ درهما (بالتفصيل انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ، ص٤٨) .

فرسان من الخاصة، وفى يوم وليلة وصل إلى بردسير وأمر باحضار أصحاب المخابز كلهم وقال: هل وقع هجوم الجراد على هذه المدينة بمجرد رحيلى ؟ قالوا : لا . قال : أآفة أخرى من الآفات السماوية حلت بهذه الناحية ؟ قالوا : لا . قال : سبحان الله العظيم حينما خرجت مع رعاياى من هذه المدينة كان ما يكفى اثنين من مؤنة وتموين الولاية يذهب لواحد ولهذا كان يجب أن يصبح المائة والعشرون منا من الخبز بدينار. ثم وضع بعضا من مشاهير الخبازين فى التنور المشتعل أحرقهم ؛ وعاد مرة أخرى إلى جيرفت .

وفى آخر عهد الملك قاورد كانت ولاية فارس خالية من ثروات الفضلاء فزين عرش ملك شيراز بجمال عدله. والشاهد العدل على هذه القصة هو المحراب المصنوع من حجر المرمر عند باب المسجد الجامع لمدينة بردسير فقد كتب عليه: أن هذا المحراب من فيروز آباد بفارس احضره الملك . وفى آخر عهد الملك قاورد كانت ولاية فارس خالية من ثروات الفضلاء فزين عرش ملك شيراز قره ارسلان[1] إلى كرمان. وحينما سلمت إليه فارس، كان أخوه الأكبر الب ارسلان محمد الذى أصبح ملكا على إيران بعد عمه طغرل بيك؛ قد قتل مثلما ذكرنا فى المقالة الأولى عند شاطىء جيحون على يد يوسف البرزمى فأجلس أمراء الحضرة ملكشاه على العرش بحكم الأرث ووصية السلطان . وبعد ضبط خراسان توجه إلى العراق. وقد أرسل بعض الأمراء من أتباع ملكشاه رسائل إلى قاورد واعدين اياه بالمساعدة.

وكان قاورد يشعر فى داخله بأنه ملك؛ وكان ملكا شجاعا وحكيما . وكان بحكم كبر سنه وتعرفه على دقائق أمور الملك والسلطنة ومعرفته بحقائق أحوال الجيش والرعية؛ ومع وجوده شخصيا كان لايعترف بسلطنة ملكشاه الذى لم يصل عمره حتى الآن إلى العشرين سنة . وقد حرك الأمراء وكذلك الجيش الذى يملكه الرغبة لديه فى حكم العراق واتجه إلى همدان آملا الاتفاق مع الأمراء المنافقين ، وجاء ملكشاه من الرى إلى مشارف همدان ووقعت بين الاثنين معركة عظيمة ، ولم تنفض بينهما ساحة الجدال لمدة ثلاثة ليال وأيام. (وكما فى لعبة الشطرنج)، صمد وزير ملكشاه فى اللعبة فى حين لم يصمد الخيل أو الأمراء فى رقعة قاورد. ودارت بينهما المناوشات وفى النهاية انهزم جيش قاورد مثل أصحاب الفيل وصاروا أذلة،

١- هو قاورد چغرى بيك وكان هذا الاسم هو نقش خاتمة .

٢- الحضرة وبالفارسية (حضرت) هى العاصمة أو دار الملك أو مقر البلاط الملكى (انظر : حسن أنورى، اصطلاحات ديوانى، ص٢٤٢) .

وهرب الجند والفرسان دفعة واحدة من ساحة المعركة وتركوا الملك فى مدينة ماتكاه . وسارع قاورد أيضا سالكا وادى الفرار. واثناء الهزيمة أسر هو وولداه اميرانشاه وسلطانشاه وحملوا إلى ملكشاه وبقى قاورد لعدة أيام سجينا ثم خنق فى ليلة خفية كما سملت أعين اميرانشاه وسلطانشاه.

وقد وقعت هذه الحادثة فى شهور سنة ٤٦٦ (١).

وكان للملك قاورد ابناء كثيرون. والأبناء الذين عرفنا اسماءهم سبعة: سلطانشاه؛ وتورانشاه؛ وكرمانشاه؛ واميرانشاه؛ وعمرو؛ ومردانشاه؛ وحسين ، وبهذا يكون الابناء المشهورون سبعة وسمعنا رواية مفادها أنه كان له أربعون ابنة بعضهن كن زوجات لأمراء آل بويه والبعض الآخر لسادة خبيص.

١- وردت قصة الخلاف بين ملكشاه وعمه قاورد فى كتاب زبدة التواريخ بتفصيل أكثر من ورودها هنا، وكانت وجهة نظر قاورد فى هذا الخلاف (أنا الكبير وأنت الولد الصغير وأنا أولى بميراث أخى السلطان الب أرسلان منك) أما ملكشاه فوجهة نظره (الأخ لايرث مع وجود الابن). وقد عارض قاورد كل من الأمير تميراك بن الأمير فرخشاه والوزير نظام الملك وكتبا إلى قاورد؛ لكنه رفض النصيحة.. (وسار الملك قاورد إلى اصبهان والسلطان ملكشاه إلى الرى وصال القائد أمير سوتكين على مقدمة الملك قاورد فهزمهم وبدد شملهم ، والتقى الجمعان بظاهر همدان يوم الأربعاء السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وستين واربعمائة. وكان على ميمنة السلطان أمير سوتكين وعلى مسيرته تمراك. وللملك قاورد سبعة بنين وقف بعضهم فى الميمنة وبعضهم فى الميسرة وبعضهم مع أبيهم فى القلب وظن الملك قاورد أن عسكر أخيه السلطان ألب ارسلان إذا عاينوه اطاعوه ، فلما كان الأمر بخلاف ذلك ندم... وصال أمير العرب وهو مسلم بن قريش مع حشمه على ميسرة الملك قاورد فأنهزم عسكر الكرمان فظفر بالملك قاورد الأمير تميراك فى جبال همدان. فوعده الملك قاورد ومسح الأرض بجبينه وتمرغ بين يدى السلطان... فحبس الملك قاورد فى خيمة الأمير سوتكين ودخل عليه العميد أبو الرضا وطلب منه مفاتيح الخزائن وعلامات الدفائن فقال الملك قاورد: بلاد كرمان تضايقت حدودها دخلها قليل وساكنها عليل ... فما عرضت هذه الرسالة على السلطان خوفا من أن يطلقه وقتلوه بالتخنيق). (انظر صدر الدين على بن ناصر الحسينى، زبدة التواريخ تحقيق د. محمد نور الدين، ط١، بيروت ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ص١٢٢ : ١٢٤) .

مقالة فى ذكر كرمانشاه بن قاورد
وهو الملك الثانى من ملوك كرمان

أجلسه قاورد مكانه حينما توجه إلى حرب ملكشاه. وحينما سمع اخبار مقتل أبيه؛ جلس على سرير السلطنة وحكم عاما واحدا ومات.

مقالة فى ذكر سلطانشاه بن قاورد
وهو الملك الثالث من ملوك كرمان

حينما أصبح سلطانشاه أسيرا للسلطان ملكشاه مع أبيه وأخيه، ذكرت لمحة عن رجولة أخيه اميرانشاه ومروءته فى ديوان الحكيم الأزرقى. ولما كان قد قال ما يقرب من عشر قصائد فى مدحه فأن ذكرها كلها قد يستوجب منا التطويل ولذلك نذكر هنا عدة أبيات من قصيدة واحدة لحكيم الأزرقى[1]:

١- مبارك الاحتفال بالعيد وبشهر النار المقدسة اللهم اجعله سعيدا على الملك المظفر.

٢- اميرانشاه بن قاورد جغرى، هو جمال الدين وعضد الدولة والمعاون .

٣- السيادة ولو إنها تقل عن قدره ؛ إلا أنها تلاحق خطاه إلى الأبد.

١- الحكيم الأزرقى؛ واسمه : أبوبكر الدين بن إسماعيل الوراق الهروى من فطاحل شعراء القرن الخامس . والده اسماعيل الوراق الذى لجأ إليه الفردوسى بعد فراره من غزنة. عاش الأزرقى فى بلاط شمس الدولة أبى الفوارس طغانشاه بن أرسلان السلجوقى الذى حكم خراسان زمان سلطنة ألب ارسلان . اشتهر بمهارته فى الحكاية الشعرية وله مؤلفات مثل (الألفية) (والشلفية) و(قصة سندباد) . اختص أسلوبه بالتشبيهات الغريبة والوصف والتصوير الدقيق للأشياء (أنظر دكتر زهراى خانلرى فرهنگ ادبيات فارسى درى؛ تهران؛ ١٣٤٨ (ص٤٦؛ ٤٧) .

٢- (جشن آزر) أو عيد آزر احتفال بالنار فى التراث الشعبى الايرانى يقام فى اليوم التاسع من شهر آزر وهو أحد الشهور الايرانية ويعتقد الايرانيون بأنه يجب اشعال النار فى هذ اليوم والتنحى عن مشاغل الدنيا أما الزرادشيون من الايرانيين فعليهم زيارة المعبد فى ذلك اليوم وتقديم الهدايا لمعابد النار. (انظر د. أمنية عبد المطلب؛ رمز النار فى الشعر الايرانى بين التراث والمعاصرة، رسالة دكتوراة من كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٦م، ص١٢٥) ويعد هذا العيد من الأعياد الإيرانية الشعبية مثل أعياد النوروز والمهرجان وكان يحتفل به فى العصور الإسلامية بصورة شعبية وليست دينية كتراث الأجداد.

٤- وهو يشبه الشمس (فى عطائها للأرض) فأن سخاء كفه؛ يبدر صحراء الأرض بالياقوت الأحمر.

٥- وحينما تمطر سحب جوده على الأرض؛ فإنها تنبت الذهب بدلا من الخضرة.

٦- إن ما فعله فى دربند سجستان ؛ يشابه ما فعله حيدر فى خيبر.

٧- فلمدة ستة شهور يواصل امتطاء سرجه؛ وتجافى عيناه النوم اللين فوق الوسادة والفرش.

٨- لم يرتح لحظة خلال ستة شهور؛ طائفا بالمعسكر ومداويا.

٩- (وحقيقى) إن الغبار يخفى الشمس دائما؛ وأن الدم فى الطعان من اقدار الفلك.

١٠- وأن صوت الطبل المدوى يروع الأطفال دوما؛ فتفر فزعة إلى أحضان امهاتها.

١١- كما تتوارى الروح فى الأجساد خوفا؛ وكأنها طائر الدواق المتحفز من خلف الأشواك.

١٢- وتسيل على الأرض أمواج بحر من الدم؛ ويغرق فى لجته الفرسان والملاحين.

١٣- ويهرع الأجل إلى صاحبه كالعاطش إلى دمه؛ يبغى السباحة فيه.

١٤- ورقمت الدنيا الملك؛ وهو يصول ويجول هنا وهناك.

١٥- (فقالت) مدون فى طالع برج الملك؛ أن الحكم وخوض المعارك عنده سيان.

١٦- فقد خضب السيف الهندى كفه بلون اللعل (الأحمر) من الدم؛ ولأن الدرع الرومى على جسده من العرق .

١٧- ولما تعالت السنة النار تملأ الكون ؛ لاح له من بينها النصر والظفر.

١٨- فاذا ما طعن (الفارس) المدرع بحرية ثابتة ؛ اخترق بها درعه .

١٩- وفى لمح البصر يخر عند قدم القائد (العظيم)؛ هذا العدو وهو ما زال ممسكا بحريته.

٢٠- ومن ناحية أخرى إذا ما رماه العدو بسهم ماضى؛ طاش (السهم) ولم يلمس أطراف ثوبه.

٢١- وحينما يرى الملك سعادة السرو والورد وتفتحه ؛ يتطلع إلى سعادة جديدة.

٢٢- ولسعادته وحبوره هتف الناس فى هدير مشترك؛ الله أكبر.

٢٣- وهذه (السعادة) أشارة إلى نجاح الدولة؛ وهى نعمة من الله واضحة وليست مضمرة.

٢٤- (استقر فى الوجدان) صورتان لحصان ومقاتل؛ كلاهما حارق وكالبرق حاد وكلاهما كالريح الصرص العاتية .

٢٥) أما الجراح فما الذى تدريه والسهام تتلاحق عليها؛ إلا أن أشكال السهام مختلفة.

٢٦- الماء والنار فى الدنيا وما أعجبهما؛ كلاهما ينعش الروح (وفى الوقت نفسه) هما سلاح الشيطان الظالم.

٢٧- فهما لم يؤذيا سياوش ولاخسرو [١]؛ حينما تجلى لهما الماء والنار بنعمة من الله.

٢٨- ولولا أن التهور صفة سيئة فى الملوك؛ ما ارتدى (مليكنا) درعا فى الحرب ولاخوذة.

٢٩- وما قيمة خوذة من حديد (يرتديها) ؛ وقد أسبغ عليه سبحانه وتعالى بنعمته خوذة من عنده .

٣٠- يا ملكا صورك الله وفطرك وزين شخصيتك بالعقل والحلم.

٣١- (ادعو الله) أن تزدهر دولتك حتى تعود من حرب السجزية الملاعين.

٣٢- أن الصمود فى الحرب هو موقعك حتى الآن؛ فاجن الزهور السجزية فى سلالك.

٣٣- منذ أيام غابرة مضت فى الدنيا وحتى الآن؛ لم تحط على هذا التراب حمامة إلا نادرا.

٣٤- (ففى الماضى) اعتصرت مصائد الحب الدم منها كثيرا؛ وكأنما نبتت فى حب الطعام بلطة دامية تقطع ما بين الحلق والحوصلة.

١- سياوش بن كاووس من أبطال الشاهنامة، تعلم على يد رستم فنون القتال؛ وخاض حروبا ضد التورانيين ، ثم تصالح مع افراسياب فغضب عليه أبوه، عاش فى بلاد التورانيين وتزوج من شقيقة افراسياب. انتهت حياته بالقتل نتيجة دسيسة. أما خسرو فهو خسرو برويز بن هرمز وحفيد انوشيروان، دخل فى معارك مع بهرام چوبين استعان فيها بقيصر الروم. شيد ايوان كسرى بالمدائن؛ وقصة عشقه لشيرين مشهورة؛ نظمها الشاعر نظامى الكنجوى وأشار إليها كثير من الشعراء منهم حافظ وسعدى (انظر دكتر زهراى خانلرى (كيا) ، فرهنگ أدبيات فارسى درى، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ص١٩٤، ٢٨٣). ولقد أشار الشاعر إلى إبطال إيران القديمة سياوش وخسرو وحكايتهما مع الماء والنار ليربط فى القصيدة بين الأعياد الاسلامية والأعياد الشعبية الايرانية الباقية فى التراث الايرانى وهو هنا عيد آذر او عيد النار المقدسة كما ورد فى البيت الأول من القصيدة (المترجمة) .

٣٥- عهدنا دوما أن يكون هدف الملوك هو الذهب؛ وليس خوض حومة الوغى مثل رستم.

٣٦- (أما انت فقد) طال الزمن بك ممتطيا صهوة جوادك؛ ومتصديا بمفردك للجيش ممزقا قلبه.

٣٧- لقدحرر رستم البلاد بمفرده؛ وبعون حصانه رخش وزال وسهم العنقاء.

٣٨- وانت بمفردك مع كوكبة من الجيش ؛ تعصف بهم كقوم عاد فى ريح صرصر عاتية.

٣٩- ودليل ذلك أنهم يفرون خوفا ؛ حتى أن الأخ يعض على أسنانه كى يسبق أخيه .

٤٠- وهبت لك العنقاء والسهم؛ اللذان لم ينلهما ابدا رخش الساحر أو زال الماكر.

٤١- لم يبق البارىء من الرجولة والجسارة (لأحد) شيئا؛ حين صورك فما أجمل خلقك.

٤٢- يا أيها الملك الشهير الذى حظى من صفات كل الملوك ما اختاره من صفات.

٤٣- لقد استعدت أمرك بوتر قوسك وسهامك (بسلاحك)؛ حتى أن من يرى بأم عينه لايصدق.

٤٤- تحل وثاق الساقى وأنت مثقل بالدرع المعصفرة ؛ (فيناولك) كأسا معصفرة من الخمر.

٤٥- وتبدل الدرع بثياب ناعمة من الفراء؛ وتبدل الحربة فى كفك بالكأس.

٤٦- (وتحمل) القدح بكفك يفوح منه اريج العنبر؛ حينما تلقى منه على النار المشتعلة كعين النرجس .

٤٧- فاذا ما كان البستان قد ذبل لكثرة الآلام ؛ (فازرع) بستانا (جديدا) من نيران آذر المقدسة.

٤٨- أيها الملك الذى لايختلف أحد على مدحك شعرا؛ وينساب مدحك (برقة) مثل طبعك.

٤٩- يجول فى خاطرى شعر فى مدحك؛ هو كالعروس ومدحك هو حنة العروس وزينتها.

٥٠- كثير من الشعر فى مدحك مثل شعرى ؛ سيبقى (على مر الأيام) مدونا من دفتر إلى دفتر.

وهذه القصيدة فى أربعة وستين بيتا وجميعها بنفس النظم والأسلوب.

وقد حاولوا سمل عينى سلطانشاه بعد مقتل قاورد ، أما سلطانشاه- بناء على تقدير

السميع البصير- فإن مرآة بصره لم تتعتم من المحاولة الآثمة وسلمت حدقة بصره من عود السمل. وقد اختطفه شخص من رعايا والده من معسكر جيش ملكشاه واعادة محمولا على ظهره مرة أخرى إلى كرمان. وفى كرمان كان كرمانشاه الذى أجلسه أبوه مكانه قد ودع الدار الدنيا وذهب للدار الآخرة، وكان الأمير حسين طفلا فوضعوا مهده على العرش ثم حملوه وكان ابناؤه الآخرون فى القلاع. أما القلعة الصغيرة التى يطلقون عليها جوهرية كان قد كتب على جدارها فى عدة أماكن اسم عمر ومردانشاه بن قاورد.

وحينما وصل ركن الدولة سلطانشاه فى شهر صفر سنة سبعة وستين واربعمائة زين عرش الملك الموروث بزينة رفعته ، وأمر بإصلاح أمور المملكة. وبعد مضى عام عزم السلطان ملكشاه على التوجه إلى كرمان (قاصدا استئصال فروع الأسرة القاوردية ردا على ما فعله قاورد سابقا) ، وظل محاصرا مدينة بردسير كرمان لمدة ثمانية عشر يوما، وتقدم إليه سلطانشاه معلنا الخضوع والخشوع وقال: إن لى أربعين اختا كلهن محارمى ؛ ولايسمح كرم سلطان الدنيا أن يقعن فى أيدى مكارى الجيش . وبعد تردد فى السفر واستشفاع الأمراء والوزراء - فقد كان السلطان قد اقسم أن يخرب مدينة كرمان- وبرا بقسمه خربوا أحد أبراج القلعة القديمة وكانوا يطلقون عليه برج فيروزه؛ وهى حتى الآن مخربة . وعاد السلطان بعد أن أقام على أبواب بردسير لمدة ثمانية عشر يوما.

وكان الملك سلطانشاه حلو المعشر ، وخلال مدة عشر سنوات- كان خلالها ملكا على كرمان- لم يهتم بأمر آخر غير المودة. وفى عهده لم تحدث حادثة مأثورة . وفى نهاية عهده الملكى لم يبق من اخوته فى كرمان غير تورانشاه وقد أرسله إلى بم؛ ليس كنائب عنه ولكن استهانة به؛ فقد تربى الملك تورانشاه بين النساء فأصبحت شمائله غير معتادة، وكان غالبا ما يتحدث بلغة كرمان، ولم يدخله سلطانشاه والآخرون فى حساب الملك.

مقالة فى ذكر الملك العادل محيى الدين عماد الدولة تورانشاه بن قرا ارسلان بك وهو الملك الرابع من ملوك كرمان

حينما تخلى سلطانشاه عن سدة الملك وادركه الموت ولم يبق من أولاد قاورد غير عماد الدولة تورانشاه : أصبحت المملكة له من جهاتها الأربع بحق الارث. وذهب الأمراء إلى بم واحضروه إلى دار الملك بردسير؛ وتولى حكم كرمان فى شهر رمضان سنة سبع وسبعين واربعمائة.

وحينما استقرت عباءة الملك على كتفيه ؛ هيأ عدة العدل؛ فقد كان شعب هذه المنطقة قد

نسي عدل انوشيروان. ومن لطائف حسن سيرته أنه امتزجت فيه عطور ثلاثة حتى أن اريج عطر عهد عمر بن عبد العزيز يتلاشى إلى جانب عطره. وقد توجه جيشه إلى بلاد فارس مرتين قاصدا الاتابك؛ فهزم فى المرة الأولى وعاد إلى كرمان ، ثم جهز جيشا آخر وذهب- وفى تلك المرة- انتصر واستولى على فارس. وفى عهده خرج أهل عمان وأفزعوا شحنة كرمان واستردوا الولاية، فأمر الملك تورانشاه بتجريد فوج من حشمه بسرعة وأرسله؛ حتى يحطموا الأفكار السفيهة لهؤلاء الكلاب إذ كان بعضهم من الخوارج والبعض الآخر من الرافضة، وحتى يجلوا صدأ الوقاحة من رؤوسهم ويستعيدوا الولاية تحت سيطرته. وإن رسائل الرئيس أبى الكفاء عن فتح عمان مشهورة وهى دليل صدق على هذه القصة.

وكان وزير الملك تورانشاه هو الصاحب ناصر الدين الاتابك مكرم أبى العلاء[1] المعاصر لنظام الملك، وأن اخبار الصاحب المكرم مثبتة فى صدور الكتب التى ألفت باسمه وأن دواوين الشعراء العظام مثل العباسي والغزى والبرهانى والمعزى هى شاهد عدل على حسن آثاره وكمال عظمته . وقد قال العباسي مادحا له ومعرضا وذاما لنظام الملك:

الشيخ يعطى درهما من بدرة *** والصدر يعطى بدرة من درهم

١- ناصر الدين الأتابك مكرم بن العلاء: لقبه ناصر الدين وأيضا مجير الدين؛ وكنيته أبو عبدالله ؛ واسمه : مكرم بن العلاء. أحد وزراء سلاجقة كرمان، اشتهر بصلاته للشعراء والزوار فمدحه كثير منهم مثل الشعراء: الغزى والعباسي والبرهانى ومعزى. وللمعزى قصيدة تمدحه وتنسب إليه الوزارة منذ أيام حكم ايرانشاه بن تورانشاه وإن كان البعض يرجع توليه الوزارة قبل ذلك ؛ وحتى فى أيام قاورد. ويقال أن تعمير ربض مدينة بردسير يعود إليه، كما ينسب له فتح عمان؛ وهناك قصيدة للشاعر الغزى الذى صاحبه فى فتح عمان تمدحه وتذكر الفتح، وهناك غير هذه القصيدة أخرى تمدح له محاربته الخوارج؛ مطلعها:

ورود ركاب الدمع يكفى الركائبا *** ينافس فى العليا ويعطى الرغائبا

وهذه أبيات أخرى للشاعر أبى اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبى الغزى (٤٤١-٥٢٤ هجرى) فى مدح ابن العلاء:

ولم ير ليثا حاذرا قبل مكرم *** ينافس فى العليا ويعطى الرغائبا

ويوم العمانيين ماجوا وفوقهم *** سماء قسى يرسل النبل حاصبا

أشرت من التدبير والبحر بينكم *** بنجم رآه الجيش فى البر ثاقبا

(انظر : عباس اقبال، وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقى ، تهران، ١٣٣٨، ص٩٧ : ٩٠) .

وأن محاسن أيام وزارته وكريم عصر هذا الفاضل أكثر من هذا، وأكثر من أن يحتمل هذا الكتاب الخوض فيه . ومن حكايات عدله حكاية تروى عنه تقول: إنه كان محبا شديدا للعمران ودائما كان يعمل بقصره مختلف الحرفيين، وكان لايستنكف الحوار أو الاختلاط بأهل الصناعة والحرف . وفي هذه الأثناء لم يكن خارج المدينة عامرا وكان الناس يعيشون في المدينة ، وكان الملك يبني بيتا. وذات يوم طلبوا عامل بناء ونجارا من أجل العمل وكان برفقته صبي صغير تركي ، فسأله الملك قائلا: يا معلم هذا الصبي ابن من ؟ فأجاب عامل البناء: ابني. فقال الملك: أنه تركي وانت تاجيكي فكيف تقول أنه ابنك؟ فقال عامل البناء: إن الله تعالى سوف يحاسبك عما في رقبتك. فارتعد الملك وسأل: كيف؟ فقال عامل البناء: إن جميع اتراكك يقيمون في بيوتنا؛ ونحن نذهب لعملنا في الصباح ونعود ليلا ؛ ولاندري ماذا يجري في بيوتنا ، إن الأتراك كانوا في بيتي؛ وولد هذا الابن والزوجة تقول: هذا طفلك. وحينما سمع الملك عماد الدولة تورانشاه هذا الحديث اضطرب وفي نفس اللحظة جاء بتركي وامره باعتلاء السطح وطلب له قوسا حيث القى ثلاثة سهام تجاه القبلة، فأمر أن يشيد في مكان السهم الأول المسجد الجامع ؛ حيث كان في هذا الوقت مسجد جامع الملك. والسهم الثاني الذي ألقي؛ قال: وهنا سيكون قبري فاذا ما رحلت عن الدنيا فلادفن هناك، وأمر في مكان السهم الثالث بقصر وزاوية وخانقاه ورباط للصوفية؛ وأن يكون جميعها متصلة بعضها بالبعض الآخر. وأطلق مناديا في المدينة يقول: الويل لأي شخص من الأمراء والوزراء والجنود ممن يقيمون في بيوت الناس، وعليهم أن يخرجوا جميعا وأن يقيموا الخيام خارج المدينة ويكونوا معسكرا . وفي نفس اليوم كان جميع الترك والتاجيك في الجند قد أقاموا الخيام خارج المدينة وبنوا البيوت حتى إذا ما جاءت صلاة العشاء لم يبق في بيت أحد جندي أو تركي، ومنذ هذا اليوم بدأت العمارة خارج المدينة وانتهى النزول في البيوت.

وقد قال الملك محمد ابن ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورد في عهد ملكه: إن في قبيلتنا- يعني أولاد وأسباط قاورد- ملكين يجب أن نعتبرهما أمامين وقائدين في محراب الحكم ويجب أن نثبت على مآثر ومفاخر عصرهما؛ أحدهما كان الملك تورانشاه أما الثاني فلن اسميه ولايجب أن أذكره- يعني هو أنا- وبعد هذا بقي الملك تورانشاه ثلاث عشرة سنة وقد أقام هذا المليك في قصر الحكم حيث عمل على بسط بساط العدل، واسلم الروح في شهر ذي القعدة سنة ٤٩٠ ولحق بنعيم الآخرة .

مقالة فى ذكر الملك
ايرانشاه بن تورانشاه بن قاورد
وهو الملك الخامس من القاوردية

وبعد الأب تورانشاه استقر ابنه ايرانشاه على عرش مملكة كرمان فى اليوم السابع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة تسعين واربعمائة وكان نداء الزمان:

لئن فخرت بآباء ذوى شرف *** لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وعن جوانب السجايا صاح قائلا:

- ليس كل ما يحدث يظهر؛ وما خفى يظهر ولو بعد زمن بعيد.

وحينما استقر فى الحكم اقتصرت أيامه على الخمر؛ ولياليه على النوم، وأعرض عن الندماء العقلاء أصحاب الفضل؛ ووقع اختياره على عدد من السفلة الملاحدة. ومن بين الأرازل الذين خصهم بقربه شخص يقال له كاكابليمان وهو يتصف بخبث الاعتقاد ومعروف بسوء السيرة، وقد شجع ايرانشاه على ارتكاب الموبقات واستحلال المحظورات حتى أهلك عددا من القضاة والعلماء وبتلك الأعمال وسم عقيدته بصفة الألحاد ونسب إليه الكفر والمجادلة.

وكان أتابكة نصير الدولة رجلا مسلما متدينا وقد نصحه كثيرا ولكنه لم يرجع قط، وفوق هذا كله كانت أمنيته قتل الأتابك وحينما عرف الأتابك هرب وذهب مع خمسمائة فارس إلى أصفهان. وحينما رحل اعتكف ايرانشاه لفترة مدعيا أنه نفض يده من أمور الكفر والإلحاد وكان الأمراء قد نفروا منه لضعف عقيدته فى تعظيم قدر الدين وضعف رأيه فى تسيير الأمور، وأعلنوا تبرئهم منه، وعادوا إلى الإقامة فى الصحراء، وكان مقدم الأمراء تركيا ويقال أنه كانت له أخلاق مدربى الصقور، فذهب مع جمع إلى شيخ الإسلام القاضى جمال الدين أبى المعالى وكان مرشد هذا العصر، واعترف بأن ايرانشاه ومعه كاكابليمان قد قررا قتل الأئمة والعلماء والكبراء يوم الجمعة فى الجامع، وما دام للعامة وجود فسيحافظون على عقيدتهم. وتعاهد شيخ الإسلام وعلماء الأنام والقضاة على خلعه واتفقوا وكتبوا فتوى بأنه طالما أن الملك يختار الإلحاد والزندقة على دين الإسلام فإن دمه مباح ولاطاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى. وأفتوا للعوام بالخروج . وقبل أن يهل يوم الجمعة ويتحقق مراد ومقصود كاكابليمان وباقى اللئام والملك الكافر. انطلق النفير العام فى وقت السحر من ليلة الخميس وحاصروا

منافذ ايرانشاه ، وأرسلوا لجهنم كاكابليمان وأتباعه وخاصته. وحاصروا ايرانشاه مع ثلة من الغلمان أعلى سطح قصر الإمارة ، فاتجه للشفاعة وأرسل رسالة إلى القاضى جمال الدين أبى المعالى قائلا فيها: حينما ينتهى القادة من هذا الأمر فإننى سأعفو عنهم وأعلن توبتى فهبنى النجاة . ولأنه كان قد أفتى بقتله واعتبره من أهل الردة فإن هذا الكلام لم يجد.

وخرج ايرانشاه ليلا مع كوكبة من الغلمان من وسط الهرج والمرج واتجه إلى الأصفاع الدافئة (الجروم) وحينما وصل إلى جيرفت قال: لاتوجد هنا قلعة تحمينى من هجوم الخصوم واتجه إلى بم. وكان أهل بم قد علموا بما حدث فخرجوا مشاة وفرسانا وظن ايرانشاه أنهم أتوا لاستقباله ولم يفطن حتى نزلوا محاصرين جيشه وهموا بقتل الجميع. ونجا ايرانشاه بنفسه من وسط الهلاك مع اثنين من الفرسان وهرب وفى نيته التوجه إلى قلعة سموزان وهى من أمهات المعاقل والحصون فى كرمان ليحتمى بها؛ ومن دار الملك فرخ قفجاق أرسلوا فى إثره ثلة من الرعايا، وقد وصلوا إلى ايرانشاه فى منزل يقال له قصر شيرويه وفى هذا المكان قتل وحملوا رأسه إلى بردسير. وقد مضت من بداية جلوسه حتى ظهور رايات ارسلانشاه خمسة أعوام .

مقالة فى ذكر الملك محيى الإسلام والمسلمين أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورد رحمة الله عليه وهو الملك السادس من القاوردية

حينما مضى ايرانشاه خارجا من بيضة الملك وحومة الفوغاء ؛ لم يكن فى مدينة أولاد قاورد وأحفاده وأسباطه شخص ظاهر له أهلية الجلوس على العرش القاوردى.

وقد أخبروا قضاة العهد أنه فى محله حى المجوس شاب اسمه ارسلانشاه ويقال أنه بن كرمانشاه بن قاورد . فاتصل بخدمته القضاة وأمراء الدولة ووجدوا فيه خلق وخلقه صورت فى قالب ملكى، ورأوا ملامح الوجه منسوجة على منوال الملوك، فرفعوه من زاوية المسكنة وحملوه إلى معراج السلطنة ؛ وأجلسوه فى اليوم الثانى والعشرين من المحرم سنة ٤٩٥ على عرش السلطنة . وحكم لمدة اثنين وأربعين عاما؛ لم تتدنس خلالها أذياله أو دولته بغبار الخسة، وهكذا تعب أسلافه وصار هو السلطان، وأعد أجداده المائدة ودعا هو إلى الطعام. وانتشر العمران فى كرمان على عهد ملكه وتباهت بخضرتها ونضارتها على خراسان والعراق، وذاق الرعية فى زمان عدله طعم السلامة ولذة العافية كما يحبون . واتجه ذووا العمائم إلى اكتساب الآداب وتحصيل العلوم، وتوجه إليه من أطراف وأكناف الآفاق طبقات العلماء . ومرة أخرى رست قوافل الروم وخراسان والعراق ؛ بل جميع الآفاق ، على سواحل كرمان واتخذت منها ممرا إلى الهند والحبشة وزنجبار والصين وسواحل البحار. وأصبحت عمارة ربض المدينة- التى كانت قد أقيمت فى عهد عمه تورانشاه العادل- متصلة بالقرى حول المدينة. وقد استقر بها الغرباء من الشرق والغرب للطف هوائها وعذوبة مائها وانتشار العدل والأمان وشمول الخصب والمجتمع وأرسل الملك أرسلانشاه مرة أخرى؛ كما كان فى عهد أسلافه حملة إلى عمان. واستولى على فارس وتغلب على چاولى سقابو. وفى آخر عهده أثمرت أشجار المشاحنة بينه وبين علاء الدولة فى يزد ، والتجأ إلى حضرته مرة أخرى الأمير على بن فرامرز مبديا الرغبة فى المصاهرة ؛ فأعطاه يزد ، وأرسلوا الأمير محمد بن كى ارسلان إلى وظيفة شحنة يزد وخطب ابنة السلطان محمد بن ملكشاه وأحضرها بكل عظمة من العراق إلى كرمان. وشيد فى بلاد كرمان بقاع للخير من مدارس ورباطات. وفى أيام ملكه انهزم فى غزنين بهرامشاه بن مسعود وهو أحد أخوة ارسلانشاه ؛ فعاد إلى كرمان مدحوراً فوهبه الملك ارسلانشاه القناطير المقنطرة من الذهب وأجزل له العطاء وملأ جعبته حتى أنه لم يجد فى نفسه شيئًا إلا وحصل عليه، وقال : حيث أن السلطان الأعظم سنجر قد اعتلى العرش؛ ولما كانت الآداب التركية تحتم اعطائى جيشًا ، فإذا

ما شرفنى بذلك فلن أقْصر. وأرسل إلى أعتاب العرش السنجرى أحد الأمراء العاملين فى خدمة بهرامشاه يطلب المساعدة لبهرامشاه . ولما كان السلطان المظفر سنجر هو بنفسه الذى حمل بهرامشاه إلى غزنين وأجلسه على سرير السلطنة المحمودية فتوطدت أمور الملك لبهرامشاه : فقد أرسل أميراً من عنده بالبشارة إلى كرمان، وأمر الملك ارسلانشاه بأن تُعلق الزينات لمدة أسبوع فى مدن كرمان الأربعة الكبيرة وفى المدن الأخرى. ولما طالت مدة ملكه وتخطى عمره السبعين؛ انتاب الخلل بعض أموره فى الخفاء والعلن فأدمن الخمر وأكثر من الخلوات والجوارى وغلبته أحيانًا شطحات الكهولة. وكان له أبناء كثيرون وقد توفى بعض الأبناء والبنات قبل وفاة الأب؛ أما من بقى إلى نهاية عمره فهم سبعة أو ثمانية من الأبناء، وكان ابنه الأكبر يدعى كرمانشاه وقد جعله والده ولى عهده وكان يجلسه مكانه فى دار الملك بردسير أثناء غيابه ، وكان له ابن لم يوله العهد لضعف بصيرته وقلة كياسته، وكان الملك ارسلانشاه يحب أمه وكانت تدعى زيتون خاتون وقد أشتريت بالذهب وهى ابنة لأمير من ولاة هراة؛ وكانت امرأة فى غاية العقل ومحبة للخير فلما كشفت أمرها للملك ارسلانشاه تزوجها وأمر ببناء كثير من الخيرات فى كرمان من مدارس ورباطات ولقبها بعصمة الدين وكان يطلق على أوقافها الأوقاف العصمتية؛ وهى مدرسة فى درب ماهان : ورباط ربض حى اليزديين وهو من أبنيتها ولشفقته كأب أمر ألا يبنى من الطوب اللبن المخلوط بروث البهائم، وكما كان يقول الأمير ناصر الدين سبكتكين: اعتنيت باسماعيل ولكن الله اعتنى بمحمود؛ أراد الملك ارسلانشاه : كرمانشاه ولكن الحق تعالى أراد محمداً. وكان من أبنائه الملك محمد وهو مشهور بحسن السيرة وكمال الهداية وفرط التيقظ والدراية والجدة فى السياسة، وحينما نظر بعين الكياسة فى أحوال أبيه عرف أن وفاة أبيه سوف تسبب فتنة كبيرة واضطرابًا عظيمًا نظراً لاختلاف أهواء أمراء الدولة وتزاحم خصوم المملكة. وذات ليلة من ليالى شهر صفر عام ٥٣٧ اشتكى الملك ارسلانشاه من عارض طارىء واسقط فى يد الملك محمد فانسل بأبيه خفية من قصر الصحراء وأرسله إلى قلعة الجبل، واستولى على الملك بالارث وبضربة حظ. ولما كان الملك محمد الوسط بين الأبناء؛ ويعلم عنه أمراء البلاط وأركان الدولة ورعايا الولاية قوة شخصيته، وقد رأوا فى أفعاله وأقواله السمات الملكية والآثار العظيمة وكانوا قد أجروا قرعة من قبل وتفاءلوا بنتائجها ولذلك لم ينكر أحد منهم فعله؛ وعقدوا إزار الطاعة والاتباع له، أما كرمانشاه فعجزا منه وقلة بصيرة اختفى بعد واقعة والده فى رباط بعليا باد؛ ثم أحضروه فى يوم مقيد اليدين ونثروا بيدر عمره فى ريح الفناء؛ أما سلجوقشاه الذى كان شجاعًا ذا رجولة وعاقلاً وكيسًا فقد خرج من المدينة واتجه إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) محتميًا بكهف الأخوة

ويكرم قرا ارسلان وتضرع له وأعلن خضوعه فاستحى منه وألحقه بخدمته حتى ينتصح لنفسه ولايظهر ما يستوجب طريق الآخرة. أما الأخوان الأصغران وأبناء الأخوة وهم ما يقرب من عشرين نفراً فقد قسمهم على قلاع المدينة والصحراء وأرسلهم إلى هناك وتوعد الجميع فى حالة إثارة الفتن أو تأليب المحن بالسجن.

مقالة فى ذكر الملك مغيث الدنيا والدين محمد بن الملك ارسلانشاه وهو الملك السابع من القاوردية

كان الملك مغيث الدنيا والدين ملكًا عادلاً، وسياسيًا بعيد النظر؛ محبًا للعلماء؛ راعيًا للعلم وناشراً للحق.

- ملك من مهابته ؛ يأرق الأسد فى الغابة ليلاً.
- ونتيجة لشمول سياسته فإن الماء لايجرى فى الجدول إلا بأمره.
- هو السخاء وكل ما يصنعه هو الكرم المحض ، وهو اللباقة وكل ما يقوله هو عين الصواب.

صارت كرمان فى عهد دولته حرم العدل والأمن ومحل الراحة والهدوء والسكون. وكما تمنى مالت الرعية إلى التعليم والتربية وانشغل أكثر الأولاد الحرفيين بالكتاتيب وتعلم العلم. وغلب على الملك محمد هوس علم النجو؛ وقد درس كل شيء مثل معرفة التقاويم وعلم المدخل ولهذا فقد ظن الناس على عهده بأنه بطليموس العصر. وبرعايته اجتثت سوق فن النفاق وراجت سلعة العلم، وكحل عينيه بكحل السهر ليلاً فى حفظ مصالح المملكة ورعاية أحوال الرعية والولاية، وغاص فى بحور الفكر وترك فى المدينة الجواسيس حتى ينهوا إليه دقائق الخير والشر وحقيقة مجرى الأمور الصغيرة أو الكبيرة؛ وفوق هذا أرسل العيون والجواسيس إلى أصفهان وخراسان حتى يُعلموه -يومًا بيوم- بأحوال البلاد شرقًا وغربًا. واختار ندماء وجلساء حضرته من القضاة والأئمة الأكابر ومعارف أهل البيوتات . أما حاشيه القصر وخدام البلاط الذين اعتادوا أن يرخوا عنان الرزائل مع أبيه؛ وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لارتكاب الحماقات فقد حرموا هذه الميزة ؛ وختم على أفواههم؛ أثناء خدمته ؛ بختم الصمت. وذات يوم سأل الندماء سؤالاً هو : فى أى محلة أو مدينة ولدت كلبة، وأنجبت ثمانية جرار منهما ثلاثة سود ؛ واثنان بيض ؛ واثنان صفر ؛ وواحد بين أبيض وأسود ؟

فقال الندماء: إن علمنا لايحيط بولادة الكلبة وليس فى أيدينا اصطرلاب لرصد ميلاد جرارها، كما أن الكلبة التى ولدت موجودة فى المدينة ونحن نسكن الصحراء؛ إلا إذا أعلمنا العالم ببواطن الأمور بهذا الأمر. قال : قد حدث هذا فى محلة حى المجوس منذ ثلاث ليال. وكان هدفه من ذكر ولادة الكلبة وألوان جرارها تعريف الناس إلى أى مدى معرفته بأحوال الولاية، وأنه لايشرب الخمر إلا يوم وصول مبعوث أو حلول عيد أو إرضاءً لشعب.

عندما اعتلى العرش القاوردى؛ كان ذلك مع مقدم الصيف وإذا به من السعادة قد نقل مقر المشتى إلى العاصمة جيرفت ؛ وفى نفس هذه السنة؛ وكانت أول سنى حكمه؛ جمع أخوه سلجوقشاه جيشًا من المنبوذين وعيّارى كل مدينة ومطاريد كل بلاط وممن أغلقت الأعتاب السلطانية فى وجوههم ومن المتسكعين على كل مصطبة وحثالة المستأسدين وتقدم صوب جيرفت، ووقع اللقاء خارجها من الجانب الغربى وحمى الوطيس بين كلا الجيشين، وعرض كل واحد من رجال الحرب وأبناء الطعن والضرب فنون بسالته وبضاعة شجاعته . وقد قتل الغلام الذى كان يؤجج القتال ويحفز جنود سلجوقشاه على الترك ويحرضه هو على طلب الملك. وكان هذا الغلام يسمى الأرقش بوزه جى وفى المقابل قد اصطف لمقابلتهم ألف فارس مطهمين ويقال أنه فى الوقت الذى كان فيه سلجوقشاه مع ابن أرقش والخمسون فارسًا الذين معهم يخوضون المعركة وإذا ببهادر ومعه الألف فارس يزدى ؛ لم يتركوا شخصًا واحداً سليمًا ما بين قتيل ومكدود وجريح. وحينما قتل أرقش انفرط عقد هؤلاء الأوباش ووقعوا فى حيرة ؛ ورأى سلجوقشاه أن المصلحة فى التراجع؛ فخرج من جيرفت إلى القطيف وعمان؛ وظل الملك محمد طوال عمره فى توجس من أمر سلجوقشاه وقلبه مشغول به.

ذات يوم كان على مائدته فى جيرفت (الكيكو) ، وكان الحكيم مختص الدين عثمان حاضراً ؛ وهو من جملة خواص الملك وندمائه، وكان رجلا عالمًا لطيف المحاوره والمزاح؛ نكاته فى كرمان تجرى مجرى المثل . فقال الملك : أنا أحب طعام (الكيكو) ، الجيرفتى ؛ فما هو السبب؟ فقال الحكيم : لأن (الكيكو) بارد ورطب فيرطب القلب والدماغ . فقال : وماذا أيضًا ؟ قال : يخمد العطش فقال: وماذا أيضًا ؟ قال : يخفض الحرارة . قال : وماذا أيضًا ؟ قال : يقيد يد سلجوقشاه وعنقه ويخرجهما من أسفل المنضدة ويسلمه إلى عبيدك، وهذه آخر منافع هذا الطعام متعدد المنافع وقد عددتها ؛ فماذا تريد أيضًا؟ فضحك الملك مقهقهًا وأعطى الحكيم أحد خيول الحراسة وهو حصان عربى مع عدته المغربية؛ وكان قد منعها من قبل؛ ورغم هذا أعطاه واحداً مع جبة وعمامة.

ويروى أنه. ذات يوم كان الملك محمد فى صحراء جيرفت فى مجلس سرور وسط الخضرة، فأحضر شخص رسالة وسلمها له فى يده، وحينما قرأها قفز فى الحال وترك مجلس السرور وركب وتوجه إلى بردسير. وحتى هذه اللحظة لم يك أحد قد سأل عن السبب فيما فعل وما أن وصل إلى صحراء الراين حتى استدعى صدر الدين أبا اليمن وكان سيداً محتوماً ، فقال : يا أبا اليمن ما هو الأمر الذى يستوجب رحيلى بهذه السرعة ؟ قال : إن رأى مولاى يتوقف على غوامض الأمور ولاتستطيع خواطرنا نحن العبيد أن تصل إلى كنه هذا. قال : إن السبب هو هذا ، وأعطى الرسالة إلى صدر الدين وكانت الرسالة تقول إن سلجوشاه قد خرج من لحصا بجيش كبير فى الخامس من الشهر ونحن لاندرى ما هى نواياه . فقال صدر الدين: يا مولاى؛ من هنا إلى لحصا ما يقرب من خمسمائة فرسخ وبيننا البر والبحر. قال : يا أبا اليمن إنها الحيطة، وهو على صداقة مع ملك لحصا وفى لحصا سفن كثيرة، فإذا جاء عن طريق البحر إلى حيث توجد؛ فماذا أصنع ؟ ورذا ما كان قادراً على أن يرسل إلى درويشًا رسالة فما زال الاحتمال قائمًا بأنه يستطيع أن يأتى بنفسه أيضًا. وقد أرسل الملك محمد مالاً كثيراً ورسولاً ورسالة حتى يجعل من مدينة عمان سجنًا لسلجوقشاه. وقد هرب فى آواخر عهد الملك محمد، وعناداً معه حاول تأليب الناس فى أطراف كرمان وحولها. وفى بداية عهد الملك طغرلشاه قبض عليه عند حدود انار وقتل وقبره هناك. وأعماله الخيرة من بناء مدارس وبقاع ورباطات ومساجد فى بردسير وبم وجيرفت تزيد عن الحد والشرح. وإن دار سربزن التى لايفوقها شىء كانت من أبنيته ، وفى ربض بردسير شيد اثنتى عشرة مستشفى ومدرسة ورباطا ومسجدا ومقبرته، ومثلهم فى جيرفت وبم، وقد أمر ببناء دار الكتب فى بردسير أمام بوابة المسجد الجامع التورانشاهى وهى تحتوى على ما يبلغ خمسة آلاف كتاب من جميع فنون العلوم وهى الآن معمورة وقائمة مكانها.

وفى نهاية ملكه جاء الغز إلى خراسان. والتحق بخدمته سيد من طبس وأعاد طبس لكرمان مرة أخرى وظل جنود كرمان فى طبس حتى ظهور الملك المؤيد واشتداد أمره فى خراسان. وكان السيد الخادم والوالى على أصفهان والذى يقال له الوصيف رشيد، قد قدم إليه جاسوس الملك محمد الذى كان فى أصفهان؛ تقريرا يفيد بأنه يجب أن تخضع أصفهان للملك محمد، وبناء على هذا التواطؤ أرسل رشيد إلى كرمان رسولا ، فاستدعى الملك محمد لهذه المهمة عز الدين محمد أنر من خراسان، فوصل بعد أن أجاب لبيك مع رجال جميعهم من الأسود الهصورة والفيلة الباطشة. وكان الأمير عز الدين نفسه ملكا غازيا وقورا عظيما اشتهر فى قيادة جيوش العالم بيمن القيادة وانتصار الراية.

شـــعر

- كان فى الحرب فاتكا بالأعداء، وكان فى السلم مانحا العروش للأصدقاء.

- وأن النجوم التى تُبدل المصائر، تطلق على سيفه قاصف الأجل.

وتوجه إليه بألف فارس، واعتزاز بحضوره فإن الملك محمد استقبله بالحفاوة الملكية وجميل التكريم، وأصبح كلاهما كعبتى التشاور لمواصلة النهوض إلى أصفهان واستخارا الله على هذا. وحينما تهيأت الأسباب واقتربا من بداية العمل منع أمير الأجل الملك من التقدم فقد حان أجله. وفى أصفهان رغم أن الوصيف رشيد كان يصبو إليها طوال عمره؛ ومن شدة مهابة الملك محمد وكمال سياسته قال الأمير محمد آنر: كنت لمدة عام فى خدمة هذا الملك لم أظن خلالها يوما قط فى أننى سأخرج من بلاطه ومجلسه سالما.

كان الملك محمد دمويًا للغاية وكانوا يقولون أنه فى اليوم الذى لايقتل فيه أحداً يذهب للصيد ويصطاد حماراً وحشيًا وغزالاً ويسفك دمهما. ورغم وجود هذا السفاح إلا أنهم حكوا عن الزاهد العمانى الذى يسكن فى قوزكوبنان وهو الشيخ برهان الدين أبونصر أحمد الكوبنانى قدس سره: أن الملك كان يعظم الزاهد جداً وكان يناديه بالوالد، ومع مرور الوقت وحينما وصل إلى مدينة كواشير تردد على قصر الملك، قال : ذات يوم كنت أتجول والملك فى قصره فوصلنا إلى موضع به أوراق ملقاة فوق بعضها تزن على ما يزيد على خروار[1].

فسألت : ما هى هذه الأوراق؟ قال الملك: إنها فتوى أئمة الشرع بأننى لم أقتل مطلقا وأبدا شخصا إلا من أفتى به الأئمة بأن يُقتل. فعرف الشيخ برهان الدين قدس سره بأن الملك محمد من الملوك العدول. ذكر تواريخ ملوك كرمان من نسل قاورد أنار الله برهانهم الذين كان كل واحد منهم فى السماء، شمس الكمال؛ وفى البلاط جمشيدى الجلال خاصة الملك محمد الذى كان ذا تميز فى السيف والقلم والعلم والتدبير. عمل فى بداية سلطنته على تنمية العلماء والفقهاء وأهل الأدب فأنشأ المدارس وأمر بأن يوقف عليها وينفق منها مقررات الطلبة. كما أمر بأن يطلق منادى فى جوانب مدينة كرمان الأربعة وهى بردسير والسيرجان وجيرفت وبم مناديا بـ : لكل شخص من الفقهاء يحفظ كتاب الفقه القدورى[2] فإننى آمر له براتب قدره

١- الخروار: أحد الأوزان الإسلامية المعمول بها فى الأمصار الإسلامية وهو يساوى حمل حمار.

٢- يشير إلى كتاب الفقه القدورى نسبة إلى الفقيه الحنفى أبي الحسين القدورى الذى ذكره ابن الأثير فى وفيات سنة ٤٢٨هـ ومن المعروف ميل العنصر التركى إلى المذهب الحنفى وعليه تكون إمارة كرمان أميل إلى الفقه الحنفى فى تلك الفترة (انظر ابن الأثير، الكامل، ج٨ ص٦٤)

مائة دينار من العملة الفضية تسلم إليه جزاء همته وأوصلها له كل عام على سبيل الراتب، وإذا ما حفظ الجامع الصغير فإننى أعطيه خمسمائة دينار، وإذا ما حفظ الجامع الكبير فإننى أعطيه ألف دينار . وكان يأمل من هذه الجائزة الملكية أن يكون هناك ألف رجل بين فقيه وصاحب فتوى وكان الملك محمد سعيد الحظ دائما.

شـــعر

- همس العقل فى أذن السعادة قائلاً ، غاية أمانى أن تكون محبوبتى يومًا .
- فأجابته السعادة قائلة : كل مكان أكون أنا فيه، تكون فيه أنت أيضا دون قصد.

وكانت مدة ملك الملك محمد أربعة عشر عامًا. وبعد أن ساس الحكم مدة أربعة عشرة سنة وستة شهور وسبعة أيام تجرع فى النهاية شراب الزوال فى قدح الارتحال من يد ساقى كل نفس ذائقة الموت. وكان ربيع ملك آل سلجوق فى فترة حكم الملك محمد وفيه تنسمت الدنيا نسيم عدله.

شـــعر

- كان العدل والانصاف هما عمله، لذا عمل الفلك الدوار على اختياره.
- وبعد أن أمضى العمر فى العديد من هذه المواضع، سحب يده من هذا النسل الترابى.
- وكل من يواتيه الحظ المتقلب، فإنه لايسلم قلبه لهذا الفلك.

وكانت وفاته فى السادس من شهر جمادى الأولى سنة ٥٥١هـ الموافق للعام ٥٤٤ الخراجى.

مقالة فى ذكر حكم الملك محى الدنيا والدين طغرلشاه بن محمد بن ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورد وهو الملك الثامن من القاوردية الذى حكم فى كرمان وعمان وفارس

فى شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة خراجية الموافق لليوم السادس من جمادى الأولى سنة احدى وخمسين وخمسمائة : وصل دور حكم كرمان إلى الملك محى الدنيا والدين طغرلشاه بن محمد بن ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورد أنار الله برهانهم ، وبحكم الارث زين عرش المملكة بجماله الملكى.

كان ملكا عادلا رحيما لطيفا شفوقا بالرعية. وليس هنالك ملك من أسرة آل سلجوق المباركة نفسها قد وصف بمثل هذه الأوصاف الحميدة أو عرف بمثل هذه الأخلاق الشريفة؛ سبحان الله. . لقد كانت دولة آل سلجوق دولة مباركة فإن الدنيا الهرمة قد استعادت طراوة عهد الشباب بظهور راياتهم واستكملت مزرعة الدنيا عمارتها بظهور إقطاعهم، وانتظمت أحوال العالم بحسن سيرتهم ، وارتفعت أعلام الاسلام بقوة مدد تمكينهم ونصرتهم . إن أكثر المدارس والبقاع والرباطات والمساجد والمنارات التي فى بلاد الشرق والغرب؛ جميعها : من بناء ملوك ووزراء وأمراء آل سلجوق. إن تراب كل أرض قد جرح باسم جيوشهم المنصورة وأنبت السنبل والزعفران بديلا عن أشواك النباتات الصحراوية. وأن كل هواء قد اختلط ببخار غبار جيوشهم الميمونة قد تضوع بروائح المسك التتارى وبخور العود القمارى؛ فلاجرم أن صدى دولتهم قد وصل إلى الأقاليم السبعة وأنهم حكموا وسيطروا على جملة بلاد الإسلام من الصين حتى الروم وتحلت بسكتهم وخطبتهم. وحينما هوت إلى قاع الانحطاط أيام دولة هذه الأسرة ، ومال بدر التمام لهذه المملكة إلى محاق الزوال، واستكانت الأيدى العاملة فى عمارة البلاد وراحة العباد فى الجيوب ووافقتها الأقدام وسارت فى طريق العدم.

شـــعر

- ضاع كل ما كان من نعيم الروح وراحة القلب، كما ضاع كل ما كنت اتذكره معك

وبعد أن أمر الملك طغرلشاه بسجن أخيه محمودشاه فى قلعة الجبل؛ أمضى اثنتى عشرة سنة سادرا فى لهوه ومرحه : ساهيا باللهو ومحيطا نفسه من كل جانب بالراحة والدعة. وفى هذه المرحلة راج أهل الملاهى والنفاق وظهر أهل الطرب واتجه الناس إلى الخمارات وفقا لمقولة: (الناس على دين ملوكهم ومتابعة الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم). واستبدلوا الركوع بالسجود؛ وودعوا الأمن الهنىء ؛ وأصبحت القاعدة عند ملوك كرمان هى الانتقال فى شهر آزر من دار الملك بردسير إلى دار الدولة جيرفت. ثم العودة فى شهر ارديبهشت إلى بردسير . وهكذا أصبحوا يقضون الشهور السبعة من موسم الحر فى بردسير مركز العز والعلاء، والخمسة شهور الباقية فى الأصقاع الدافئة (الجروم)

شـــعر

- اعتلى الجميع سرير السرور، وسار الجميع على بساط الحبور

ثم حدث فى شهر أرديبهشت سنة سبع وخمسين وخمسمائة كسوف كامل فى برج الثور. وكان هائلا للغاية ومخيفا ، وتحول الهواء الى الظلمة وظهرت النجوم وسقطت الطيور عن

الأشجار. وفى العام التالى وهو عام ثمانى وخمسين وخمسمائة الخراجى ذهب الملك طغرلشاه مريضا إلى جيرفت ومات فى العشرين من شهر فروردين[1] وكان له أربعة أولاد، الأكبر الملك ارسلان وأمه جارية، والأصغر تركان شاه وهو أيضا من جارية وابنان أوسطان من الخاتون ركنى وهى بنت عم الملك؛ الأكبر منهما هو توران شاه والأصغر بهرامشاه.

وكان الملك أرسلان ملكا وسيما، جميل الطلعة ولطيفا وعادلا؛ ذا مروءة عاقلا وقورا وخجولا، أما شرب الخمر فكان شغوفا به وحريصا على ملازمة اللهو والمنادمة، وحينما تلعب الخمر برأسه، وترفع دماغه يهون على قلبه ملك الدنيا كلها ولايلتفت إلى ما يحدث وينحى هموم مصالح الملك عن قلبه، ويصبح لا طاقة له للاستماع للنصح.

شـــعر

- حينما يجلس الملك على بوابة الهزل، يخرج الملك من ثقب العزل.

وبعد كأسين يخلع عن رأسه تاج التكبر وينزل عن كرسى التجبر؛ وكل من يراه يسعد قلبه بقبلة من فمه حلوة. وذهبنا إلى خدمته حتى نمضى وقتا نأتى له فيه بكلمة طيبة أو نسمعه شعرا فى المديح؛ وقبل أن نتحدث مال على وجوهنا بقبلته وظننا أنه منحنا بذلك منصبا رفيعا ومكانة قريبة. وفى ليلة حالكة أحضر فيها سقاء القصر ذقا من الخمر إلى المجلس فتعامل معه بنفس اللطف؛ وفى مرات أخرى عديدة تعامل مع وجوه سود كالغربان بقبلات الشفاه المدمخة بالخمر، فأدركنا أن هذا من فضول السكر وليس من الأفضال مع أهل الفضل. أما هواه فى قلوب أهل كرمان والرعايا والجيش فهو متمكن للغاية. وحبه عند الخاص والعام غال لدرجة أنهم نقشوا اسمه فى القلوب ورسموه على أجسادهم واعتقدوا أن الدعاء له أمر واجب مثل عبادة الحق سبحانه وتعالى. ومن أعماله الخفية التى جرت على يده فى عهد ملكه أنه مال إلى زوجة أبيه الخاتون ركنى أم تورانشاه وبهرامشاه ومثل بهذه العورة العزيزة وأهمل حرمتها وجانب حرمة الأمومة. وكان الملك تورانشاه بن طغرلشاه ملكا يغلب عليه الهزل، وينسب إليه كل ما هو من اللعب والحركات والعزف والقصف فى مجالس أنس أبيه؛ وكان قلبه قليلا ما يوافق لسانه وكانت هناك هوة ساحقة عنده بين القول والعمل.

١- يؤرخ أفضل الدين الكرمانى لوفاة طغرلشاه بالعام الخراجى، وقد ذكر ابن الأثير أن وفاة طغرلشاه حدثت عام خمس وستين وخمسمائة؛ كما ذكر الخلاف بين أولاده بهرامشاه وارسلانشاه (انظر الكامل فى التاريخ، ج٩، ص١٠٨)، أما صاحب زبدة التواريخ فيذكر وفاته فى عام ثلاثة وستين وخمسمائة (انظر زبدة التواريخ، ص٢٧٩) ثم يذكر بالتفصيل قصة الخلاف بين أبناء طغرلشاه.

شـــعر

- ولأنت تفعل ما تقول وبعضهم *** مذق اللسان يقول ما لايفعل

نظم

- أنا لا أصدق حديثك؛ فمتى يستقيم ما فى قلبك من القول حتى الفعل؟

وكان الملك بهرامشاه ملكا ذاهيبة وكان أكثر استقلالا فى الملك عن الجميع؛ وكان عاقلا؛ رزينا؛ ذكيا ؛ مجربا لم تخل الخمر والطرب بعنان عقله عن جادة الحفاظ على المصالح والاستماع إلى النصائح ، أما فى قلوب الرعية فلم يحتل أى مكانة ، وقطعا لم يتوافق مزاج أهل كرمان مع أجواء دولته ، وأيضا لم تظهر شرذمة من طبقات الجيش طاعة لأجواء دولته. وحينما أدرك هذا الأمر أبعد عن رعايته رعية كرمان وحشمها وحرمهم من عاطفته وهجرهم، ودائما ما أمطرهم بسهام غضبه وفحش قوله ولهذا السبب فإن خلقا كثيرين من أمراء وغلمان ومشاهير كرمان - خلال فترة حكمه- قد ألقى بهم فى نار الهلاك وقتلوا. وظن أنه يستطيع بوسائل العنف تحويل قوافل القلوب عن مناهل محبة الملك أرسلان ولم يعرف أن (النار بالماء يطفأ ودواء الخرق أن يرقى) ، فلاجرم أنه كلما زاد فى سفك الدماء فإن الطبائع تبتعد نفورا وخيفة منه ؛ والأكثر من كل هذا أن أخاه الأصغر تركان شاه رغم أسباب الاتفاق مع الملك أرسلان فقد قتله ولم يدرك أن (الرحم شجنة من الله فمن قطعه قطعه الله) .

شـــعر

- أنت دوما تريق دم الأخوة، ودوما بعد الحرب تهرب الطيور

مقالة فى ذكر بهرامشاه بن طغرلشاه بن محمد
وهو الملك التاسع من القاوردية

فى نهاية عهد الملك طغرل كان زمام أمر الممالك فى يد مؤيد الدين الأتابك ريحان وكان كل من الملك والخاتون ركنى موافقين على كل ما يحكم به ويرضاه. وكان مؤيد الدين يفضل من أبناء الملك طغرل؛ بهرامشاه ويرعى جانبه للغاية. ثم فى فجر يوم السبت الثامن عشر من شهر فروردين ارتفعت أصوات الصراخ تفيد أن الملك طغرل قد مات؛ فوقع الاضطراب فى مدينة جيرفت وأغار الأتراك والغلمان ونهبوا وحملوا جميع الركائب والبغال التى للتاجيك ولأهل العلم. وكان هذا الصراخ نفسه ناتجا عن نواح جوارى الحجرة الملكية بسبب خوفهم من وقوع الحادثة؛ ولكن الملك كان حتى الآن حيا. والخلاصة أنه بمجرد ارتفاع هذا الصوت استولى

بهرامشاه على العرش بتأييد قوة مؤيد الدين ريحان، وجلس مكان أبيه مع عدة أشخاص معدودين؛ وقرعت الطبول ووصلت أصواتها الهادرة إلى السماء. وحينما علم الملك أرسلان أن الأتابك يميل إلى بهرامشاه خرج فى الحال مع ثلة من الحشم من جيرفت (جارفت) ورافقه تركان شاه أخوه بناء على التوافق الذى كان بينهما وأعلن ولاءه ومعيته لأخيه الأكبر، وتوقفا لبعض الوقت خارج جيرفت فلم يتعرض لهما أحد؛ ثم اختلف رأيهما بأى طريق يتوجهان وفكرا فى طريقة القرعة وتغلبت الرغبة فى الرحيل إلى بم، فتوجها لى بم . وأرسل الملك تورانشاه وهو الأخ الأكبر ومن نفس الأم شخصا إلى أخيه بهرامشاه يقول له: بينى وبينك عهد بأنه إذا وقعت الواقعة أن نسير فى طريق واحد وأن نعلن ونتضافر فى صد الملك أرسلان عن حريم الملك وعن دار الحرملك . والآن قد اتتخذت سبيل الأنانية ولم تراع الأخ الأكبر فلماذا وقفت هذا الموقف؟ فأرسل بهرامشاه جوابا فيه: إذا كان هذا الأمر قد حدث كما تمنينا ؛ وبقيت وفاة الوالد فى الخفاء ولو ليوم واحد وأصبحنا قادرين على الاختيار فلن أجيز لنفسى أن أتجاسر واتخطيك فلما وقعت الواقعة ونزلت الفتنة وحم القضاء كان ولابد دفعا للأعداء والخصوم المحافظة على البيت الحاكم ورعاية عرش الوالد. والآن احذر أن تتحرك وابق على هدوئك حتى ينطفى لهيب نار الفتنة ويهدأ الاضطراب والخلاف، أنت مولاى وأخى الأكبر وإننى باق على طريق العهد الذى كان، وأن ربق طاعتك طوق فى عنقى، ولكن فى هذا الوقت فإن نزولى وصعودك سيكون سببا فى مزيد من التنافر؛ خاصة وأن اعتماد هذا الملك على قوة الأتابك ريحان وصولة السلطنة من قوة غلمانه، والحال هكذا فإنه من المتعذر اتخاذ قرار بشأنه .

وحينما سمع تورانشاه هذه الكلمات أدرك أن الجواب سقيم والملك مقيم فخرج فورا مع خاصته وتوجه إلى فارس وبقى بهرامشاه فى الملك.

وكانت وفاة الملك الحقيقية يوم الاثنين العشرين من شهر فروردين، ووقعت فى يد بهرامشاه خزائن كثيرة وجواهر بلاعد، وأقام فى بردسير الأتابك قطب الدين محمد بن الأتابك بزقش فى منصب الشحنة. وحينما علم بهذا الأمر اتخذ أسباب الحيطة واهتم بضبط القلاع والمدينة وجعل الخطبة والسكة باسم الملك بهرامشاه. وتصادف أن وكيل الخيل قطب الدين محمد كان قد وصل إلى بردسير فى نفس هذا الأسبوع من أجل تحصيل الضرائب الديوانية والمرتبات وطعام حشم بردسير وقد كنت برفقته[1] ولقد كان الملك طغرل أثناء حياته يماطل فى تحصيل الضرائب وكانت وفاة الملك سببا فى اتمام عمله ولهذا السبب كانت دار الملك فى يد قطب الدين الذى قدم

١- المقصود هنا الكاتب أفضل الدين الكرمانى.

له معروفا عظيما وأعطاه أموالا كثيرة وتحفا لاتعد مقدرة على أساس ثلاثة أمثال ضريبة الفرد الذكر[1] وهو نموذج يحتذى فى تذليل الصعوبات ، ولقد قدم قطب الدين محمد كل ما هو فى حدود الإمكان من وسائل التمكين والرعاية والتيسير، وأرسلها إلى وكيل الخيل قبل أن يتحرك هو إلى طريق راين .

ولأن الملك ارسلان قد تنازع مع أخيه بهرامشاه وأحيانا هذا غالب وذاك مغلوب؛ وفى وقت آخر هذا يكر وذاك يفر؛ كان من الأولى أن نتحدث عن أحواله أيضا على سبيل الإجمال.

مقالة فى ذكر الملك أرسلان بن طغرل بن محمد وهو الملك العاشر من القاوردية

حينما وصل الملك أرسلان إلى بم؛ لم تمتنع المدينة عليه كثيرا وفى ساعة أخذ المدينة، واستسلم الآخرون وتقدم أهل بم لاستقباله.

شـــعر

- هذا القلب الذى انتشلته من قبضة حزنه، لم أسلمه لأحد ولم أظهره .
- أما أنت أيها الحبيب فقد سلبته بنظرة واحدة، وكأننى فقدت القلب منذ ألف عام.

ويقال أنه قد طال الوقت فى انتظار مقدم الملك أرسلان، الجميع قد أعد عرش الطاعة وكانوا على قلب رجل واحد فى خدمته. ومن جيرفت توجهت طبقات الجيش من الترك والديلم لخدمة الملك أرسلان، وقد استبدت الرغبة فى حكمه بالقلوب واحتلت الرغبة فى خدمته سويداء الخاص والعام.

شـــعر

- لكل قلب عند المشرع رخصة، يقال إنها الولع بالعشاق.

وقد حزن كل من بهرامشاه ومؤيد الدين من هذا الوضع . وظهرت على ملامحهما آثاره، وكانوا قد أمضوا عدة أيام فى جيرفت (جارفت)، ولكنهم عزموا على التوجه إلى بردسير

١- أسس قاوردشاه ضرائب على الأفراد؛ وكانت الضريبة على الطفل أو المرأة تختلف عن ضريبة الرجل لذلك سميت ضريبة الرجل بالفارسية (سر كلاه) على أساس أن كل من يرتدى القبعة يكون رجلا ليس طفلا أو امرأة (انظر محمد إبراهيم باستانى باريزى ، وادى هفت واد ، جلد نخست ، ٢٥٣٥ش، ص٢٢٤ ، ٢٢٥) .

بسبب قرب المسافة بين جيرفت وبم، وساروا فى الطريق كى يبتعدوا عن بم وكان الجيش غير قادر على الفرار ووصلوا إلى بردسير فى شهر أرديبهشت . وكان حب الملك أرسلان فى القلوب يتزايد يوما بعد يوم؛ وعيون الرعية ترنوا إلى خدمته والتواصل معه ساعة بعد ساعة مما ضاعف من اشتعال غضب بهرامشاه ومؤيد الدين على الجيش والرعية وألقى بالزيت عليه حتى لكأن غضبهم يكاد يذيب الحديد.

هذا الفصل
يشتمل على شرح لأخلاق الأتابكة الذين
كانوا يديرون دفة الملك فى عهد أولاد الملك طغرل

مؤيد الدين ريحان

كان مؤيد الدين ريحان سيدا شابا فى خدمة الملوك السابقين، وكان له عقل ورأى كامل ومروءة شاملة؛ وطول عرض فى الجثة وكأنه قد نزل فى حقه (وزاده بسطة فى العلم والجسم) ، كان فى أول عهد الملك طغرل قوى الحال وكان يجارى الأتابك علاء الدين بزقش فى ميدان التبارى ، اشترى كثيرا من الغلمان الترك.

وفى نهاية عهد الملك طغرل حينما انقلبت راية الأتابك بزقش أمروا بأن يضاف منصب الأتابكية إليه ليزداد اقترابه من الملك، وكانوا يضعون كرسيا فى بلاط الملك ليجلس عليه، وكان القيام والقعود عليه فى غاية الصعوبة لضخامة جسمه. وكان فى يده الحل والعقد كله فى المملكة؛ طوال هذه السنة، ذلك لأنه لم يكن يحجب عنه شىء فى كل الأحوال سواء فى القصر والحريم أو غيره. وكان الملك والخواتين والجميع فى طاعته ومسحورين به. أما السيد (مؤيد الدين) فقد كان خيرا؛ وآثار خيراته فى كرمان من أبنية وبقاع ومدارس وخانقاهات كثيرة، وقد أقام الرباطات فى الطرق عند نزول القوافل وأوقف عليها الأوقاف حتى يمنحوا لفقراء السابلة الزاد والنعال، كما أوقف وقفا لمساكين مكة. ومن عاداته السيئة أنه كان يختار الكتخدا (كدخدا)[1] ممن لايخافون الله حتى يأخذ لنفسه حصة من كل قرية له فيها شريك؛ وكان يسميها الحصة الخاصة، وكان يهمل الفقراء .

١- الكتخدا هو فى حكم الوزير عند حكام ووزراء الولايات، ويسند إليه الأعمال الادارية غير العسكرية=

قصة الملك قطب الدين محمد بن الأتابك
بزقش عليه الرحمة

كان قطب الدين محمد بن الأتابك بزقش رجلا حكيما ذكيا عاقلا، أما فى المهارات العسكرية فهو خيال وخبير. حينما انتقل والده الأتابك بزقش فى أواخر عهد الملك طغرل من دار الدنيا الغرور إلى غرفة دار المقام فى الآخرة؛ وبحكم أنه كان لأبيه عتاد جيش كرمان من خيل وخدم من الغلمان؛ وإكراما لانعامات وإحسان أبيه ذاك الأتابك والدادبك[1] الصالح؛ وتراث أجداده من العفة والزهد والمؤكدة عند الخاص والعام؛ فسواء رغب مؤيد الدين ريحان أو لم يرغب لم يكن من الممكن إهمال جانبه. وحينما أعطوا منصب الأتابكية لمؤيد الدين كان لابد من إعطاء قطب الدين منصب شحنة دار الملك بردسير وأيضا الدادبكية؛ لما له من الأهلية والريادة؛ ولما كان لوالده من مكانة، وقد زرع فى قلوب شعب كرمان طوال عهده الحسن أغصان محبته. ولم يمض سوى خمسة أو ستة شهور خلال عهد الملك طغرل وأوائل عهد الملك بهرامشاه إلا وقد خلع عليه منصب الدادبك والشحنة كما هو معروف ثم أصبح قطب الدين هو الأتابك فى النهاية . ودائما ما كانت أعمال كرمان على عاتقه وكانت أحواله فى ارتفاع وانخفاض مرة هكذا ومرة هكذا ؛ مما سيأتى ذكره. وقد كنت فى خدمته وفوض إلى ديوان الإنشاء[2]. ومن أخلاقه السيئة التى عرفتها عنه أنه كان ينثر خفية وتحت جنح الظلام بدرات

= وفى بعض الأحيان يطلق مسمى (كتخدا) على الوزراء. وهناك أيضا (كدخدا) يتولى أمور ديوان الشحنة ؛ ويقوم بالأمور الإدارية الخاصة بالشحنة مثل ترتيب قوائم المجرمين أو استلامهم، وترتيب مهام الشحنة فى الإمارة. (انظر حسن أنورى، أصطلاحات ديوانى، ص٢٢٥ ، ٢٥٩) .

١- الدادبك : لم أعثر فى كتب المصطلحات على وظيفة الدادبك فى العصر السلجوقى، وإن كنت أرجح أن الكلمة مكونة من مقطعين ، الأول (داد) وتعنى بالعربية : العدل ، والثانى (بك) وهو لقب تركى معروف كان يضاف للقائم بالعمل، وعلى هذا يكون معنى المصطلح . أمير العدل أو كاتب العدل أو القائم بالعدل.

٢- المتحدث هنا هو أفضل الدين الكرمانى الكاتب؛ وقد تولى ديوان الإنشاء فى كرمان كما يتضح من السياق. أطلق على ديوان الإنشاء أسماء أخرى مثل ديوان الرسائل ، وديوان الطغراء، أو جمع فى الاسم فأصبح ديوان الرسائل والانشاء . وفى العصر السلجوقى حملت الأوراق الرسمية من فرامانات أو مرسومات التى تخرج من هذا الديوان، علامة خاصة مقوسة تسمى بالتركية (طغرا) وعربت طغراء ولذلك سمى ديوان الطغراء، وأطلق على القائم عليه بالفارسية (طغراكش. ،عربت الطغرائى. (بالتفصيل انظر حسن أنورى، اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠ ، ١٦١) .

الذهب المصنوعة من الفضة الخام، وفى الصباح يبخل فى إقامة الموائد وإطعام الطعام، وقد دار الحديث معه فى هذا الأمر تصريحا وتلميحا ولم يؤثر فيه الحديث أو يعدل عن هذه العادة . استغفر الله، هكذا كانوا وهكذا كانت أفعالهم!

- أولئك الذين طمعوا فى الدنيا وفق هواهم، ولطخوا رقعة العمر ودنسوها .

- مضوا كما جاءوا لم يحملوا منها شيئا، كما لم يحضروا معهم أى شىء.

مقالة فى ذهاب الأتابك محمد من بردسير إلى بم لخدمة الملك أرسلان ومجىء تورانشاه بجيش فارس وتوجه بهرامشاه صوب خراسان ومجىء الملك أرسلان من بم وانهزام تورانشاه وجيش فارس

حينما عادت مدينة بردسير إلى قبضة الملك بهرامشاه وأمن من غدر الأتابك محمد؛ أهمل جانبها وتمهل فى الوفاء بحقوقه. ولقد فر غلمان قطب الدين صوب بم، وفى كل يوم كان تقل طائفة وفى كل ليلة تقل مجموعة من حشمه؛ وحينما رأى قطب الدين محمد ضياع ملك بهرامشاه توجه إلى قبلة إقبال الملك أرسلان ، وذات ليلة توجه مع من بقى من حشمه وغلمانه إلى حرم كرم الملك أرسلان قائلين: لبيك؛ والتحق بخدمته؛ واشتد ساعد الملك أرسلان بانضمام قطب الدين، وأصبحت أعداد شوكته وافرة وإمدادات نصره متوافره وظاهره. وبقى بهرامشاه فى بردسير، وغلبت على مؤيد الدين وخاصة خدمهم الحيرة؛ واضطربت خواطرهم وتشتت ضمائرهم ذلك أن طريق الخلاص من هذه الحلقات المستحكمة الضيق، كان خافيا. وفجأة وصل خبر فى شهر خرداد مفاده أن الملك تورانشاه قد طلب المدد من الأتابك زنكى وهو ملك فارس، وأنه وصل إلى السيرجان. وتضاعفت المحنة وظهرت فتنة جديدة وتنامى الضجر والسخط عند كل من بهرامشاه ومؤيد الدين.

نظم

- أصبحت من الغم كسير القلب، ثم جاء عشقك فتحطم قلبى تماما

ثم ألقى خطبة مع خاصة أهل البلاط موضحا الوضع المضطرب ، وطافوا بحثا يتشاورون حول الاجابة الصعبة؛ وانتهى البحث والتشاور إلى: أن تورانشاه هو الأخ الأكبر وهو الآن ذو قوة واستطيع أن أدخل إليه من بابا التواضع ؛ ومن الممكن إرسال رسالة لاستمالته واتفقوا

على أن تتحمل الخاتون ركنى؛ أم الاثنين؛ وتذهب إلى السيرجان لاستقبال تورانشاه فقد تستطيع بلطف الأم إصلاح ذات البين؛ وقد تقدر على أن يتناصر الأخوان كل من جانبه للآخر وتصبح كلمتهم كلمة واحدة فى وجه الخصم الملك أرسلان. وتحملت الخاتون الأمر وحينما وصلت إلى السيرجان وشاهدت الابن (وعلى هذا النسق بدأ النقاش والجدال) ولكن شيطان الغرور كان قد أفسد عقل ابنها فذهب حديث الأم أدراج الرياح؛ ولم يتراجع قيد أنملة عن موقفه المعاند رغم فيض حنانها وتضرعها.

شعر

- أنا لا أخاصمك مجازا، وأنا من سيعيد ملك الآباء بالسيف

وحينما رأت الخاتون معاندة الابن؛ وعاينت رفضه لقبول شفاعتها وضراعتها : كتبت إلى بهرامشاه بأنه: ليس هناك سبيل إلى إصلاح أمر هذا الجانب، وأن ابنى تورانشاه لايملك زمام الاختيار، وأن معه جيشا من الغرباء وعتادا كبيرا.

وبحث الابن بهرامشاه عن طريق للفرار واجتهد فى النجاة بنفسه ، ونزل الخبر على بهرامشاه ومؤيد الدين فأصبحت الدنيا على رحابتها أضيق من سم الخياط وفكرا فى الفرار واختيار مكان للاستقرار، وانتهى التشاور إلى: أن الملك المؤيد وهو ملك خراسان ، يملك جيشا كبيرا؛ ولأنه قريب العهد بالسلطنة فهو حتى الآن لم يجمع أموال الخزانة ؛ فإذا ما جعلنا مالنا وخزانتنا فداء له فقد أوجدنا بذلك الامدادات وشروط النجدة والمساعدة، وخرجوا على هذه النية من دار الملك بردسير فى يوم الجمعة آخر شهر خرداد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة الخراجية ، واتجهوا عن طريق خبيص إلى خراسان . وفى يوم الأحد أول شهر تير وصل الملك تورانشاه مع جيش فارس ووجد مدينة بردسير خالية من الجيش، ولم يظهر سوى بعض الديالمة وهم حراس الدروب؛ وقاضى الولاية لحفظ المدينة وضبط قلعة الأجداد. وقد خرب جيش فارس مشارف المدينة ونواحيها تخريبا شديدا، ثم مضى على هذا الأمر أربعة أيام وفى اليوم الخامس فجرا والناس لايدرون وصلت الرايات المنصورة للملك أرسلان من ناحية بم قاصدة بهرامشاه والاطاحة بتوران شاه .

شعـر

- تأمل ذات يوم أن ببغاء طبعى جاء إلى شفتيك ، طامعا فى فستقه فوقع على سكر.

وحينما تؤيد العناية الربانية والإمداد السماوى؛ فإن سبعمائة غلام هم عدد جيش الملك

أرسلان؛ قد هزموا خمسة آلاف رجل فارسي . وكانت هذه أول معركة تقع في كرمان وكان حشم وغلمان كرمان لايدرون شيئا عن قواعد وقوانين الحرب والرأفة بالأسرى، وحتى هذه اللحظة لم يكونوا قد رأوا معركة أو قاتلوا ؛ فأعملوا السيف في أهل فارس وقتلوا خلقا كثيرين وقبضوا على القوم ، وقدموا للملك أرسلان نصرا عظيما وكبيرا. أما تورانشاه المنهزم فذهب إلى فارس، وفي أسبوع واحد انتهت ثلاث ثورات على هذا النسق. ثم سلمت جميع ممالك كرمان للملك أرسلان ، وصفا الجو من شوائب المنازعة والخصوم إذ أن الأتابك محمد كان قد حصل على شروط حسنة للاستسلام . وكانت مناصب الدادبكية والأتابكية والشحنة لدار الملك بردسير ، هذه المناصب الثلاثة؛ باسم ورسم الأتابك بزقش. ثم أمر قطب الدين محمد بأن يفوض مسند الوزارة في بم إلى ضياء الدين أبي المفاخر وكان مشرفا على ديوان بم، وذلك أنه قد قدم خدمات جليلة منذ وقت وصول الرايات المنصورة الارسلانية إلى بم وحتى خروجها منها وبذل الروح والمال فداء للملك أرسلان فبقي منصب رئيس الوزراء خلصا له، كما أمر له بمزيد من السلطة والقوة. وكان رجلا عظيما محمود الإقبال والأخلاق. وفتحت له أبواب الكنوز فقد أحضروا إلى ديوان الملك أرسلان الودائع والأمانات الكثيرة التي كان قد أعطاها مؤيد الدين ريحان لسادة المدينة وكبرائها ، كما قدموا له أمور الخزانة والقصر وخراج الخيل ومثل هذه البيادر. وخلال خمسة أو ستة شهور أصبحت حدود المملكة مصانة ومتوفرة فيها حدود الأمان، وغفل الناس في سنة الرفاهية وظنوا أن تورانشاه قد غفل وأعاد سيف المطالبة بالملك إلى غمده ، وأن بهرامشاه قد نفض يده من أمور الدنيا.

وفي أوائل الخريف طلب تورانشاه جيشا آخر وجاء من بردسير إلى حدود برك وطارم، وخرج الملك أرسلان من مرغزار مع جيش جرار كالأسود الجائعة واتجه إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) ، وتراجع الملك تورانشاه إلى حدود الصحراء، وحينما اقتربت المسافة بين الجيشين وكان جيش فارس قد أرهق، أمر في الحال بإعداد الطعام؛ وأقيمت الخيام؛ وتركا العتاد؛ فوقع بينهم الخلاف ورفعوا الحراب منادين بالعودة إلى شيراز ، ورأى الجيش أن بردسير رطبة في هذا الجو الحار- حتى لو أن ماءها من العقيق المذاب وتقدم قوارير الشهد الحلو- فإن مشاعرهم قد أفلتت وأثر فيهم الطقس الحار غير المعتاد، وظهر عليهم المرض وحدث وباء سيء وهلك جمع كبير من الأتراك في هذا الوباء المخيف ودفنوا . وعزم الملك أرسلان على العودة من هذه النواحي إلى جيرفت مرة أخرى؛ واستمر مرض الجيش وهلاك الغلمان.

مقالـة فى عـودة بهرامشاه من خراســان إلى جيرفت والحرب مع أخيه، وهزيمة الملك أرســلان، وطلب العــون من بلاط العــراق

فى شهر اسفندارمذ سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصل الخبر بأن بهرامشاه يقود جيشا من خراسان وأنه جاء إلى مكران عن طريق سجستان . فقد عرض الملك بهرامشاه على الملك المؤيد فى خراسان عدة أنواع من الجواهر النفيسة والملابس الفاخرة والنقود المختلفة والأوانى المرصعة وأدوات المجالس وغيرها من النفائس ؛ التى لم ير مثلها لا فى ممالك خراسان ولا فى خزائن السلطان سنجر ولا فى حوزة أمرائه. فلاجرم أنه أمده بثلاثة آلاف رجل مثل الأسود المفترسة والسيوف البتارة كانوا أسود العصر وشجعان الحرب وبواسل الشدائد . وكان من بين الأمراء العظام الذين أرسلوا لخدمته سيف الدين تيلور، وبغراتكين؛ وصلاح الدين ميمون وأرغش زاده. وأثناء تحديد إعداد المدد قال الملك المؤيد لمؤيد الدين: حذار أن تنظر للجيش بعين الاحتقار وإن كان العدد قليلا فبينهم رجل يعادل ألف رجل وهو أرغش زاده . والخلاصة أن بهرامشاه وصل إلى جيرفت (جارفت) فى نهاية اسفندار مذ سنة ثمان، بينما نزل الملك أرسلان مع حفنة من الحشم بين ضعيف وواهن أو مرضى متعبين وكانوا بين أقدام واحجام لاقدرة لهم على الفرار ولا على الكر، وأفكاره متشعبة فى طرق مختلفة، وكان قد قرر سابقا أن يقتصر على مدافعة العدو ومقارعة الخصم. وخرج من جيرفت بالجيش الذى كان معه والقادر منه على امتطاء الخيل. ووقع اللقاء فى صحراء قمادين[1] وابتلى جيش كرمان ببلاء عظيم وهرب الملك أرسلان والأتابك محمد وأكثر الأمراء من المعركة واتجهوا صوب العراق . أما تركانشاه الأخ الأصغر للملك أرسلان فقد ذهب للمعاونة مع فوج من أصحاب العمائم ومشاة الديالمة ؛ ولم يجد الجميع غير النكال والعذاب. وقمادين موضع عند باب جيرفت وهى مسكن لغرباء الروم والهند؛ ومنزل لمسافرى البر والبحر؛ وهى خزينة أغنياء العالم؛ ودار كنوز أرباب البضائع من الشرق والغرب. ونزل جيش خراسان هناك واستباح هذه الرقعة المحمية وجرى هتك عرض هذه العروس البكر على أيديهم؛ وجعلوا عاليها سافلها، وأقاموا - لعدة أيام- فى جيرفت وفى الرساتيق والنواحى سوقا للنهب والسلب والقتل والعذاب والتعذيب الدائم. وكان مؤيد الدين

١- قمادين هى الاسم العربى لمدينة جيرفت وتكتب أحيانا (كمادين) . ويبدو أنها كانت فى البداية مجاورة لجيرفت ثم دخلت فيها مع العمران.

عظيم الولاية: أسيرا ، فاستدرجوه وأرهبوه بألوان الجفوة وأنواع الطعن والتقريع ، ووعدوه بالوزارة، وأغروه باستخلاص قلعة بم له- فقد كانت قلعة بم فى يد ابنه- وأرسلوا الشحنة إلى بردسير وأمروه أن يقسم مبلغا يصل إلى مائة ألف دينار ذهبى من النقد الكرمانى يأخذه من المدينة والرعية احتفالا بالجيش . وحينما وصل بهرامشاه إلى كواشير[1] لاستلام المبالغ من الأموال وجد كل بيت فى بردسير فيه من القلق والحسرة على هزيمة الملك أرسلان ما يجعل معه تحمل أموال الضرائب والغرامة لايساوى شيئا. ولم ير رعية كرمان- مطلقا- مصيبة أكثر إيلاما من هذه؛ ورزية أكثر وجعا من تلك ولن يروا. ثم توجه الملك بهرامشاه فى أوائل سنة تسع وخمسين الخراجية إلى بردسير ووزع المال الذى جمع ، على الجيش، وسمح للأمراء العظام بالذهاب إلى خراسان ، واحتفظ بعدد من الأمراء مع حشمهم فى خدمته. وقد افترش جميع رجال كرمان- من حرقة واقعة الملك أرسلان - بساط المآتم وارتدوا ثياب الحداد ، وكانت نار الغضب من بهرامشاه ومؤيد الدين تؤكد المثل القائل: فى ألسنة النساء والعناكب يكمن حقدهن؛ ويغض الناس حجتهن . وطالب مؤيد الدين الناس بودائعه وأماناته وصلبهم من أجلها؛ وبعد تقريعهم وتوبيخهم عذبهم من أجل استردادها حتى قتل جماعة منهم، وتنازل عدد من الأغنياء عن أموالهم حتى أصبحوا فى حضيض الفاقة والعناء. ومن كلماته الموحشة هذه الكلمة: لقد جربت واختبرت أفاضل وسادة كرمان ووضعتهم فى محك التجربة؛ وكلما اختبرتهم أكثر وامتحنتهم أكثر وجدتنى أكثر أمانة منهم، لأننى لم أدفن شيئا فى خزانات مياه قصرى بل أحضرتها بنفسى وأودعتها عند السادة الأفاضل فخانونى وأعطوها لعدوى. وحينما تسلم الملك بهرامشاه بم؛ أحضر ابن مفاخر مقيدا كما قتل الوزير ضياء الدين أبا المفاخر والابن أثناء المصادرة والمطالبة . وبعد عدة أيام منح الوزارة لزين الدين كيخسرو الذى كان وزيرا لأبيه، ثم أعطاها لناصر الدين افزون الذى كان صاحب منصب محتشم كرمان فأظهر الالتزام وقبل الوزارة. وأجرى فى بعض الأحيان معاملات شراء وبيع فى الخفاء، وضاعفت وزارته من متاعب الناس وذلك بسبب جيش الغرباء وبسبب الفرض على المنازل والقصور الخاصة والعامة العديد من أنواع الضرائب، بسبب هذا كله أصبح الناس فى تعب ومشقة، ثم عزل وجاء مكانه الرئيس رستم الماهانى. وذات ليلة كان فيها بهرامشاه فى مجلس أنس مع أخيه الأصغر تركانشاه ، وبدأ فى العربدة وكان هذا الصبى يعلم أنه قد حان أفول نجمه وأنه قد نفذ فيه سم عقارب الأقارب، فنهض من المجلس وهرب محتميا بمغارة، فأمر بهرامشاه بالبحث عنه وقتله. ورغب بهرامشاه فى العودة إلى جيرفت فى عام تسعة الخراجى فى حين اتصل الملك أرسلان بحاكم العراق.

١- هى بردسير أو كرمان .

مقالة فى عودة الملك أرسلان بن طغرل مع جيش العراق من عند حضرة السلطان أرسلان بن طغرل وتحصن بهرامشاه فى كواشير

حينما خرج الملك أرسلان من معركة جيرفت ناجيا بنفسه اتجه إلى العراق، وكانت العراق فى هذا الوقت مع السلطان أرسلان بن طغرل[1] . وكان الأتابك ايلدكز وهو مستشار الملك قد أحضر أم السلطان- وهى حاضنة السلطنة وملكة ايران- إلى رعايته وأحضر أيضا الأحفاد مثل الأتابك بهلوان والأتابك قزل أرسلان وغيرهما. وكان ملك العراق ما زال يسير على السنن المعتادة ورسائل النصر والظفر ما زالت تتوافد رافعة الراية السلطانية ومدافعة عنها، وأيضا كانت تتوافد رسائل فتوح البلدان وقهر الأعداء من جميع الأنحاد. وتصادف وصول الملك أرسلان فى الوقت الذى كان فيه الأتابك ايلدكز فى اشتباكات فى قلعة طبرك (الرى) مع اينانج ، وبيمن مقدمه وقعت- وفى نفس الأسبوع - خيانة فى القلعة وقتلوا اينانج وتم الفتح بطريقة لم ترد على الخاطر أو يتخيلها الذهن. وتفاءل السلطان والأتابك وجميع الأمراء بمقدم الملك أرسلان المبارك، وقضى أياما استظل فيها بأجنحة طائر الهما السعيد وعاش فترة سعيدة. واجتمعت كلمتهم على الالتزام باغاثته ووجوب اعانته وبخاصة أم السلطان التى اتخذته ابنا ورفعت معه حجابها وخفت عنه هفوات الصغار حتى يخرجوا من حضرة البلاط إليه إذا ما أرادوا، وأرسلت إلى خدمته بكرمان جميع كبراء وأمراء العراق مثل الابن قراغوش والأتابك شيركير وعزيز الدين ممتاز وعز الدين الدينورى وأتابك يزد؛ ومن فارس الكوركانى وغيرهم. ومن كرمان ووفق رغبة الملك أرسلان توجهت جميع الخيول الأتابكية وصفوف الحشم وأصحاب القلم إلى أصفهان ، وكان بعضهم ممن سار فى معيته وركابه واستظل بظل راياته أينما قصد واتجه سواء إلى الرى أو ساوه. وحينما اشتدت برودة الهواء وقست رياح الزمهرير وتعادل طوال الليل والنهار بالميزان الطبيعى الربيعى، وسالت جداول ماء الورد من عجائن الكافور ودخلت سنة ستين الخراجية؛ خرج الملك أرسلان من بلاط العراق مع جيش هو كغيوم شهر آزار المتراكمة برعدها القاصف وبرقها الخاطف.

١- هو السلطان أرسلان بن طغرل الثانى، وهو السلطان الخامس عشر فى حكم الأسرة السلجوقية فى العراق. لتوضيح نسبه انظر شجرة نسب الأسرة السلجوقية فى ملاحق الكتاب.

بيت

جيش كليل يطوى صفحة الدنيا ، ويصبغ بالسواد الدامس القبة اللازوردية

مصراع

وهو فى زينته كليلة بدر القمر

واتجهوا إلى طريق فارس، ثم نزل فى اليوم الأول من شهر تير سنة ٥٦٠ الخراجية عند أبواب بردسير. وعين بهرامشاه العيون والجواسيس وأرسلهم إلى العراق، وحينما سمعوا بما عليه الوضع أعد العدة للحصار فأعد مؤيد الدين غلالاً كثيرة وحوائج لاتعد من كل شيء يُدخر ونصب المجانيق والعرادات فى الشوارع والبروج ومزيداً من الاستعداد أرسل إلى الأمير قراغوش؛ وكان شيخًا مجربًا؛ وأمر الأمير جمال الدين آيبه فوجًا من الحشم طلبًا للمساعدة، وجمع فى المدينة جيشًا كبيراً. وأقام الملك أرسلان بالصحراء مع جيش لايعد ولايحصى؛ كانوا قد توجهوا إلى معسكر الملك أرسلان من أطراف كرمان ونواحيها، وأحالوا المعسكر مدينة عظيمة ومقراً جامعًا بها أبنية من قصور وحمامات وأسواق وحوانيت ودار للطرب ودور للباعة ودار للحكم. وحدث بالمصادفة فى هذه الأعوام أن المحاصيل الشتوية قد أنتجت بشكل غير معهود من قبل فى سوابق الأعوام وسوالف الأيام؛ وأثمرت من ألوان النعم من الثمار والفاكهة ما يفوق التوقع.

نزل جيش العراق بضعة أيام بمبادى ثم هجموا بعد ذلك على المدينة والقلعة وحدثت المعارك السلطنية ؛ ولم ينتج عنها سوى هلاك الرجال وجرح الأبطال فأدركوا أن أطراف المدينة محصنة ورأوا أن جوانبها منيعة.

شـــعر

– كبحر عميق جارف يلحق الأذى بعابره ، حيث يدمى جناح العنقاء ويتحطم شراع الزورق.

وأيقنوا أنه ليس فى الاستطاعة الاستيلاء عليها بالجهد الإنسانى أو الحرب السلطنية، وأن فتحها بمفتاح الاستعجال أمر محال. أما عن اجتثاث الخطر من جذوره فيحتاج إلى المكيدة كما أن الخصم المدرع يؤتى من الخلف. كذا ركنوا إلى الدعة والترف وطيب الاقامة فى دور النعيم، وأُعدت فى المعسكر العراقى الكرمانى دواعى السرور ومشارب الطرب وأمانى الهناء من ندماء وظرفاء ومطربين كبار ذوى أصوات حلوة. وأطلق الملك أرسلان وأمراء العراق وكرمان

لأنفسهم الحبل على الغارب، وواصلوا الليل بالنهار على هذا النحو. وأهملوا الحصار بعض الشيء حتى إذا ما خرج المحاصرون من المدينة وعاثوا فساداً هجموا على المعسكر فحينئذ يصدونهم ويهزموهم. وازداد المعسكر رفاهية وراحة على مر الأيام وأصبح من كثرة الخلق ووفرة النعم كأنه جنة عدن. وللحق فإننى بعد شهرين أو ثلاثة حينما خرجت من ضيق القيود ووصلت إلى رحابة المعسكر ظننت أن الفردوس قد نزل إلى الأرض أو أنهم أحضروا بغداد إلى كرمان. وطلب بهرامشاه ومؤيد الدين العون للجيش من خراسان فتوافدت الرسل والأفواج، وقد حرص الملك المؤيد ألايكون شديد الحزم مع الجند حيث شعر أن المعاندة مع البلاط فى العراق أمر له عواقب وخيمة ، وكتب خطاباً جاء فيه: إن المصلحة فى المصالحة، وأن الأخوة لبعضهم ، وكتب أيضًا عن تقسيم كرمان والطعام، وعن إخراج الغرباء من بينهما، وأرسله إلى خراسان والعراق.

ويومًا بعد يوم ؛ استمتع جيش الصحراء بالنعيم المقيم، وبات أهل القلعة فى العذاب الأليم، وفى كل يوم يدفع بهرامشاه عبر بوابة العدم من أمراء الدولة وطبقات الشعب متهمًا اياهم بالميل إلى الملك أرسلان؛ فيقتلون على بوابة النصر، وهلك بذلك خلق كثيرون، ولم يبق فى المدينة غير الأيتام والأرامل يسجدون ويدعون عليهم بالعذاب، وكادت تنفذ أقوات الرعية بالقلعة وكان الفقراء والعورات[١] يحتالون بألف حيلة حتى يحملوا من الصحراء منًا أو منين من الغلة ويبيعونها بأسعار غالية، ووصلت معاناة الناس إلى أقصاها ودام الحصار مدة ستة شهور. وحينما انهارت قوة احتمال المقيمين بالقلعة إلى حد الصفر ؛ وأصبح العمل بالمثل القائل : الفرار مما لايطاق ؛ واجبًا على طبقات الشعب تسلل كل شخص على حده خارجا من طريق ، كما فر أمراء المدينة من القلعة.

١- هن من ليس لهن عائل .

مقالة فى ذكر المصالحة بين الملك أرسلان وبهرامشاه وتسليم دار الملك كواشير للملك أرسلان وذهاب بهرامشاه إلى دار الملك بم، وانفصال الأتابك مؤيد الدين ريحان عن بهرامشاه وذهابه إلى يزد واقامته هناك

كان الأمير قراغوش رجلاً عظيمًا وشيخًا مجربًا ومن أمراء السلطان الأعظم سنجر، قال لبهرامشاه على سبيل النصح: إن الدنيا من جميع نواحيها مفتوحة أمام جيش العراق، أما نحن فمغلق علينا أربعة أبواب، ولم نحصل رغم جميع الحيل على من واحد من الغلة. وهم قد أكلوا المحاصيل الشتوية أما الصيفية فكلها فى حوزتهم، وأنه لمن المستحيل أن تستمر المعاناة طوال ستة شهور ثم يتخلوا عبثًا عن هذا الأمر؛ وإذا ما تحتم نقل إمدادات الناس والحيوانات من أقاصى العراق فهذا الأمر فى قدرتهم وإمكانهم ، وقد قالوا إن الأتابك أيلدكز ثعلب قد مسك بالخناق بمعنى أنه لديه الكثير من قوة الصبر بالإضافة إلى أن الجد والجهد الذى يجب أن نبذله ليس فى استطاعتنا . لقد مضت ستة شهور لم ينم خلالها شخص قط ليلة كاملة؛ ولم يركن إلى الراحة يومًا؛ ولم يشبع أو ينزع الدرع عن ظهره. وأخوك الملك أرسلان ليس غريبًا وهو يعض بأنياب الطمع على ولايتك، وهو فى هذا لايسعى إلى باطل؛ وأن له فى هذه الولاية نفس الحق الذى هو لك؛ وأن أرض كرمان فسيحة بحيث تستوعب ملكين ينيبان عنها، فإذا أتى يوم تقدر فيه على أن تسدد له ضربة وتتغلب عليه فيكون ذلك اليوم هو يوم نصرك . فلافائدة إلا فى الوفاق والصلح، فإن الاستيلاء على بعض الولايات حسبما تريد والحياة فى كنف الأمن والسلامة أولى من الاستمرار فى المجاهرة بالخلاف وتخريب شئون القلعة. وليس أمامك سوى أن تأمر بتدارك الأمر أولاً.

مصراع

– وصل الأمر إلى مالا تطوله يدك!

وحينما أدرك بهرامشاه أن هذه الكلمات هى عين الشفقة ولب النصيحة ، أصغى إليها بسمع القبول وقال: أنت لى بمثابة الوالد، وأنا أترك زمام هذا الأمر فى يد قدراتك العالية، فأرسل الأمير قراغوش خاصة خدمة خارج القلعة داعين أمراء العراق إلى التخلى عن الصراع وإلى الصلح على أساس أن تكون دار الملك بردسير وأربعة دوانق[1] من الولاية للملك

أرسلان، واثنان من الدوانق ودار الملك بم للملك بهرامشاه. وظلوا لعدة أيام يتباحثون ويترددون حتى تم الأمر واقترن بالرضا من جميع الجوانب ، وقسمت كرمان إلى الثلث والثلثين : بردسير وسيرجان وجيرفت وخبيص وتوابعها أربعة دوانق وبم ومكرانات دانقان. وحينما عزم بهرامشاه على الانتقال إلى بم؛ قال مؤيد الدين ريحان : أيها الملك لقد كنت فى خدمة جد أبيك الملك أرسلانشاه ومضت حياتى فى يسر وسهولة، والآن قد صرت شيخًا ولم تعد لدى طاقة على المعاناة والتعب، وقد أمعنت التفكير والنظر فى شئون كرمان وأيقنت أن السلام لا يأتيها من حولها ، ثم هل تستطيع أن تعرف إلى أى مدى يدوم هذا السلام؟ وإلى متى يقاوم ؟ فإن المغرضين من الجانبين يسعون إلى هدم المصالحة والمهادنة ولن يدعوا هذا الأمر يقر له قرار، وأنا فى ذمتى تأدية حجة الإسلام وفريضته ، فاسمح لى أن استعفى من خدمتك وامنحنى رضاك على أن أمضى فيما عزمت عليه وأنا سأدعوا لك بالخير فى الأماكن المقدسة والمناسك المعظمة؛ وسأطلب من الله تعالى أن تصل إلى غاية أمانيك فى الدارين، ثم إذا ما طال العمر وبقى لى ثمالة فى كأس الحياة وبقيت بعد قضاء الحج والعمرة فأنا أدرك أن واجبى فى خدمتك وأعود قبل الأجل المحتوم إلى التطلع لجمالك الملكى.

شــعر

- إذا ما تيسر فى أجلى بقية، فسرعان ما أكحل هذه العين برؤياك.

- ولكن إذا ما يسر هذا الفلك الأزرق، خلاف ذلك فسلام منك لى وسلام منى لك.

فرّق بهرامشاه وقال: أنت لى بمثابة الأب وقد بذلت؛ حتى الآن؛ قدر طاقتك سواء بالنفس أو المال من أجل تربيتى ومعاونتى؛ فإذا ما داومت حتى اليوم على سمات المروءة وسنن الأبوة ولم تحرمنى من تأييدك وقوة إقبالك وفوائد رأيك وتدبيرك؛ ازداد حبى لك.

بيت

- كل ما يغرس فى صفحة الشباب، يجنيه الشيخ صعابًا فى المشيب.

أما وإنك تتحدث عن أداء فريضة الحج فلايجوز لى أن أمنع هذا ، ولما كان تأييد هذا الوالد لى وبه وصلت ورأيت آثاره فإننى أرخص له بالحج ، وعزم على التوجه إلى بم، وقد رافقه- من جيش العراق - مجاهد الكور كانى وسار عدة أمراء آخرون فى معية الملك بهرامشاه حتى بم.

١- دانق وبالفارسية (دانك) : هى وحدة وزن وأيضًا مسافة. وهى كمسافة تعادل قيراطين. وكانت أحيانًا تدل على سدس المساحة أيا كان مساحتها. (أنظر حسن انورى، اصطلاحات ديوانى، ص٢٧٢) .

وحيث أن الأمير قراغوش كان فى عهد السلطان سنجر ذا شهرة وهيبة؛ وكانوا يطلقون عليه أمير خراسان ؛ فقد رأى فى الملك المؤيد النديم الوحيد، فلما لم يجد فيه قدرة على رعاية مصالحه وأحواله التحق بخدمته؛ وحينما سقط فى كرمان نحى عن قلبه جانبًا نية العودة إلى خراسان وتوجه بصحبة جيش العراق إلى بلاط السلطان أرسلان.

وكان لمؤيد الدين خزانة عامرة وحينما علم بما حدث فى كرمان من انقلاب وتطور أراد أن يُخرج بها كرمان من المحنة والضيق، وكانت له مودة سابقة ومكاتبات مع أتابك يزد حيث وجد عند مقدمه إلى كرمان فرصة سانحة واعتذر عن خدمة الملك بهرامشاه بحجة تأدية الحج وصار إلى جوار أتابك يزد وأرسى معه قواعد ذهابه إلى الحرم الكريم. ولهذا السبب فقد غمرته سعادة تامة لكمال لطف طبع الأتابك ركن الدين سام وأدرك أن سعادة أيامه فى هذا الأمر. وقد اصطحب مؤيد الدين معه إلى يزد وغالى فى تقديم أسباب اكرامه واحترامه وشروط الضيافة. وقدم مؤيد الدين فى فترة إقامته بيزد الذخائر والكنوز ونفائس الخزائن التى يملكها فداء لنفسه وكان فى كل يوم يرسل للأتابك سام تحفة طريفة وهدية جديدة وتوطدت أواصر المودة بينهما وأصبحت أكثر إحكامًا ، وأينعت رياض الأنس وارتوت بارتشاف كؤوس الشراب.

وكنت فى خدمة أتابك يزد وبعد رحيل مؤيد الدين بعشر أو اثنتى عشرة سنة لم يخل كلام الأتابك سام قط خلالها من شكر لمؤيد الدين ودوام على ذكر أصناف اللطائف وفنون التحف والطرف التى كان قد أثره بها طوال مدة مقامه بيزد .

والقصة أن مؤيد الدين كان قد أمضى خمسًا أو ست سنوات على هذا الحال ساكنًا هذه البقعة حتى أتى غلمانه وهم عمدة جيش كرمان؛ إلى يزد وأعادوه إلى كرمان. وتولى مرة أخرى منصب الأتابكية مثلما سنذكر فى سيرته الذاتية.

مقالة فى ذكر جلوس الملك أرسلان
على عرش دار الملك بردسير مرة أخرى

بعد أن توجه الملك بهرامشاه إلى دار الملك بم، جاء الملك أرسلان إلى دار الملك بردسير، وكان وزيره فى معسكر الجيش شابًا أصفهانى من أسباط نظام الملك لايمتلك بصيرة نافذة ولكنه كان قد قدم خدمات للملك أرسلان فى أصفهان اشترى بها هذا المنصب. وكانت الأعمال فى معسكر الجند -وأغلبه فى الصحراء- تسير بدون كفاءته بحيث لم يظهر أثر لرجاحة أوعية. وحينما جاءوا إلى المدينة بدا رجلاً غريبًا لذا فقد احتاج الملك من أجل استئناف مصالح الممالك وتدارك مواطن الخلل وتقرير أمور الادارة فى مسارها الصحيح إلى فحل ذكى سخى ذى كفاية كاملة وتدبير شامل وكان ناصح الدين أبو البركات وزيراً للملك طغرل، وكان قد

طلب الاستقالة من هذا المنصب وهرب إلى خرقة أهل التصوف ، وعاش على هامش الحياة، فاستدعوه وعرضوا عليه منصب الوزارة فقبلها ؛ وكل من تقدم إليه طالبا الانصاف والعدل والظلم باشر مسألته بالعصا والخرقة الزرقاء. وكان له ديوان للمظالم فى المساجد والرباطات والمدارس.

وحينما دخل شهر دى[1] من عام ٥٦٠ الخراجى. عزم الملك أرسلان على التوجه إلى جيرفت مع قطب الدين محمد الأتابك وناصح الدين أبى البركات الوزير، وبقوا هناك حتى أول شهر خرداد من سنة ٥٦١ ، ثم عادوا إلى دار الملك بردسير بحال مستقر وبال فارغ وانشغل باشباع الشهوة وشرب القهوة وغفل عن حفظ مراتب المخلصين ورعاية حقوق العباد ، حتى تسللت عقارب كيد الطرمطى وأصحابه وفتحوا أبواب الفتنة من جديد.

مقال فى ذكر بداية أحوال الطرمطى وتقدمه

كان الطرمطى غلامًا عظيمًا من غلمان الأمير داد القديم، ولم يكن ذا فضل عظيم ولكنه كان تركيًا ذكيًا محبًا للتاجيك؛ شاربا للخمر، وكان يقيم دائمًا فى الخرابات مع المحتالين والأوباش. وكانت له معرفة برفيع الدين السرخاوى عن طريق السيد تاشى، ورفيع الدين هذا كان رجلا لجوجًا وطموحًا . وكان هنالك رجل آخر يطلقون عليه زين الدين المهذب وكان رجلاً يافعًا ، صادق العهد طيب المعاملة.

شعر

- فتى كان فيه ما يسر صديقه * * على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ثم تزامل مع رفيع الطرمطى وصار ثالث ثلاثة وانغمس فى العمل مع الطرمطى ورفيع متوسلاً بالحيلة والمكر والدهاء، واستغل زين الدين أخلاقيات الوفاء بالعهد والمعاملة الحسنة حتى رفع الطرمطى من حضيض الخسران إلى أوج الامارة. ورغم أن الطرمطى لم يُبد أية مهارة فى معركة جيرفت ولكنه صار فى خدمة ركاب الملك أرسلان إلى العراق، ورافقه أيضًا زين الدين. وفى أصفهان اقترض من تجار كرمان الذين كانوا يعرفون عنه طيب الطوية، وأنفق المال فى إعلاء شأن الطرمطى وفى إعداد وسائل رفعته، وحينما عادوا من العراق كان الطرمطى قد وصلت سمعته الطيبة إلى آفاق النجوم.

١- انظر تقويم السنة الايرانية وما يعادلها فى التقويم الميلادى فى ملاحق الكتاب.

نظم

- إن القناة التى شاهدت رفعتها * * * تنمى وتنبت أنبوبًا على أنبوب

وأرسله زين الدين إلى معسكر الجند لخدمة الملك أرسلان ومنادمته على أن يلتمس منه أثناء ذلك مزيداً من الاقطاعات والأرزاق وبذلك علا اسم الطرمطى حتى وصل إلى منصب الإمارة. وحينما تيسر فتح دار الملك ووصلوا إلى جيرفت اتصل بهم رفيع مرة أخرى وتمت بذلك الاستعدادات. فى البداية أثاروا الفضول ونفثوا خبثهم فى الترك باستفسارهم وهو: لماذا يجب أن ينال أتابك كرمان ثلاثة مناصب ؟ مع ما قد يُظن منها من علو مكانة أو تكون مدخلاً لاتفاق المصالح وهى مناصب الأتابكية والدادبكية والشحنة ويجمع فى يده هذه الثلاثة. ونصبوا شراك الحيلة وأزاحوا من الطريق أتباع الأتابك محمد بعضهم بالمال والبعض بوعود الجاه والبعض الآخر بالتهديد والوعيد. وكان الأتابك محمد قليل الشرب للخمر ؛ عزوفًا عن منادمة الملك أما الطرمطى فقد كان ملازمًا لخدمته دائمًا وكأنه خياله أو أقرب الأقرباء ولهذا فقد أصبح عقد دولة الطرمطى أكثر انتظامًا يومًا بعد يوم فى حين انثلمت أكثر قاعدة شئون الأتابك محمد. وأصبح الأتابك محمد كسير القلب عليل الروح، وقد أخفى الكتخدا الخاص به ناصر الدين كمال صرر الذهب فى أكمامه مع مصحف وجمع الأمراء والغلمان وطلب منهم القسم على أن يقيموا على عهد الائتلاف ؛ فأقسموا وأخذوا الذهب ومضوا. وذات يوم كان فيه الأتابك يتحاور مع حاشيته وخاصته فقالوا له: كيف تستطيع أن تكف شر هؤلاء الترك بالمقاومة أم بالتغاضى عنهم؟ ولم يجب الأتابك على هذا الكلام إما عن رجاحة عقل أو عن ضعف قلب أو طبيعة شديدة الجبن، ورسم على وجهه إمارات التجلد واختار الانتظار الجميل فى وقار شديد ترقبًا للفرج، وتجرع كأس الصبر حتى يصل هذا الأمر إلى مداه. وقد كان منصب الدادبكية ومنصب الشحنة قد انتزعا منه وأعطوهما للطرمطى، والأتابك برغم هذا لم يرفع شكواه حول هذا الموضوع إلى سمع الملك، ولم يرغب فى مضايقته . فإن الملك- وقد كان غافلاً ساهيًا عن يقظة أو خمول أمراء الدولة- فى النهاية لم يعد يرى إلا قوة وشوكة الطرمطى؛ خاصة وأنه قد صار النديم الأول والوجه الوحيد الذى يراه ، ومع علمه بأن جميع خيل وحشم الأتابكة ييممون شطر الكعبة شاكرين فى الخفاء إلا أنهم يتجهون إلى أوثان الغدر فى العلن وهو ساكت على هذا الأمر .

وحينما بدأ هواء شتاء سنة إحدى وستين فى البرودة واكفهرت الحقول والأبنية عزم على التوجه إلى جيرفت وكان الطرمطى يبدو فى أبهة عالية وحوله عدد كبير؛ بينما الأتابك فى

هيئة مذرية وحال ضعيف. وتقدم أهل جيرفت للترحيب بالطرمطى وقدموا الكثير من الطرف والتحف ولطائف الأنعام سواء المصنوعة أو المدخرة وحمولها إلى قصر الطرمطى .

مقالة فى ذكر بداية نقض الميثاق وهـدم الأساس المشترك بين كلاً الملكين أثناء الإقامة فى جيرفت

ظهرت مخايل نقض العهد ودلائل نكث الميثاق من جانب بم، وكان هروب الغلمان ولجؤوهم من الجانبين باعثًا على تغيير النفوس وتشويش الضمائر . وفى بداية الصلح هرب أدمش؛ وهو غلام من غلمان مؤيد الدين ؛ مع عدد من الغلمان من الملك أرسلان ولجأوا إلى بهرامشاه ووصلوا بم. وحينما علت راية الخلاف طلب أدمش- إظهاراً للرجولة- أن يُغير فى عز الشتاء على بردسير، وفى ذلك الوقت كان ربض بردسير عامراً مسكونًا وكان به رجال كثيرون وتجار وغرباء من الأطراف مع أموال وفيرة فى القوافل. وحينما عزم أدمش على الخروج من بم كان الخبر قد وصل إلى جيرفت، وأمر الملك أرسلان: أيبك دراز بقطع طريق راين مع مجموعة من غلمان جيرفت حتى يصدوا هذا الهجوم. ووقع الصدام بينهما فى الطريق، ووقع أدمش أسيراً فى يد أيبك وأحضروه مع عدد كبير من الغلمان مقيدين ومغلولين إلى جيرفت، وهكذا تعكرت أكثر مشارب الصفاء بين الأخوين وفاقت الحد بتحكم الغلمان وطموحاتهم. وأيبك دراز: الذى رفعه الملك أرسلان بأمر ملكى من حلبة المصارعة إلى منصب الإمارة (وذلك خلال الحرب التى خاضها مع أدمش وكان قد أحضره أسيراً فتوقع من الملك أرسلان هدية تفوق الحد والتصور فلما لم يتفق ما فى خياله مع الواقع) وأسقط فى يده بحجر الكراهية انهار ما بينهما من وفاء وفر من ثلمة بالسور وهرب من جيرفت إلى بم، وطلب من بهرامشاه أن يتمم العمل الذى لم يتم على يد أدمش أى الإغارة على بردسير، وجاء مع عدد من الغلمان إلى بردسير وفى وقت السحر وعلى حين غفلة هبط على دار قوافل الغرباء ومنازل أكابر وأغنياء بردسير ونهبها كلها، واشتد وطيس الغارة حتى صلاة الفجر، وحمل أموالاً وافرة ونعما كثيرة ونقودا مختلفة وحلى النساء وثيابًا منقوشة وكل ما خف وسهل حمله؛ ثم عاد إلى بم. ووصلت أرواح الرعية المساكين من هذه الفتنة ومن سيل البلايا الجديدة إلى الحلقوم؛ وسقطوا من رفعة الاستغناء إلى حضيض الفاقة والعناء.

أما الغرباء الذين جاءوا إلى هذه المدينة فى حلل بهاء الثروة فقد خرجوا كلهم إلى الطريق فى خرقة الأفلاس.

وغرضنا من جمع هذا التاريخ ذكر تغييرات الدول وتبدل الملوك على وجه العموم؛ وإذا ما أهتممنا بجزئيات الوقائع والحوادث وأنواع المحن والفتن التى وقعت فى هذه الفترة فى كرمان من عزل الأمراء وتوليتهم ، وإلقاء القبض على الأمراء واطلاق سراحهم ومجيء الغلمان وخروجهم؛ والأشكال البديعة والأعمال الفظيعة، والاقتتال الذريع والغارات الشنيعة فإن هذه الصفحات ستصبح عشر مجلدات. وقد أوردنا هذه الأخبار كنموذج والخوخ أسفل[1] حتى أصل إلى ذكر الغز وأشرح فتنتهم. وقد نظمت قصيدة أثناء نوائب وحرائق كرمان ومصائبها وقبيل هجوم الغز؛ فيها فن الترصيع ومدحت فيها مخلصا المصطفى صلوات الله عليه وقد دونت قطعة من هذه المرصعة تليق بهذا السياق:

- ترتسم أحزانى على وجهى، فلم السؤال ؟! قد طاش صوابى وانهمر دمعى مدرارا .

- عند منتصف الطست بساط أغبر قد أغُرق بالدماء، انعكست صورة أمواجه على صفحة قبة السماء الخضراء.

- جاء جيش الضحاك وخيم فى مدينة كرمان ، واقتلع من تراب كرمان مظلة عدل افريدون.

- عشعش الخوف فيها فصارت أسطح قصورها وكرا للبوم وطار عنها هما[2] العافية وخرج من أبوابها.

- وتمنينا موعدا ليوم راحة، وكفانا من الجيش غارات يشنها علينا ليلا ونهارا.

- امتقع وجه الصبح واصطبغ الشفق بدمع دافىء، لسوء فعل المعتدين مع الناس فى هذا البلد.

- يارب ما آخر هذا؟ يارب ، إن المصيبة تلجمنا كلما مررنا بأعياننا وساداتنا وقادتنا فى وقت السحر.

والخلاصة ؛ أن صرح الصلح قد انهدم بين الملوك وشرعوا فى الاستعداد واستئناف المناوشات، وطلب بهرامشاه المدد من خراسان فأرسلوا أرغش زاده وجاولى قودة كش وكريم الشرف، واستدعى الملك أرسلان عز الدين لنك من يزد .

١- يبدو أن عبارة (والخوخ أسفل) مثل شعبى معروف فى كرمان فى هذه الفترة. وهو يقابل (وما خفى كان أعظم) فى معناه ودلالته.

٢- طائر الهما طائر خرافى تشبه به المستحيلات والغيبيات، ويعرف فى العربية بالعنقاء إحدى المستحيلات الثلاث.

مقالة فى ذكر اقتتال الملوك وانتصار الملك أرسلان بعد فرار الجند

حينما تم إعداد عتاد الحرب والذخائر بين الجانبين، توجه الملك أرسلان من جيرفت إلى طريق شعب درفارد وسريزن. وتحرك الملك بهرامشاه أيضًا من دار الملك بم عازمًا على استرداد بردسير . ومرة أخرى التحم كل منهما بالآخر حتى اختلط الأمر فلم يُعرف من كان صديقًا ومن سيصبح حبيبًا . ووقع اللقاء بين الملكين عند حدود راين.

شـــعر

- انظر لكثرة الدروع صار الغبار يغلى وكأنه الماء، ولكثرة الرايات الزاهية الألوان بدت الريح وكأنها النار.

- والتفت حول جيش الشرق والغرب وهى تقول: أنا طرة خاتون الفتح احيط بخيمة المعركة.

حينما أغار جيش خراسان تخلى أكثر حشم كرمان عن ثباتهم وتوجهوا من مقر العزيمة إلى مفر الهزيمة. أما الملك أرسلان والأتابك محمد فقد ثبتوا وتشبثوا بالنصر مع الصبر؛ ورفعوا راية التجلد وأدركوا أن الملك الطرمطى قد سلك طريق الانحراف. قال : اهيء ... اهيء، أنا... أنت أيضا سوف ترحل؟ وطأطأ الطرمطى رأسه حيران وقد وقع فى سكرة الخجل ودهشة الوجل وظل حائرًا. ثم أرسل الحق تعالى امدادات الظفر وهب نسيم النصر من مهب اللطف الإلهى ونكست راية دولة بهرامشاه وأصبح طالع مبتغاه نحسًا وهزم. ثم فروا مع جيش خراسان تاركين كل العتاد والأحمال؛ وأسر عدد من الأمراء والأعيان. وعند صلاة العشاء كانوا قد أبلغوا صورة المعركة إلى بردسير. (وقد كان أصحاب الدواوين والأتابك والطرمطى قد وصلوا إلى بردسير قبل المعركة مع أغروق) فودع الجميع مجالس الغناء والطرب وأخذوا بزمام ناقة الحرب، وخرج أكثر أقارب الملك أرسلان والمحبين له من المدينة دون دابة تحملهم أو زاد، واتجهوا إلى حدود فارس والعراق وكنت أنا [(١)] من بينهم». وحدث هرج ومرج واضطراب يفوق الحد فى بردسير وذلك فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عام ٥٦٩هجرى. وحينما انتصف الليل جاء بشير الفتح والنصر حاملا خبرًا عن سلامة الملك أرسلان وانتصار رايته فخيمت السكينة على المدينة؛ وازدرد الناس لعابهم وأوفو بالنذور؛ وعاد القوم الذين كانوا قد فروا بعد يومين أو ثلاثة من مسافات مختلفة؛ وفى يوم عيد الفطر عاد إلى المدينة الملك أرسلان بطالع سعيد ونهاية محمودة.

---

(١) اشارة إلى المؤلف أفضل الدين الكرمانى .

شـــعر

- رفعت الدنيا أيديها بالدعاء بالتوفيق والنصرة والملك، فالأمل قد تجدد والدولة قويت وصار الحظ فتيا.

وإن قدح الفرح الذى لم يشربه يعقوب برؤيته جمال يوسف مرة أخرى قد شربه أهل كرمان برؤيتهم لهذا الملك؛ واستقبلته العجائز المقعدات عن الحركة بالأحضان ؛ ونشروا تحت أقدام دابته كل العملات التى كانت فى هذه المدينة، ثم على العادة المعهودة والطريقة المألوفة للملك أرسلان شغل السمع والبصر بمغازلة الغوانى والاستماع للأغانى وشرب الخمر الأرجوانى. أما الطرمطى فرغم خذلانه فى حومة اللقاء لم يقلل من عنان رعونته وزادت من غرور شيطنة رفيع ووسوسته له. وفى هذه السنة رفعت أوزار الوزارة عن كاهل ناصح الدين أبى البركات وألقى بها على كاهل ناصر الدين أفزون ، ثم ندم رفيع على تفويض الوزارة إليه، ورفع شعار إمعان الفكر وإعادة النظر لأن ناصر الدين كان رجلاً وجيها من أسرة الأكاسرة وهو الوزير ابن الوزير بن الوزير؛ ولم يكن يقيم وزنا لرفعة رفيع وأمثاله. ثم أعد تقريراً للطرمطى فيه أن هذا المنصب يجب أن يخرج عن يد القائم به؛ وأن يكون ناصر الدين مؤبداً ومخلداً فى سجن العزل ذلك أنه قد وضع نصب عينيه هدفًا يتطلع إليه وامتلأت نظراته بالعزم والإصرار وبناء على هذه التلميحات سملوا عينى هذا الصدر العظيم الذى كان خلاصة الأسر مجدا وشرفا؛ وخلاصة عائلات الجود والكرم وحولوا بيته إلى سجن له. وعاد بهرامشاه من معركة راين مكسوراً متعبًا بصحبة قوم عراة إلى بم، وبدأ فى تحديد الاستعدادات الملكية وترتيب أسباب الحكم. وفى سنة اثنتين وستين وخمسمائة الخراجية الموافقة لسنة تسع وستين وخمسمائة الهجرية عمل على النفخ فى جمر الخلاف بين الملكين وفى هروب طبقات الرعايا ووصولهم من كلا الجانبين للآخر. وكما هو متبع وصل الملك أرسلان إلى جيرفت. وفى بداية سنة ثلاث وستين وخمسمائة الخراجية عاد إلى بردسير مرة أخرى ؛ وكان ما زال الطرمطى مصراً على جريمة التغافل عن ادعائه والتطاول على الملك، كما كان لجوجًا فى ادعائه عدم التبعية حتى انجبت الليالى الحبلى* ما قضى على عناد الطرمطى وغروره.

---

* الأصل فى هذا المثل (والليالى الحبلى) بمعنى أن هناك أمور خافية تحدث فى الليل ثم تظهر فيما بعد.

مقالة فى ذكر ذهاب الأتابك محمد إلى خدمة الملك بهرامشاه فى دار الملك بم وإحضاره إلى دار الملك بردسير

فى شهر خرداد من سنة ثلاث وستين وخمسمائة الخراجية كانوا يرسلون كما هو معتاد قطيع الدواب الخاص والعام إلى مراعى مشيز ورياضها، وكان الأمير علاء الدين أبوبكر شقيق الأتابك قطب الدين محمد أمير آخر ملك قد عزم على الخروج على رأس القطيع مع حشمه وغلمانه، وفى الليل استدعى الكتخدا الخاص به الأتابك ناصر الدين كمال وأخلى الدار وقال:

بيت

- لن يستقيم أمرنا من هذه الطائفة : فإلى متى نبقى صامتين بل وجب علينا القيام.

يا ناصر الدين كنت قد بقيت غافلاً عن هذا الملك، جاهلا بحقه وإننى واضع تاج هذه المملكة على رأسه، لقد اجتهدت لطمات مجهولة لسوء حظه الشديد فى أن تنزله عن عرش السلطنة؛ وإن حل هذه المشكلة وعقدها فى يدى، والمثل العامى يقول: إن كل من يحمل الحمار إلى السطح يستطيع أن ينزله بنفسه، وغداً يوم الجمعة وبعد الصلاة سوف أخرج فى إثره ليلاً مع أخى أبوبكر والقطيع إلى مشيز؛ وسوف أقود حتى أصبح بجوار بم حتى لايأتى من يقتفى آثارنا. ورغم ما فى يد بهرامشاه إلا أنه أكثر تميزاً ويقظة من أخيه، ورغم أنه الآن منكوب ومغلول ومقهور ومغلوب إلا أنه يمتلك ولاشك الموهبة وسيقوم من الكبوة، وخلال أسبوع سأعود به مرة أخرى إلى بردسير واجازى المخالفين بما يستحقون وفقًا للقواعد، قال ناصر الدين:

شــعر

إن الإقبال هو قائدك فى قيادة هذا الجيش، ورسول الظفر هو رائدك عند كل منزل.

يا مولاى : إن هذا ليس رأيًا إنسانيًا ولافكرة بشرية؛ إنه وحى إلهى وإلهام روحانى وكما أمر الحق تعالى: (فإذا عزمت فتوكل على الله)[1] لذا فالتأخير هنا غير جائز، إن هذا من هداية الطالع والهامه وتأييد الإقبال، وعلى المواطن أن يمد يد العون للدولة فاللهم لاتمد عمرنا يومًا واحداً دون أن تظللنا دولة مولانا.

١- سورة «آل عمران» آية ١٥٩ .

وخرج الأتابك بناء على هذه الموافقة مع أربعمائة فارس يسوق القطيع أمامه واتخذ طريق بافت إلى جيرفت . وكان من بين جميع أمراء وعظماء الدولة الذين سلكوا طريق الخيانة مع الأتابك ووسموا وجه زمانهم بوسم الغدر؛ شمس الدين المغونى شحنة جيرفت؛ فقد أشاح بوجهه عن محراب الصواب واقتدى بمسيلمة الكذاب وضل بترهات وتزوير رفيع الخسيس. وتصادف والحال هكذا أنه كان فى جيرفت مشغولا بالسمر غافلاً عما تأتى به الليالى.

شعر

- يا راقد الليل مسروراً بأوله *** إن الحوادث قد يطرقن اسحارا.

وكان قد أرسل من قبل الأتابك أميراً مع عدد من الغلمان على أن يُحضره مقبوضًا عليه، وكان أول حكم قد حكم به عليه هو تخليص الأمير مخلص الدين مسعود . وكان مخلص الدين مسعود سيداً من خواص قصر الملك أرسلان؛ ثابت على حقوق الولاء وقد غامر عدة مرات بوضع روحه على كفه من أجله. وذات يوم فى جيرفت جرت مناقشة بينه وبين رفيع، وغالى رفيع فى الموضوع حتى أرسلوا مخلصًا إلى قلعة السليمانى ، وكانت هذه القلعة عندحدود مغون ، وأرسلوا بأمر شمس الدين رسولاً إلى قائد القلعة يأمره بألايطلق سراحه حتى يقف على حقيقة الأمر وواقع الحال. وفى المرة الثانية أرسل شمس الدين شخصًا أبلغه بالأحوال وأيضًا استمر فى رفضه. فأمر الأتابك أن يقتلوا شمس الدين، فهدد وقال: هذه المرة إذا لم تحضروه فسيكون المصير هو القتل. وكتب شمس الدين رسالة بخطه قائلاً: إنك لاتستطيع تزوير خطه فإن له خطًا عجيبًا مسلسلا ولايوجد شخص فى كرمان يستطيع أن يكتب بهذه الطريقة . والإشارة التى كانت بينهم هى أن يوضح له ويعلمه بالأحوال ويخبره أن حياته تتعلق بحبس واطلاق سراح هذا الأسود أى مخلص الدين، فأطلقوا سراحه وفى الوقت الذى وصل فيه إلى جيرفت كان مخلص الدين مسعود وشمس الدين المغونى الطليق ومن أفرج عنه قد توجهوا إلى بم. وقد وضع بشير الإقبال وطائر الفأل الميمون ورسول الدولة وبريد السعادة رسالة الحظ والمنى فى يد بهرامشاه ، وقد فرحت كل شعرة فى جسده من أثر هذه البشرى ومن خبر النصر هذا .

شـــعر

- يا غصن البان قد عاد العاشق مرة أخرى، وماذا يفعل المسكين وقد عاد بأمر القلب.

- وسيطر الغم والحزن على النائحين، كما عم الخجل الحيارى والمكلومين.

أينعت روضة حياة بهرامشاه بعد ذبولها ؛ وبزغ كوكب سعادته بعد أفوله؛ وتفتحت ورود

طبعة الذابلة؛ وارتاح طائر قلبه الشارد؛ وعرف أن المحبة فى السلم قد أنهت الزمان الردىء وسلك الحظ السىء طريق المصالحة، وأن الحظ والدولة التى ضاعت بالغضب تعود مرة أخرى من باب السلام . وتوجه بسرعة لاستقبال موكب الأتابك ، وتوقف الأتابك فى بم، وبعد أن قدم له الكثير من واجبات الإكرام والاحترام وجميل الاستقبال والترحيب حتى ينثر عن كاهله غبار السفر وعناءه؛ قرعت الطبول إيذانًا بالعودة إلى دار الملك بردسير ؛ وحملوا خارجين إلى الصحراء الخيمة الملكية وساروا يصحبهم الفأل الحسن ويظللهم الطالع الملكى الميمون.

شعـر

– كان الحظ رفيقه والملك قرينه، كما كان اليسر فى يسراه واليمن فى يمناه .

وواصل الجيش سيره حتى أبواب بردسير ، وكان الملك أرسلان والطرمطى مع فوج من الحشم يتجولون فى المدينة، وحينما دخل الليل تفقد الملك أرسلان أحوال الأسوار والقلعة والجيش وما بقلعة المدينة ذخيرة ولم يجد أية استعدادات للمقام فى المدينة والقلعة، وأدرك أن الرأى الصائب هو ترك المدينة وإنقاذ روحه .

وعند منتصف الليل وكنا نجرى قرعة تخمينية مع خدام الأتابك محمد فى قرية كردية على سطح القصر ونتبادل الأفكار متفائلين عن كيفية إنهاء الحصار؛ حينما علا صوت يقول : أن الملك أرسلان قد مضى ، وأن فوج من أمراء وحشم المدينة قد جاء إلى خدمة الملك بهرامشاه. ولاقتراب الأجل والحظ السىء تسمرت أقدام الطرمطى وأظهر العقوق والطغيان بعد أن أفاض عليه الملك أرسلان بالكثير من العطايا والنعم ولم يمض إلى خدمته رغم أنه قد ودع المُلك الموروث بسبب محبته وهجر دار الملك رغم الأبهة ؛ وترك المملكة رغم الاستقرار، ولم يسمح له بالاستمرار معه أو مرافقته.

والخلاصة؛ أنه حينما علا الصوت؛ تفتحت فى كل قلب زهرة ؛ وافترت مرة أخرى كل شفة بزهرة لعل حمراء، فعلى الرغم من أنهم يتمنون استقامة أمر الملك على حال واحدة؛ إلا أنه لن يرتاح مزاج أحد قط من الرعية أو الجيش لأسر الملك أرسلان أو تكدر خاطره ونفسه، ولكن ما يتمناه أهل الوداد هو أن تنطلق نفسه حرة سالمة وأن يسلم المُلك لأخيه. وعند فجر السبت فى منتصف شهر خرداد من سنة ثلاث وستين وخمسمائة دخل الملك بهرامشاه مظللاً بالسعادة دار الملك بردسير.

بيت

– يوم السعد وبالفتح العظيم ، وبحسن الطالع بدأ التقويم

ونزل فى قصر الصحراء وجاء الطرمطى مع عدد من الغلمان إلى الصحراء وقبل الأيادى وعاد مرة أخرى إلى القصر فى معية خدامه. أما ناصر الدين افزون الذى كان قد عذبه وحاول سمل عينيه إلا أن الحق تعالى صان عصب العينين من أن تصيبه آلة السمل، وحمى البصر من سموم النار. وفى الطرمطى مرة أخرى ، فقال : أيها الأمير أنظر إلى مرآة عينى كيف تبصر؟ قال الطرمطى يا سيدى لم هذا الكلام اليوم؟ ثم خرج الطرمطى من قصر الملك عازمًا التوجه إلى مكمنه فقالوا للأتابك : حتى الآن وأنت لاتراعى الحيطة والحذر مرة أخرى؛ وتسوس الأمور بنفس الطيبة والتساهل وإذا كان الطرمطى قد غادر القصر فستراه مرة أخرى فى مكان آخر. وعرض الأتابك هذا الأمر على الملك فأرسل الملك شخصيًا فى إثره وأحضروه مرة أخرى إلى القصر وأرسلوا به إلى نهاية عمره.

شـــعر

- حتى تعلم لايجب فعل الشر، كما لايجب شرب دم شيطان الظلم
- وكل من يتعدى حدوده، ليعلم أن الروح لاتفر من قبضة القضاء
- وكانت هذه أول جزاء لكافر النعمة ولما صنعه مع الملك أرسلان .

مقالة فى ذكر ذهاب الملك أرسلان إلى يزد وإقامته هناك

حينما خرج الملك أرسلان إلى طريق راور متجهًا إلى يزد وحينما وصل إلى مبتغاه ، حمل أتابك يزد على عاتقه استقباله بالاعتزاز والتبجيل والتأييد وعقد إزار الطاعة والإخلاص حول وسطه، وأجلسه فى إيوان التعظيم على عرش التكريم؛ ووقف تحت إمرته فى موضع الخضوع والاستسلام على قدم الخشوع والطاعة؛ وقام بدور المضيف فى تقديم أسباب العظمة وفى ترتيب وسائل اللهو.

- لدينا ضيف عزيز كالروح ونبذل النفس والروح والدرهم من أجل الضيف

وقد واظب دائمًا على أداء واجبات الخدمة ؛ وأقسم أتابك يزد أيمانًا مغلظة: أنه إذا ما كان قد وجب علىّ إنفاق خزانة يزد فى هذا الأمر؛ سأمضى جاداً فى ذلك فيه؛ ولن أتوانى عن بذل الجهد فى هذا الخصوص ، وإذا كانت الحاجة لجيش يزد فلن أتوانى عن أن أذهب للعراق بنفسى وأشترى جيشًا بالمال وأحضره.

ومضى شهران على هذا الحال من أداء واجب المنادمة والمؤانسة. ورغم ما قد يتخيل عن غدر الغلمان ويتوهم عن هوى جيش كرمان فإن الملك أرسلان ومعه جيش يزد قد تحرك فى قمة حرارة تموز ووصلوا إلى حدود كرمان. وحينما وصل خبر هذا التحرك إلى بردسير كانت ولاية كرمان بأسرها قد انصاعت لحكم بهرامشاه والأتابك واطاعتهما، والتحق بخدمة أعتاب البلاط جميع أصحاب الأطراف وأمراء نواحى المملكة، وحصن أكناف كرمان بقانون الاستقامة؛ وزيّن ساحات بساتين المملكة برياحين الراحة. وتألفت خميلة سرور المملكة بمساعدة بستانى العدالة؛ واستشعر الرعية الأمان والسعادة ؛ واستقرت الأسعار؛ وتجاوزت أنواع النعم وألوان الغلال والثمار الحد والعد. وتجاوزت طبقات الجند من الترك والتاجيك والديلم مع الملك بهرامشاه مراحل الغضب والقتل الشنيع والغضب السريع؛ وعملوا على تدارك النقمات السابقة والاشتغال بتلافى ما فات. وحينما وصل خبر تحرك جيش يزد إلى بردسير اتجه الملك بهرامشاه من دار الملك بردسير مع جيش جرار وحشم بم إلى الحدود عازما على الحرب؛ وحينما اقتربت المسافة بين الفئتين وتوقع الملك أرسلان وقوع الواقعة لم يلبث إلا وقد ثنى عنانه عائدا ليزد؛ وعاد الملك بهرامشاه إلى دار الملك بردسير.

مقالة فى ذكر رحيل وانتقال الملك
حسن الخصال الملك بهرامشاه من دار الملك

حينما مضى عام ونصف العام فى كرمان وأمور الملك منضبطة بحسن الولاية؛ وبساط ودروب الأمن والأمان والصحارى ممهدة؛ وكان وزير الملك بهرامشاه هو ظهير الدين افزون الذى عمل مستوفيا لديوان بم، وكان خازنه هو شهاب الدين كيا محمد بن الفرح الديلمى الذى لايقدر حاتم الطائى على مضاهاة نقش خاتم جوده؛ ولايدرك معن بن زائدة معنى كرمه..

شـــعر

– فتى كملت أخلاقه غيرانه   جواد فما يبقى من المال باقيا

وقد تبدلت مرارة حنظل الحوادث فى الحلوق بحلاوة أخلاق هؤلاء العظام، وملئت الأفواه سكرا بشكرهم، ومس الملك بهرامشاه قلوب الرعية محولا بغضهم إلى حب بالعدل والرأفة. وانصاعت الرعية له بالطاعة تعقلا وحكمة. واتخذوا من الدعاء الصادق له أول أعمالهم (ولكن الزمان الغدار حسد ازدهار عصره وتكالبت عليه نفاقا الأعمال السيئة).

شـعـر

– حينما أقول أن حزنك يتناهى إلى ، فاعلم أن أول شىء تنبته الأرض هو حزنك

وفى أواخر صيف سنة أربع وستين وخمسمائة الخراجية ظهرت على الملك بهرامشاه مبادىء الاستسقاء وقد حضر أطباء وحكماء مهرة قدموا أساليب متقدمة للعلاج، ولكن لأنه لم يبق فى كأس العمر ثمالة من حياة؛ لم ينفع دواء قط. وفى شهور سنة ٥٧٠ هجرية؛ وفى ريعان الشباب وعنفوان الفتوة وبسطة الملك ونفاذ الأمر اختطف من فضاء ساحة السلطنة وألقى فى ضيق القبر.

شـعـر

– لتقطع يد الأجل فقد اجتثت عقد الكرم، وليقتلع جذر القضاء فقد قطع غصن الشرف

مقالة فى ذكر محمد شاه بن بهرامشاه
وهو الملك الحادى عشر من القاوردية

حينما وقعت قضية (أى موت) بهرامشاه الهائلة انثلم مرة أخرى عرش المملكة وانهار بنيان السلطنة وانفصمت عقود الأمن والاستقامة وتشعبت الأهواء وتراشقوا بكلمات الخلاف والتشتت، ووقع فى كرمان الاضطراب والتصادم وسلكت كل طائفة طريقًا وبحثت عن مقر. وتنحى الأمير أيبك دراز وجمع من الغلمان وعدد معروف من أمراء الدولة عن خوض غمار هذه الفتنة وخرجوا من غبار الملك أرسلان. ورأى الأتابك محمد أنه رغم فقد دوحة المملكة إلا أنه من الصواب الحفاظ على فرعها وأريجها. واتفق مع الخاتون ركنى والدة بهرامشاه على إجلاس محمد شاه بن بهرامشاه وكان عمره سبع سنوات فى مكان والده، ولعدة أيام فى بردسير تحت حكم هذا الطفل وقعت اضطرابات ومتاعب من الغوغاء، ذلك أن اختيارهما لم يصادف التقدير والرغبة ولم يتح صغر سن هذا الطفل الفرصة للهدوء والسكون فجاء التفكير فى ربيب الملك بهرامشاه وهو سابق على سهل الذى كان الملك قد رفعه من الحضيض وجعل منه باختياره قائداً لقلعة بم وكان معه من القواد ، حيث فكر أنه لن ينفث رمق فى هذا الملك أو يضاف إلى عمله رونق إلا بمساعدته ، فحمل محمد شاه وتوجه مع عدد من غلمانه وحشمه إلى بم.

مقالة فى ذكر بداية أحوال سابق الدين على سهل ومقامه فى كرمان وذهاب الأتابك محمد فى ركاب محمد شاه إلى بم

كان سابق الدين على سهل من قرية محمد آباد؛ من حى ترشيز؛ وقد كان أحد تلاميذ أحمد خربنده وهو أحد صعاليك * وعيارى خراسان . وكان على سهل قائد عسكرى يحترف جمع وفى خراسان التحق بخدمة البلاط عند من يسمى كريم الشرق وقد كان فى عهد الملك طغرل، وقد أرسلوه عدة مرات برسائل إلى كرمان. وقد جاء لخدمة كريم الشرق فى بم أثناء عهد الملك بهرامشاه خلال المرتين اللتين طلبا فيهما من الملك المؤيد الجيش. وأثناء خدمة ملوك وعظماء الدولة كان يلعب فى كل يوم بورقة من أوراق حسن الأخلاق وينثر عبقًا من أريج شمائله؛ وكان يصيد القلوب بإظهار فنون الرجولة والإنسانية حتى تسلل من دهاليز الخمول والخفاء وثبت أقدامه فى قصور الواجهة والنباهة، وجمع حوله عدداً من القواد العسكريين. وحينما تحول الأتابك محمد عن الملك أرسلان وجاء إلى بم؛ ورفع بهرامشاه وحمله إلى بردسير كما شرح من قبل، أضاف بهرامشاه عدداً من القادة العسكريين إلى رجال على سهل وعهد إليه بأسوار بم وقلعتها . وقد نهج فى رئاسة القلعة وقيادتها أسلوبا فيه مرءوة واتخذ منهجا فيه عدالة فقد اهتم برعاية جانب الرعية واقامة رسوم الحق والعدل والحفاظ على حقوق الأكابر والأصاغر حتى افتقده أولاد الملك طغرلشاه ولم يأتوا بأحد بدلاً عنه قط. وحينما ارتاح أهل بم فى عهد ولايته

---

* الصعلكة والعيارية من الصفات التى يتفاخر بها فى التراث العربى الإسلامى. ظهرت الصعلكة فى العصر الجاهلى بمفهوم انسانى ونزعة اشتراكية تنطوى على غيرية خيره بخلائق الفروسية العربية وغايتها رفع الظلم عن المظلومين وحماية المستضعفين وتحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادى. وقد التقت الصعلكة فى مفهومها ونزعتها مع الشطارة والعيارية فى العصر الإسلامى. إن حركة الشطار والعيارين فى بوادرها حركة شعبية أصيلة ظهرت من بين العامة ، تمردت على الدولة والمجتمع واستهدفت الثورة على الحكومة أو السلطة وذوى المال فى وقت واحد وذلك عن طريق احتراف أعمال اللصوصية والعيارة، كان للعيارين فى بغداد على عهد السلاجقة دور كبير ذكره ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٣٢هـ ، وأيضا فى حوادث سنة ٥٣٦هـ وفى مواضع أخرى من كتابه ، وأيضا عن ظاهرة الشطار والعيارين فى العصر الإسلامى انظر د. محمد رجب النجار الشطار والعيارين فى التراث العربى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص٩٣ ، ١١٣، ١١٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

ونعموا بالحياة وتحولت رجفات الفقر إلى اهتزازات سرور قللوا من الاهتمام بسلجوق والسلاجقة ، وانطبع حبه فى قلوب الخاص والعام وفى أرواحهم . وفى كل يوم يزداد بأسه ونفوذه يتضاعف معه ماله وغناه وترتفع درجة جاهه . وطوال حياة بهرامشاه كان يُظهر الخضوع ويسير على طريق الطاعة. ثم لاح فى خيال الأتابك محمد: أن على سهل وهو ربيب وصنيعة الملك بهرامشاه ؛ كما أنه رجل يُعرف عنه معنى الرجولة ومشهور عنه كمال حسن العهد؛ والمدينة والقلعة تحت يده. ولما كان الأصدقاء القدامى وحشم كرمان والخدم الخاص لبهرامشاه قد أخذوا جانب التحفظ وتخلوا عن سنن الوفاء إلا هو فقد تمسك بتلابيب الطاعة لبهرامشاه ومنح ابن الملك المكانة والحماية وداوم على العهد، وحمل محمد شاه؛ وهو يمنى نفسه بهذه الأمانى؛ وصار مع عدد محدود إلى بم.

فى اليوم الأول قام على سهل بواجبات الترحيب ورسومه وشروط المودة والخدمة. ورتب أماكن الضيافة وعلف الدواب وأنزل الأتابك ومحمد شاه فى الربض على مقربة من بابا المدينة، (وهذا أول الدن الدردى) ، وأدرك الأتابك أن هذه علامة على عدم الوفاء. وبعد يومين أو ثلاثة- كانوا هم وقت الضيافة- أرسل الأتابك شخصًا لسابق الدين على يقول له: أنت رجل يتصف بحسن السيرة وتُعرف بالحكمة والمروءة وإنك تعلم أن الملك بهرامشاه له عليك حق النعمة والتربية، واليوم وقد لحق هذا الملك بجوار الحق ومن المقطوع به أن لك رأيًا فيما يحدث، وأنه يلوح على جبين شهامتك آثار حُسن العهد وأعرف أنك لن تغدر بابنه وأنك سترعى حقوق الإحسان له. والآن فإن جميع خيل وخدم وحشم ابنه متفرقة؛ ولايصلح غير هذه القلعة كى تليق بالوفاء وتتناسب وردك الجميل إليه، فقد أجلس فى مدينة بم على العرش وأنا وأنت قد التزمنا بالولاء، وها نحن نرى الجيش متناثرًا ؛ فحتى نرتبه ونعيد التئامه وتنتظم أمور هذا الملك وتستقر فإنه من الواجب على الجميع الاهتمام بهذا الأمر وحينما تتحقق الشوكة والقوة نستطيع بها أن نرد على العدو إذا ما قام بمحاولة. واستمع سابق الدين على لهذا الحديث وأجاب: أن الأمور كما رأيت وأمرت يا مولاى الأتابك ، أننى فرع قد غرسه الملك بهرامشاه وأننى أقدم على هذا الأمر ولاشك لشدة حسن الظن بصدق بنوتى ووفائى ، واليوم والحمد لله سيصدق حسن ظنه بى ويحدث ما توسمه فى.

شعر

- أنا رفيقك وكأننى عبدك ، ومحافظ أبدًا على عهدك

إن الولاية استقامت للملك وحكم المملكة للأتابك وعلى وعلى حاكم القلعة تنفيذ هذا العمل؛ ولهذا فإننى على أهبة الاستعداد وبقدر استطاعتى لتنفيذ الأوامر. نعم إن هذا العمل عظيم ومشكلة مبهمة وعقدة لاتحل إلا بالتفكير ، وأنا أريد ليلة واحدة مهلة حتى أقدح زناد فكرى وأتمكن من الترتيب لهذا الأمر ثم أخبرك.

أقام سابق الدين على الليل ساهراً ممعنًا التفكير فى جهات العالم الستة وتخيل أقاليم الدنيا السبعة وهى مطوية تحت سنابك فرسه، كما تخيل الملك أرسلان مع جيش يزد وكرمان وقد توجهوا إلى دار الملك بردسير ، ثم تخيل أيبك دراز مع غلمان جيرفت وهم يرنون بعين الطمع متلهفين بشوق الحرص، كما تخيل الملك تورانشاه فى العراق ينتظر وقوع الأحداث. وأدرك أن الملك أرسلان حينما سلم بردسير لم يحمل على عاتقه همًا إلا لما ينويه الأتابك محمد لاسيما وأن عدو الملك يئن تحت الضغط وهو يهتم بذلك ، ولما كان مدبرو الخصومة قد أتوا بالجميع عند باب بيتى فإن الرأى هو أن أهجم وأقبض على الملك محمد شاه والأتابك حتى لايتخذ فى كل ملك ينتظر هذا الأمر وسيلة إليه، وأحمى جاهى ومنصبى. وأمر بإغلاق بوابة ربض المدينة وهجم هو ومن معه من قادة عسكريين فجراً على الملك والأتابك والحاشية ولكن لحسن الحظ كانوا قد عزموا على ركوب الخيل؛ حيث ركب الأتابك وأخذ الملك أمامه على الحصان ؛ وحطم عدد من الرجال الأقوياء كانوا فى خدمة الأتابك البوابة، وخرج الملك والأتابك وفر عدد من الحاشية وبقى البعض ، وحينما تخلص الملك والأتابك من هذه الورطة؛ فكروا إلى أين يفرون وأين يكون مقرهم؟ وكانت بردسير على الجانب الأيمن وقد وصل إليها الملك أرسلان وكانت جيرفت على الجانب الأيسر وقد خرج أيبك دراز وجيش إلى هناك فى طريقه إلى جيشار مودعًا كرمان. وتوجه إلى أيبك وحينما وصل إلى هناك استقبله أمراء ايگ بالرايات وأنزلوهم فى منازل الإكرام وقالوا:

شـــعر

- عندى خبر أيها الحبيب وهو أن الفؤوس قد جاءت وقد زرعوا على درب عبورك الورد والياسمين .

مقالة فى مجيء الملك أرسلان من يزد مع أتابك يزدإلى دار الملك بردسير، وعقد العزم على التوجه إلى جيرفت ومنع أيبك دراز دخول الملك مع أتابك يزد، وعودة الأتابك وذهاب الملك وسط حشم كرمان

حينما عزم الأتابك محمد على العودة من بردسير إلى بم، توجه الوزير ظهير الدين وعدد من مشاهير كرمان إلى حدود يزد والتحقوا بالملك أرسلان؛ وقالوا:

شـــعر

- هيا انهض وتعال فقد زينت الدار، فقد قضيت الليلة أدعو الله من أجلك.

وجاء أتابك يزد وأخوه شرف الدين بيستا وغلمانهما إلى خدمة الملك أرسلان ووصلوا فى شهر ذى سنة أربع وستين وخمسمائة إلى دار الملك بردسير.

شـــعر

- المجلس خال والحبيب ثمل بين يدى، فمن العدل القول أن المكان كله سرور.

وأقاموا فى بردسير خمسة عشر يومًا وتقررت الوزارة لظهير الدين، وفى يوم الخميس الخامس عشر من شهر ذى عزموا على التوجه إلى جيرفت وقد كنت أعمل نائبًا لديوان الإنشـاء* وحينما نزلوا بمنزل درفارد علموا أن الأمير أيبك دراز مع أمراء آخرين وغلمان قد استولوا على قمة جبل مادوك وأنهم لن يتركوا جيش يزد بمدخل جيرفت ، وقالوا: إذا ما كان الملك قد هاجر مع جيش غريب وجعلهم من حشمه فإننا قد سلمناه أرواحنا طاعة له وإلا فإننا نقاتل ما دامت أرواحنا بين جنبينا. واستغرب الملك هذا الكلام فاستدعى البحار قيبة وقال له: لقد كانت معلمًا فى السفينة لأيبك دراز فأرسل إليه وائتنى بالخبر الصحيح، وكانت المسافة فرسخين أو ثلاثة فراسخ، وعاد قيبة ليلاً وقال: الخبر صحيح وأيبك يفيدكم بتقبيل الأرض بين يديكم ويقول : أنا عبد قديم للبلاط الأعلى والآن ووفقًا لرغبة مولاى أرجع عن خصومة الملك والأتابك محمد؛ وهذا جيش كامل قد أعددته آملاً فى نظرة عطف من الملك ، وبحمد الله فإن ساحة الملك خالية للملك وليس هناك من يقف أمامه للمنازعة ولايحتاج لمعاونة الغرباء ،

---

* إشارة إلى الكاتب أفضل الدين الكرمانى .

وقد نال أتابك يزد العطايا لسابق عطفه وإكباره الذى أعلنه ومعاناته فى رفقته. إن ولاية حدود كرمان التى استولى عليها لم يستول على أكثر منها من هذه المملكة وهو يمضى ويعود فيها بأمان وهى كل ما ناله؛ وإذا فكر فى أكثر منها فإن المجال مفتوح أمامه وميدان الامتحان مفتوح على سعته. واستدعى الملك الأتابك وأخاه وأمر قيبة أن يشرح هذا الأمر فى حضورهم . وكان شرف الدين بيستا رجلاً مشهوراً بالشجاعة ومعروفًا بغاية البسالة، وقد سمعت من بعيد أن شرف الدين قال: غداً عندما يطلع النهار أنزل هؤلاء السادة من هذا الجبل. وفى اليوم التالى توجهوا إلى أسفل الجبل وقد وقفنا نحن جماعة من أصحاب العمائم فى خدمة الركاب ، ومن البديهى وهذا المكان يطلق عليه القمة الحجرية أن نتيقن أن جيش يزد لن يستطيع العبور. وكان معه جيش يفوق العدد ولايمكن مقاومته. وحينما وصل الملك إلى أسفل الجبل استدعى أيبك وقال: إن لأتابك يزد علىّ حقوقًا كثيرة وله عامان وهو يجتهد فى مشكلتنا آملاً أن نعطيه منصبًا فى كرمان ونعلن مكافأته ، وقد ارتضى أن يأتى إلى جيرفت وأن يمضى أسبوعًا فى مصيفنا ثم يعود بالسلامة. وكان أيبك تركيًا لجوجًا وقد أضمر فى نفسه قولاً لم يبح به فى حديثه مع الملك. ثم قال الملك: أنا سأعود إلى دار الملك بردسير حتى يقضى الحق أمراً كان مفعولا. ولوى العنان وعاد وسط الحشم . وفى الحال تكرر لجاج أيبك مع أتابك يزد. وحينما رأى الأتابك أنه ليس هنالك مجال فى هذه الأرض الحجرية للجدل أو مقام للمحاولة؛ فماذا تستطيع مع عُقّاب فوق جبل؟ قال: أن الملك يعلم أنه ليس هناك هدف فى بردسير وجيرفت ليست منيعة، وأن مهمة مادرين هى أنه بالجد والاجتهاد عليه أن يعيد الملك فى كنف السلامة وظل الدولة إلى بيته وملكه الموروث (وإنى سألت الله ذلك فقد فعل) ، وما قد طلبناه من الله من نصرة وظفر قد وجدناه . ونحن نعرف طريق العودة إلى ديارنا وأن المقاء فى بردسير فى هذا الشتاء كان صعبًا مع تراكم أفواج المحن وتلاطم أمواج الفتن . وحينما فُتحت الولاية وتظللت بالظلال الملكية المباركة كان أول صنيع قدمه لعبيده أن قال: لطالما عرفت أن هذا الجيش وهؤلاء الحشم لم يستقروا مطلقًا فى كرمان وسرعان ما كانوا يواجهون العدو. ثم ودع وعاد ويمم متوجهًا إلى يزد ، والحق بالملك أرسلان مع خواصه بالجيش وسار إلى جيرفت وخلع على أيبك منصب الأتابكية وانتهى الشتاء.

مقالة فى عودة الأتابك محمد من أيگ
والاستيلاء على دار الملك بردسير

حينما أمضى الملك والأتابك محمد شهرين أو ثلاثة فى ضيافة بيت أمراء أيك؛ توجها إلى فارس عازمين على طلب المدد وعند بسا لحق خاجبك* بالملك والأتابك؛ وكان معه فوج من الفرسان والمشاة وكان خاجبك رجلا مكارا خبيثا؛ وضع أمام الأتابك محمد فى البداية مساوىء الأتابك زنكى وقال: إنك لاتستطيع الاعتماد عليه أو على مساعداته وإن المصلحة تقول : إننى فى الخدمة واستطيع الذهاب إلى حدود كرمان أيضا؛ وحينما يعرف جيش كرمان أن معى قوة تعود أهواؤهم مرة أخرى إلى جانبك . وبناء على هذا الأمر توجه ثانية إلى كرمان. وكان للأتابك محمد ابن ذكى؛ حسن الوجه وهو رجل ناهض ويتمتع بخصال الحكمة وكان اسمه بهلوان، تشاور مع أبيه فى الرأى وقال : أيها الوالد إن مدينة بردسير خالية، ووالى الشحنة هو الأمير أبو الفوارس الكوهى الديلمى وهو عاجز نكره؛ فإن يكمن فى وقت السحر عدد من الفرسان عند أسوار المدينة؛ وحينما تفتح الأبواب يغيرون بأنفسهم على المدينة، وفى نفس الوقت فإن أهل المدينة ليس لديهم قدرة على الدفاع أو طاقة على التصدى ، وأنا بنفسى سوف أباشر هذه المهمة المتهورة؛ فإذا ما نجحت الخطة تكون دولة مولاى الأتابك وإذا والعياذ بالله ما مضى سهم القضاء خطأ وما يتبع ذلك، فأنا فداء روح مولاى وتتعلل بالحركات الصبيانية. فقال الأتابك : إن ما قلت تجربة غير مكلفة؛ ووافق . وفى اليوم الثالث من شهر فرودين سنة خمس وستين خمسمائة وبموجب خطة بهلون هجم على المدينة واستولى على القلعة وألقى القبض على الأمير أبى الفوارس الكوهى؛ وأصبح الأتابك ومحمد شاه وخاجبك فى المدينة.

مقالة فى مجىء الملك أرسلان إلى أبواب بردسير
وعزل الأتابك أيبك ودخول الملك المدينة
ورحيل أيبك من أبواب بردسير إلى بم

حينما وصل الخبر إلى جيرفت بأن الزمان بعد إخماد الفتنة قد أثار اضطرابا جديدا؛ وتغير حال المملكة من حال إلى حال. واتضح أن الملك والأتابك قد توجها إلى جيرفت قبيل الموعد المعهود للخروج؛ أما الوزير ظهير الدين وكيا محمد بن المفرح الخازن فقد خرجا إلى بم متوجهين إلى داريهما .

---

* فى قراءة أخرى؛ خاصبك .

وحينما عزم الملك على التوجه من جيرفت إلى بردسير؛ كنت قد مرضت ولم أستطع أن أكون فى معية الموكب وتعذر المقام فى جيرفت بسبب المرض فخرجت فى صحبة جمع من الأصدقاء إلى بم فى أول شهر رمضان. وبقيت بالفراش ثلاثين يوما ولم تكن بى قدرة على الحركة. كانت ولاية بم وكأنها قطعة من الجنة فالمكان يشتمل على ألوان النعيم؛ والوالى عادل؛ والأمور هادئة (بلدة طيبة ورب غفور) حيث أدى سابق على عمله بالانصاف الشامل والسياسة الكاملة، وكانت ألسنة النعمة تلهج بالشكر على حسن ولايته. وحينما تم شفائى عدت بعد العيد إلى العمل مع سابق. إن عظمة البلاط ورفعة الأعتاب وقعود الحشم وقيام الخدم وحسن مجاورة ولطف محاضرة سابق لملكينا ذى الشوكة قد تواصلت كما أنى روعيت من الجميع وأنعموا على بالعطايا حيث أن عظماء وأذكياء بم الذين شاهدوا خلال العمر بنات أفكارى وسودت لهم المسودات قد بالغوا فى إكرامى ولم يدعونى أعود إلى الدار وأنسوا قلبى الغريب بحسن العشرة.

وحينما وصل الملك أرسلان وأيبك إلى بردسير : كانت الغلال ما زالت خضراء لم تنضج ؛ ولم يكن هناك قوت للناس فى الظاهر كما لم يكن هناك مؤن بالمدينة. وليومين أو ثلاثة عانوا الجوع، فما كان من الملك أرسلان إلا أن عزل أيبك، بينما توجه هو إلى المدينة حيث أرسل محمد شاه إلى القلعة دون أن يلحق به أذى.

وحينما أصبح الملك فى المدينة؛ خرج أيبك فى عدد من الأمراء وفوج من الغلمان ووصلوا من باب بردسير إلى بم، واستقبله سابق الدين (لاحبًا فى على وإنما بغضا لمعاوية) على الرحب والسعة؛ ووسده بوسائد الإجلال ومد له سفرة الأفضال.

شــــعر

- حينما رآنى، أحاطنى بالكثير من التعظيم؛ وأنا أيضًا سرعا ما ركعت عند قدميه.

وأنزل فى الحال أيبك والجيش فى المدينة، وأحكموا فيما بينهم بنود المعاهدات. وبعد عدة أيام وأيضًا فى رمضان اجتمع أيبك مع القواد العسكريين السابقين من أتراكه عازمين الهجوم على جيرفت وقمادين التى هى محط رحال رجال الآفاق ومخزن نفائس الصين والخطا والهند والحبشة وزنجبار وسواحل البحر والروم ومصر وأرمينية وأذربيجان وما وراء النهر وخراسان وفارس والعراق . وتحولوا إلى جيرفت والرساتيق السفلى والعليا؛ وكل ما شاهدوه من صامت أو ناطق من عبيد أو جوار أو احتياطات وثمار جميعه أحضروه إلى بم. وكان فى بردسير مجد الدين محمود ابن ناصح الدين أبى البركات وكان سيداً معتبراً معتمداً عالمًا عاقلاً قويًا .

شــعر

- السيد المجرب المتعاون، يطوى الدنيا برسول أفكاره

- فهو برأيه السديد يجعلهم وهم جلوس يرون صورة الغد

وبحكم أن ولاية راين- - وقد كانت موطنه- تقع بين بردسير وبم؛ وكان يخاف هجوم أهل بم؛ فاجتهد فى توطيد أواصر المصالحة والمهادنة بين الجانبين ، وأرسلوه فى عز الصيف إلى بم حتى يسعى فى هذا الخصوص ؛ ويبرم عقداً للصلح، وبذل مجد الدين محمود غاية جهده (هدنة على دخن) ، وعلت أصوات الصلح وأعلن جمع من الغلمان رغبتهم فى العودة إلى بردسير شوقًا إلى الزوجة والأبناء فى بردسير. وجاءوا إلى خدمة مجد الدين محمود للعودة إلى بردسير، ولأن قواعد الصلح لم تقم على صدق النوايا؛ فلم يطل هذا الأمر.

شــعر

إذا لم يتفق القلب واللسان أيها الحبيب، فإن كل ما يقوله اللسان هراء وثرثرة.

مقالة فى ذهاب الملك أرسلان والأتابك محمد إلى بم ومحاصرتها ، ومحاصرة أيبك وسابق على فى مدينة بم

فى هذا الوقت منحوا الوزارة لمجد الدين محمود؛ فأعلن رأيه وقال: حينما لايندمل جرح الحادثة بمرهم لطف المصالحة ؛ فلابد أن يُداوى بحرارة عنف المقاومة فإن (آخر الداء الكى). وبناء على هذا التقرير أمروا بتحديد يوم للمضى إلى بم، وحضر زين الدين حامل الرسائل برسالة صاحب فارس؛ وكان رجلاً فتانًا ومكاراً ومحتلاً وباحثًا عن الثروات وثرثاراً. وتعجلوا فى توديعه من أجل الاستعانة بفوج من حشم فارس، وبالغ زين الدين فى عرض ثرواته من أجل هذا الأمر؛ وأخذ أميران أو ثلاثة مع جمع من الحشم وجاء بصحبتهم عائدا إلى كرمان، ونزلوا فى مكانين ببم، وأقاموا فى خدمة الملك أرسلان ثم مضوا ونزلوا عند بوابة مدينة بم، ولأنه كان فى بم ما يقرب من ثلاثة آلاف من الفرسان والمشاة خرجوا من المدينة معلنين (أن الهدف) ضبط الربض وحفظ الصحراء، وكومضة البرق علت أصوات القتال وصيحات الرعد والطعان بين الجيشين إلى السماء ولمدة أحد عشر يومًا كان الربض وصحراء بم فى رعاية جيش الملك أرسلان وحفظه. ولأن الغلبة العظمى كانت إلى جانب جيش الصحراء الذى يقرب تعداده

من ستة آلاف فارس وعشرة آلاف من المشاة تحت راية الملك أرسلان لقد استولى فى اليوم الثانى عشر على الصحراء وربض بم (عنفًا وقهراً) ؛ وخربوا سور الربض ووصلوا حتى حافة الخندق. فأعاد جيش المدينة الحصار وانشغل الخارجيون بالمحاصرة وفى المدينة أصبح الفرسان كالشياطين التى تفتت الحديد؛ والمشاة كالأسود فاتحة القلاع. وتكحل أيبك وسابق على بكحل السهر وانتعلا نعال التعب واجتهدا جداً فى أمر الحصار، وأقام كل أمير من الأمراء المشهورين خيمة على كل برج وقاموا بحراسته ليلاً وحتى الفجر مشعلين الشموع والمشاعل . وفى الصحراء ولمدة شهرين لم ينشغل الجيش بشىء إلا ميدان القتال وساحة النزاع، وهلك أناس كثيرون فى الصحراء وفى المدينة، وسقط مائة غلام فى ميعة الصبا مجروحين ممن كان قد اشتراهم الأتابك محمد بالذهب وكان السبهسالار ويسمى سيف الدين الجيوشى أبوبكر رجلاً ظريفًا . وذات يوم وكنا قد شرعنا فى ذكر هذه المحاولة الخاسرة قال: يا فلان إن هذا المعسكر يحوى عمالاً وليس أصحاب عمل؛ يعنى أن الملك والأتابك لم يكن فى يدهم وسيلة للاستيلاء على المدينة.

وفى النهاية تأكد أن عقدة هذا الأمر لايمكن أن تحل إلا بمشقة الفتح. وجاء جمع من القضاة والأكابر ورعايا بم الذين- منذ زمن سابق ولاحق- - يكنون الحقد والحسد فى قلوبهم وكانوا مشتغلين فى المعسكر بإثارة المشكلات؛ جاءوا إلى خدمة الأتابك وقالوا: قد سمعنا من الكهول أن الخلل فى مدينة بم يأت عن طريق نهر آبارق؛ فإذا أتيتم النهر وهجمتم على خندق مدينة بم يتيسر بذلك تخريب السور وفتح المدينة. ثم أمروا أن يجمعوا جميع صائدى الصقور وبدو الجبال حول بم ونرماشير ويحضرونهم على بُعد عشرين فرسخ من النهر ثم يلقون بهم فى الخندق فيغلبهم الماء؛ وأن يخربوا الربض وسور المدينة ويجعلوا عاليه سافله، ويخرج من كل حد وصوب أيبك وسابق على وجميع الأمراء والحشم ورعية المدينة إلى الصحراء مصطحبين الفيل والفؤوس والبلط والمناشير، فاتحين طريق الماء من الخندق إلى الصحراء. وحينما وصل الخبر إلى المعسكر سدوا هذه الفتحة، وقد كان أمراء الدولة يتناوبون على رأس هذا السد حتى يفتحوا آخر وظلوا يحرسونه ليلة أو ليلتين، وكانت المهمة فى غاية الصعوبة والعسر، ولصعوبة استمرارها حدث بعض التهاون حتى تم فتح طريق الماء الذى يصب فى الصحراء مرة أخرى، وهكذا انتهوا من هذا الطريق أيضًا .

شعر

- لقد أديت معك كل حيلة لاتنبع من الوهم وسوء الظن وليس أكثر من هذا.

ثم خرج ضياء الدين عمر أبى بكر من المدينة وكان رجلاً غريبًا وخراسانيًا كريم المنبت ، وقد تحدث بكلمات بخصوص الصلح أوردها على مجمل النصيحة. ولم يوافق هذا الحديث مزاج الأتابك محمد واعتذر له رعاية لجانب الأتابك والتمس بعض الأعذار، وتردد ضياء الدين مرتين أو ثلاثًا بغاية الحصول على موافقة الملك، والأتابك يصر على الرفض؛ ولم يفكر فى أن خاتمة اللجاج شؤم.

شــعر

– الدنيا واسعة والناس عديدون، ولم يُخلق من يأكل وحده.

– فإن كانت هناك طيور على الأرض، ففى الهواء طيور عديدة أخرى.

ولأن القضاء نازل لا محالة والمستور من أسرار القدر سرعان ما ينجلى فقد مهدت الأسباب لذلك ولاحت مخايلها وظهرت. وكانت هى المرة الأخيرة التى عاد فيها ضياء الدين أبوبكر ليلا إلى خيمة ناصر الدين كمال كتخدا الأتابك والتى خاض خلالها فى تقرير المصالحة وعدد فوائدها ، وفى أثناء الحديث قال: إذا لم ينتظم عقد الصلح فأنا أخشى أن ما سيحدث سيكون أسوأ من الصلح. وقد كنت حاضراً * وحينما سمعت هذه الكلمة علمت أنه شر وشرار متطاير . وخرج فوج من الجيش بنية الغدر، ولم يأخذوا ولو بكلمة واحدة من كلمات ضياء الدين أبى بكر فى خصوص الملك والأتابك وضاع سعيه هباء.

شــعر

– ليس لصديقنا أن يأبه بأى شىء، ومهما قلت فلن يأبه به مطلقا

مقالة فى غدر زين الدين حامل الرسائل وجيش فارس بالملك أرسلان وأهل بم، وقيام الملك أرسلان من بوابة بم للذهاب إلى جيرفت

هو ابن أحد القادة المجهولين فى كرمان وكان يسمى طاهر محمد أميرك؛ وقد كان رجلا قادرا على القيام بأى شىء متهورا كثير النفاق. تصادف أن طاهرا هذا كان فى صحبة أيبك فى بم؛ فقال لأيبك: أنا أفكر فى فكرة متهورة إذا تحققت؛ تحقق نجاح مولانا؛ وإذا لم تتحقق فقدت عسكرا قليلا من الحشم. أنا أخرج ليلا وأحضر زين الدين حامل الرسائل على حين غفلة

---

* إشارة إلى المؤلف أفضل الدين الكرمانى .

متهما إياه بالرشوة ؛ وأجعله يتحول عن جادة الوفاء للملك أرسلان بإغرائه بالمال ووعده بالمناصب، وأهمس فى أذنه قائلا إن حدود كرمان متاخمة لولاية فارس وعليه تسليم من معه من الحشم على أن تكون السكة والخطبة فى بلاد كرمان باسم الأتابك زنكى. ثم أحضر هؤلاء الحشم إلى المدينة وحينئذ لابد أن ينهض الملك والجيش ونذهب نحن إلى الحدود ونحضر الملك تورانشاه من يزد ونلتمس تكثيف الإمدادات من فارس ونستولى على كرمان . ووافق هذا الحديث مزاج أيبك إذ أن تنفيذ هذا العمل يعتمد على قبول طاهر به ووفائه بالأمر. ومرت عدة ليالى حتى ينتهى هذا العمل بالنهاية المرجوة. وذات ليلة ارتفع صراخ بأن جيش فارس قد هدم داراً ودخل مدينة بم، وقفزت القلوب من صدور رجال المعسكر لهذا الخبر ، وأضاعوا كل ما كان يُتعلق به ويؤمل فيهم من أرواح وأموال .

شعــــر

- ليلة وكأنها يوم القيامة ؛ حالكة؛ هائلة؛ عاصفة ؛ عجزت الأقدام فيها على السير؛ وألجمت الألسنة فيها عن القول.

ولم يبق من أهل المعسكر أحد إلا وهرب على وجه السرعة؛ ولم يكن هناك حيلة إلا فى الصبر وانتظار الموت، وأن يتفضل الحق تعالى علينا ويدفع شرهم فى هذه الليلة، وكان أفراد الحشم فى فارس لا يقضون الليل فى المدينة بل ينامون ليلاً فى الربض ، فاستولى عليهم الجزع والفزع وكانوا أسوأ حالا منه، وحينما اتصلوا ببعضهم البعض عند الفجر وخرجوا، برزوا من مكامنهم؛ وقد كانت الغلبة حتى الآن فى معسكر الصحراء ولكن كانت المخاوف التى انتابتهم ليلاً قد أضعفت أيدى وأرجل الرجال حتى أن الشخص كان لايستطيع وضع اللجام على رأس الخيل. وكان أمير نوبة الحراسة الليلية يقال له الأمير حسين سرو ؛ وكان رجلاً معروفًا بالرجولة ومشهوراً بالشجاعة ؛ وقد رأيته مرتعداً وملقى فوق سبع جثث والفارون يعيشون فيهم أيضا، وكان سيف الدين الجيوشى- الذى سبق ذكره- يمسك بلجامه ويروح ويغدو عدة مرات وهو يقول : أيها الأمير حينما يكون من هو مثلك بطل الجيش؛ وأسد رجال الحشم؛ وراية مفاخر العشيرة ولايقدر على الوقوف فى هذا الموقف جلداً ممسكًا بزمام التحمل ويفر بهذه الصورة التى انطلقت بها ، فكيف يكون موقف الآخرين عندك؟

بيت

حينما أقف مقاتلاً هصوراً ، سرعان ما يولى الفرسان النكوص والهرب. ولكن حينما يولى رستم الفرار، فلابقاء لى ولا لك.

وجاء أيبك إلى شاطىء النهر حتى يخوض المعركة وجهًا لوجه، وفى النهاية تركنا نحن والملك أرسلان والأتابك محمد الدور والخيام وقدور الطبخ؛ ثم جاء ليلاً إلى نرماشير ومن هناك اتجه إلى جيرفت فى مسار وعر وطريق يطلقون عليها عقبة زرناق .

مقالة فى ذهاب الأتابك أيبك من بم إلى السيرجان وإحضار الملك تورانشاه من يزد ومجمل من أحوال تورانشاه منذ فراره من الصحراء وحتى هذا الوقت

بعد ذهاب الملك والأتابك إلى جيرفت ؛ خرج أيبك مع فرسانه من بم حيث ساروا مع جيش فارس إلى السيرجان ؛ وأرسل الأمير يوسف العاشق إلى يزد ليطلب الملك تورانشاه ، وأرسل ضياء الدين أبابكر إلى بلاط شيراز لإخبارهم بما جرى من أحوال والتماس زيادة الإمدادات. وحيث أن الحديث قد وصل إلى الملك تورانشاه فمن الواجب إيراد مجمل عن أحواله السابقة وأيامه .

قصة الملك تورانشاه

بعد أن أسس الملك تورانشاه الدار عند حدود الصحراء مع مجاهد الكوركانى وحشم فارس؛ ومد السماط وأعد الطعام؛ تنبهوا لصولة الملك أرسلان فعادوا إلى بلاط فارس كما سبق وذكرنا؛ وأمضوا الشتاء هناك. وحينما توجه الملك أرسلان إلى بلاط العراق بعد عودة بهرامشاه ومؤيد الدين ريحان من خراسان بعد وقوع المعركة؛ وكانوا قد شملوه بنظرة إعزاز ملحوظة واتفقوا على مساعدته؛ وذاعت التوصية بمعاونته بالعتاد وإعانته. واستمع تورانشاه إلى هذه الأخبار وهو فى فارس فعقد النية على التوجه إلى العراق. وفى هذا الوقت كان الملك أرسلان هناك قد وصل إلى بلاط العراق واستقبله الأتابك بهلوان- وهو ابن الأتابك ايلدكز وشقيق أم السلطان أرسلان- فأنزله عن دابته وتواضع فى خدمته وفى نفس الوقت ترفع تورانشاه وعانقه من فوق صهوة جواده ولم ينزل عنه. وأثار هذا التهاون الأتابك بهلوان بشدة؛ ولفرط الانفعال كرر بهلوان مقولة أن الأخ الأكبر قد جاء إلى العراق مع ألف فارس ومشاة وألف تاجيكى ومختلف الرعايا يعشقونه ويحبونه من كرمان ورغم هذا فقد تعامل مع العبيد بتواضع ، أما الأخ الأصغر فقد جاء عاريًا جائعًا؛ يحمل صكوك دين بألف خروار وأن رعونة مدبر الملك الأتابك ايلدكز وأولاده هى السبب فى انهيار سوق تورانشاه. وفى النهاية فلقد

راعاه بسبب شرف الأسرة وصلته الشخصية وأكد على عهود الصلح بين الأخوين. وحينما توجه الملك أرسلان مع الجيش إلى كرمان أقام تورانشاه فى همدان ثم اختار مقامه فى اصفهان. وحينما وصل الخبر بوفاة ابلدكز فتر عزمه على المقام بالعراق؛ وحينما سمع على إثر هذا بنعى أم السلطان أرسلان وكانت زوجة الأتابك وحاضنة المملكة- لم يتوقف فى أصفهان وجاء إلى يزد. وقام أتابك يزد بخدمته وأقام له مراسم التوقير ولوازم التبجيل ووعده بوعود للمصالحة بين الأخوين، وَكتب إلى الملك أرسلان يقول: لقد نظرت فى طالع أخيك، فإذا ما هجم على حدود كرمان فستتولد عنه نيران الفتنة ؛ وإن هدف الأتابك هو الاستيلاء على الأرض من حدود كرمان حتى بافق وبهاباد وكوبنان وراور .

وحينما أرسل أيبك فى طلب الأمير يوسف العاشق سلك الأتابك طريق الرفض وتقاعس عن تسليمه وذلك بسبب الحقد الذى كان يضمره الأتابك فى نفسه من أيبك، وتقاعس عن بذل المساعدة وتمسك بالاعتذار. وحينما عاد الأمير يوسف دون تحقيق ما طلبه من أيبك؛ وبسبب شدة عنف أيبك وسوء أخلاقه ولشدة ضيقه؛ كتب من هناك رسالة إلى أتابك يزد تحتوى على ومضات التهديد ورعد الوعيد؛ يقول فيها: إذا لم تسلك طريق إسعاف هذا المقام فإننى سأتوجه من كرمان إلى يزد ولن أدع هناك أثراً للعمران، وارضاء لتورانشاه تقدم أتابك يزد إليه بالخدمات وأرسلها إليه. ولحق بالأتابك أيبك عند قرية شتران (مدينة بابك) . وكان ضياء الدين أبوبكر حتى الآن ما زال فى فارس مشغولاً بترتيب الإمدادات . واصطحب أيبك الملك تورانشاه وذهب إلى حدود السيرجان .

مقالة فى توجه رايات السلطان أرسلان من جيرفت إلى السيرجان والعودة إلى جيرفت

حينما وصل الخبر بخروج تورانشاه من يزد ومجيئه إلى السيرجان (جيرفت) سحب الملك أرسلان والأتابك محمد سيف العزم من غمد الصواب وعزما على قمع الأعادى بجيش جرار صارم وحضرا من جيرفت إلى السيرجان؛ وحينما عرف أيبك عاد من السيرجان إلى ناحية كدرو ومكث بها وحينما هزم أيبك لم يتوقف الملك فى السيرجان ؛ وحينما عرف أيبك عاد من السيرجان إلى ناحية كدرو ومكث بها وحينما هزم أيبك لم يتوقف الملك فى السيرجان وجاء مرة أخرى إلى جيرفت . وقد حصل ضياء الدين على إمدادات كاملة من فارس ولحق من كدرو بأيبك وتوجهوا فى استعراض قوى وكامل إلى جيرفت، وخرجوا من طريق زقوقان ومغون حتى وصلوا إلى أبواب جيرفت.

مقالة فى حرب الملك تورانشاه
مع الملك أرسلان ومقتل الملك أرسلان

حينما وصل تورانشاه وأيبك إلى بوابة جيرفت فى شهر أرديبهشت سنة ست وستين وخمسمائة الخراجية (الموافق غرة رمضان سنة ٥٧٢هـ) خرج الملك أرسلان والأتابك محمد مع الحشم الذين كانوا موجودين معه ووقعت المعركة عند أبواب جيرفت؛ بعد ذلك طحنت رحى الحرب فى دورانها حبات عمر أهل الطعن والضرب، وفى أثناء المعركة أصابه القضاء بسهم شريراً فى كتفه، وكان ذلك فى نهاية شهر أرديبهشت حيث كان طقس جيرفت شديد الحر؛ وكان الملك أرسلان قد ارتدى درعًا ثقيلة وكان تأثير الحر عليه ظاهراً كما كان كثير التردد على المعركة؛ وتوجه عائداً إلى جيرفت متأثراً بجرح السهم وثقل الثياب والهواء الحار وعند موضع يسمى شهرستان انفصل عن الركب؛ وأصبح جيش كرمان من هذه الحادثة النكراء واهن اليد فى القتال مزعزع الأقدام لايقر فى مقام للمقاومة.

شـــعر

قد اضطربت دنياى بدونك ، وفى اللحظة التى يختفى فيها الأمير يضطرب الجيش

اختار الأتابك محمد بن الملك أرسلان؛ يولق أرسلان ثم توجها مع خواص خدم الملك أرسلان وغلمانه إلى دار الملك بردسير، وقاما بترتيبات الحصار وتحصنا فى المدينة. وعند بوابة جيرفت وقبيل هذه المعركة كانا قد عزلا مجد الدين محمود من توليه عمل الوزارة، ووضعا منصب مشاركة الملك أمام زين الدين مهذب الذى كان كتخدا للطرمطى، وجاء إلى بلاط يولق أرسلان ملقبًا باسم وزارة بردسير؛ واختار هو أيضًا الدخول فى معية الأتابك. وجاء تورانشاه منتصراً. وحتى الآن كان لم يزل هنالك رمق فى الملك أرسلان فقد وصل إليه غلام تركى من جيش تورانشاه يسمى شيرسرخ ورآه وهو يتمرغ فى الدم فنزل عن فرسه ومزق ثوبه وأهال التراب على رأسه؛ وفى هذه الأثناء وصل الأتابك بهاء الدين أيبك واطلع على ما حدث فنزل واحتضن رأس الملك أرسلان وكان حتى هذه اللحظة ما تزال أنفاسه تتردد فطلب الماء وكان مع أيبك أبريقه فأعطاه جرعة ماء؛ وبعد أن شرب الماء خمدت نار حياته وذهب عمره العزيز أدراج الرياح، وحلق طائر روحه من ساحة التراب إلى روضة الأفلاك وأودعت جوهرة الروح بخزانة البقاء وأقاموا العزاء متحدثين عن نوادر الملك وأحزان الأمة وانسابت على الشفاه ما أضمرته القلوب.

شـــعر

- بكت الطيور والأسماك على موتك وانهمرت دموع عين الملك على عرشك

وقد نظم واحد من أفاضل كرمان قصيدة فى رثاء الملك أرسلان نثبت منها هنا عدة أبيات:

نظـم

- أيها القمر وأيتها الشمس ابكيا على هذا الوجه الجميل؛ فقد بكى سرو الخمائل على هذا القد الفارع.

- يا من رفعته العامة إلى صفوف الملائكة، وبكى القتلى عليك والشعب.

- يا قرة عين البلاد؛ بفقدك ؛ نعاك الملك والسلطان.

- يا حامى الدين وبطل الدنيا؛ قد يقوى الدين بك وبدونك بكى على الدنيا.

- اللهم فاقطع يد ذاك الذى رماك بالسهم؛ فإن عرف حكمك لبكى على الشرف فى تلك اللحظة.

وقد شرح صفة هذه المعركة مباركشاه وهو مداح أبيك: على هذا النحو:

شـعر

- حينما خرج النجم الأكبر من برج الحوت إلى برج الحمل ؛ وانتشر الربيع فى العالم وحل النيروز.

- وحتى يتفتح الورد الأحمر ويكتسى بلونه الدامى، لم يقلع طائر الزرزور قط عن أصوات الشدو والصياح .

- شدو الطيور للورد فى البستان مع العندليب ، يذكر بشدو مباركشاه (الشعرى) أمام بطل العالم.

- الأتابك أيبك الذى ليس له مثيل فى العالم؛ بنسبه التركى الملكى سليل النسل المبارك.

- يتوارى خصمك حين يهل وجهك ؛ يتوارى فى إثره جيش التورانيين.

- وانتهى عمل الملك أرسلان (فى الدنيا) وفارقت روحه الجسد فخمدت أنفاسه وحامت روحه فى عالم الأسرار.

- انسل الموت إليك من جرحك كما ينسل العدو إلى القلعة من الصدع، فقم كالخضر فالوقت قد حان، تنبه وأسرع فقد آن الأوان.

- هو سليل أسر عريقة علاعبقها، وسرعان ما علا عبقه لأنه نفحة من تلك الأسر.

- ففكر فى العاقبة ، وقدم العقوبة بجيش هو كالعُقاب وامض على دربه.

مقالة فى ذكر الملك تورانشاه بن طغرل
وهو الملك الثانى عشر من القاوردية.

بعد معركة جيرفت ومقتل الملك أرسلان لم يتوقف تورانشاه مع جيش فارس فى جيرفت واتجه إلى بردسير ونزل عند أبواب بردسير وأقاموا الخيام فى أوان نضج الغلة، ونظم معسكر الجند. وجاء إلى البلاط عظماء كرمان الذين كانوا فى بم مثل ظهير الدين الوزير وشهاب الدين كيا محمد بن المفرح الخازن وإمام الدين الكاتب والقاضى أحمد وأعيان ورؤساء بم. وتقاسموا المناصب وعينوا ظهير الدين فى منصب الوزير وكيا محمد فى منصب الخازن وإمام الدين فى منصب الكاتب .

وقال السبهسالار الأجل سيف الدين الجيوشى: فى هذا العهد يرتفع مع كل برعم ينبت من الأرض راية عالية فى الهواء تطاول رأسه. لقد لعب كثيرون بالحرب فى عدة أماكن فى المدينة والصحراء ، وأعدوا عدة القتال وسقط من الجانبين كثيرون بين قتيل وجريح. ولسوء الحظ كان فى المدينة الأتابك محمد مريضًا وقد لحق به جرح صعب متقيح فى الفخذ؛ وقد بقى- برغم هذا- يعمل على تخطيط حركة الحرب وتدارس قسوة الطعن والضرب وحفظ مصالح القلعة. وقد حاول عظماء فارس وكرمان محاولات للصلح بين الطرفين ، اعتماداً على أن الأتابك بيده زمام الأمر فى الحل والترحال؛ وأن يولق أرسلان فى مقام الابن بالنسبة له ؛ وأن المدينة فى حالة استسلام . وبناء على هذا التقرير نسجوا بنود الصلح بإتقان ، وأقاموا العهد. ولأن الأتابك محمد كان بادى الذبول وضعيف الجسم وعليل القلب فقد خرج من المدينة وفكر فى اختيار ملجأ ومقصد ، ورأى أن أمنع ملجأ وأحصن حصن وأقرب ملاذ معصوم هو أمراء فارس . وأخذ معه الأحمال والأثاث والجوارى وخاصة خدمه. وقد وجد فى جوار هؤلاء العظماء حسن الاستقبال له، وبالغوا فى إعزازه وقالوا: أنه منذ دخول العرب قد اقتلعت أسنان كيد العدو وبترت يد العدو المعتدية، ثم التحق بهم ورافق جيش فارس إلى خدمة الأتابك زنكى. وكان الملك تورانشاه يختال فى المدينة وقد جلس على سرير السلطنة وبعد عدة أيام استدعى الابن يولق أرسلان ثم عمل على سمل عينيه وأرسله إلى القلعة. وحينما دخل موسم الخروج إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) أبقوا الأمير قيمار رئيس الطباخين (خوانسالار) ، وطاهر محمد أميرك وافتخار الدين رئيس الحرس (نوبت سالار) فى مدينة بردسير ليتولى أمر الحراسة والجند. وخرجوا تسبقهم الأمانى العريضة إلى مُقامهم فى جيرفت ؛ وانشغلوا بقطف ثمار اللذات.

مقالة فى ذهاب غلمان المؤيدى من جيرفت إلى يزد ومجىء مؤيد الدين ريحان وأتابك يزد إلى كرمان والاستيلاء على دار الملك بردسير وقتل أيبك وجلوس مؤيد الدين على مسند الأتابكية

حينما آن أوان الطقس الربيعى وتناثرت أوراق الكافور وألقت بساطها الزمردى ومدت شراع الاعتدال ومضت دواب الخاص والعام وعادت محملة بالأعلاف . وكان الأمير آخر الملك؛ غلاما من غلمان المؤيدية للأمير قلجق.

وفى هذا الوقت كانت القوة المدافعة عن المملكة، وسواعدها القوية من غلمان المؤيدية؛ وكان أغلبهم أمراء وقادة جند مثل الأمير عز الدين چغرانه وكان أمير دار الثياب (جامه خانه)؛ والأمير نصرت الدين أيبة وكان أمير السلاح؛ والأمير نصرت الدين قلچق وكان قائدا للأمير آخر. وكان ما يعرفه الأتابك أيبك من رسوم الأتابكية وقوانين القيادة ما يلى: استعمل من العنف نصفه وأبقى نصفًا للملاطفة (حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء) ، كذلك : مزاج مرضى الدنيا يحتاج إلى شراب السكنجبين[1] (خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا) . وكان أيبك على العكس دائمًا من هذه الصفات فقد كان يستقبل الإخوان بوجه عبوس ويطلق ألفاظ السباب أثناء الحديث.

بيت

- لاتذق طعامه حتى تشرب أولاً من وجنته كأس من الخل المعتق.

وكان أيبك مغروراً بقوة ساعده، يخاطب الأمراء العظام بألقاب سيئة ويتحامق؛ فلاجرم- وهؤلاء هم الأمراء الثلاثة الكبار وخيرة الجيش- فى أن يتحاوروا مع غلام مؤيد الدين ريحان ؛ قالوا : إن قوة الملك وشوكة الأتابك وورنق الملك وأبهة البلاط وحماية الموكب منا نحن؛ وهذا التركى الأبله دائما ما يزيد مشاعر الجفاء حدة؛ ويترفع على سلوك المجاملة فى المعاملة كما أن مخاطبة الأتابك بمولاى هو أمر واجب علينا فلاشك: أن سيدنا مؤيد الدين هو مولى جميع الأمراء القدامى منهم والجدد. أما أيبك دراز الذى كان قد تعلم الملاحة على يد البحار قيبه؛

١- شراب يصنع من الخل والسكر (انظر فرهنك عميد تحت سركنگبين) وهى كلمة مكونة من سرك وانكبين أى الخل والعسل ويراد به كل حامض وحلو (انظر ادى شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، ص٩٢)

فأى وزن له فى ميزان الحشمة ؟ وما هو ترتيبه فى الصف؟ وكيف نجيب نحن أيضًا الحق تعالى؟ وسيدنا فى الجوار والغربة يعانى الفقر ونحن نرتع فى المال والجاه.

شعر

أيها القلب لا مهرب لك من معاناة الغم؛ فقد عاينت ذات مرة غمة فأصبحت المغموم.

تذهب أنت أيها الأمير نصرة الدين قلچق غداً وتتقدم المرعى وقطيع الماعز ؛ ونحن أيضًا نأتى فى إثرك ونسوق القطيع ونذهبك وبعد ذلك نتوجه إلى يزد. وفى النهاية فى شهر فروردين سنة سبع وستين وخمسمائة ذهب أولاً الأمير قلچق ثم لحق به فى إثره الأمير چغرانة والأمير آبه مع معظم غلمان مؤيد الدين؛ وأخذوا القطيع وخرجوا إلى طريق بم عازمين على التوجه إلى يزد، وبقى فى جيرفت الملك تورانشاه والأتابك أيبك وحفنة من المشاة الأوباش. وبعد أن تأكد ذهاب عز الدين چغرانه وغلمان المؤيدى إلى يزد؛ عاد الملك تورانشاه والأتابك محمد مع جمع من الفرسان والمشاة والأحمال إلى دار الملك بردسير وأحسنوا تجهيز القلعة ، وحينما وصل عز الدين چغرانة إلى يزد والتحق ببلاط السيد مؤيد الدين ريحان قال السيد مؤيد الدين ريحان:

شعر

عجبًا .. عجبا أن هاجتك ذكرى الأحبة، فهيا .. هيا فقد كمن أمرنا فى روحك.

إن أملى فيكم هو أن أكون فى مقام الابن؛ ليس لأننى قد تخليت فى وحشة الغربة عن أملاكى وثرواتى وأصبحت معدمًا ؛ وفنيت العمر فى خدمة من لايستحق.

مصراع

مهما طوّفت فلن تجد مثلى

وفى النهاية قد أدركتم أين تكمن مصلحتكم وأن حظكم المواتى دليل على طريق الفلاح ومعرفة الحق علامة السعادة لكم، وأمارة ذلك أن تكون خاتمة الأعمال محمودة وقضاء بقية العمر داخل الوطن، وبعد يومين أو ثلاثة ركنوا للاسترخاء والدعة والراحة وتعجلوا العودة إلى كرمان . وأعد أتابك يزد- لما فى نفسه من حقد كان يكنه فى الضمير على أيبك- أسباب الخروج واكتمل ترتيب الجيش وبعد موافقة مؤيد الدين ريحان توجه إلى كرمان . وفى نهاية شهر خرداد نصبوا الخيام عند أبواب بردسير؛ ونزلوا فى أوان حصاد الغلة والشعير. سبحان الله أن البلايا والنوائب تتناوب.

شعر

- حوادث الزمن لاتنقطع ، حيث تمسك إحداها بذنب الأخرى

وفى كل عام تقترض الرعية المسكينة أو يبيعون ما فى بيوتهم ويشترون بذور الغلال من طبس وأنحاء أخرى ويزرعون ؛ والبعض يبذرون والآخرون يأكلون . وقد تحملوا فى أثناء عجائب النوائب هذه أنواع من المشقات وألوان من الآلام المتعددة من شمول القحط وتعدد العوارض.

ونهاية الأمر ، أنهم حينما جاءوا إلى باب بردسير قام بين الجيشين سوق للنزاع ودامت جولات المقارعة وفى اليوم الأول وضحت مخايل الظفر على جيش الصحراء؛ ولاحت دلائل النصر. أما الأمير أرغش زاده الذى يلقب برجل الدنيا الشهير؛ وعلى رأس قائمة أبطال خراسان وكان فى خدمة تورانشاه- فقد قبضوا عليه من الوهلة الأولى وأحضروه إلى المعسكر مقيداً بالسلاسل . ومنذ اليوم الأول ظهر على وجوه أهل القلعة بؤس الحال وخيبة ظنهم. ثم استعانت الرعية والجيش بوسائل الحيلة وخرجوا من المدينة مدعين أن هواء المدينة يفسد الغلال، أما فى الصحراء فإن حماية الغلال يكون بكمرها بأديم الصحراء. وكان أيبك- ليلاً ونهاراً- يباشر بنفسه أهوال القتال ويتصدى للجد والجدال وأن خوض معارك كهذه لم تذكر حتى عن رستم وزال. وطالت مدة الحصار وهلك أناس كثيرون من الجانبين، وفى داخل المدينة كان الظلم يقصف الرقاب وديوان الضرائب دائم العمل. وكان فى خدمة أيبك غلام يسمونه قيماز الثعلب وكانت به مذمات عديدة منها أنه فتاك وسفاك وخبيث وهتاك للأعراض غير عفيف وقبيح وضيع وسكير سىء، وكان يعزه لقوة تحمله وتضحياته من أجله. وبطريقة خاصة حصل الأتابك أيبك أثناء خدمته على قسم من الأموال المصادرة بالمدينة من القاضى إمام الدين أحمد ووزعها على الجيش؛ ونال قيماز الثعلب حصته من هذا الذهب وهرب من المدينة وجاء إلى معسكر الجيش. وفى اليوم التالى أرسل أيبك رجلاً إلى مؤيد الدين وأتابك يزد قال: إن الأتابك أيبك يبتهل داعيًا ويقول: لقد اخترت ساحة المعركة واعتزلت القيادة والجندية واستلمت الذهب من قاضى المسلمين وأعطيته إلى قيماز الثعلب وهذا جعله يُظهر الولاء، أما الأمر الآخر فهو: من الذى اعتمد عليه من الأصحاب؟ وأى صاحب الخيل أثق فيه؟ لقد سلمت هذه المدينة والملك واستعدت نفسى وسأصير إلى خانقاه وأشغل نفسى بالتوبة عن الماضى والوفاء بالتحلى بالإيمان كما أمر. وخرج الملك تورانشاه من المدينة وأقام أيبك فى قصر الأتابك بزقش بالقرب من القلعة القديمة والطريق الجديد وقد أمهلوه حيًا ليومين أو ثلاثة ثم حملوه إلى القلعة وقتلوه.

(وكان أتابك يزد ملكًا سعيد الحظ ومثل هذا الأمر ونهايته يحدث كثيراً خلال دوران الزمان- مما يأتى مثله) .

والنهاية : أن مؤيد الدين ريحان بعد سبع سنوات كان قد تجول خلالها فى ديار الغربة عاد مرة أخرى إلى الديار وجلس فى منصب الأتابكية وخلع منصب الدادبكية على عز الدين چغرانه. وحينما انخفضت حرارة الطقس واستعاد السنجاب ارتداء فروه؛ وقل تأثير ريح السموم؛ دخل موسم الانتقال إلى جيرفت وعزموا على التوجه إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) ووافق أتابك يزد، وساروا إلى جيرفت وانشغلوا بالمسرات والخمر وغلبهم نوم الغفلة حتى يوم آخر رأى الزمان فيه حلمًا آخر واختار آخرين.

مقالة فى ذكر مجىء الأتابك محمد مع تاج الدين الخلج من فارس إلى جيرفت. وذهاب الملك تورانشاه مع مؤيد الدين ريحان وأتابك يزد ركن الدين سام إلى بم وعودة جنود فارس إلى فارس بسبب وفاة الأتابك زنكى وعودة تورانشاه إلى جيرفت وذهاب أتابك يزد إلى يزد

حينما التحق الأتابك محمد مع أمراء وجيش فارس بخدمة الأتابك زنكى : شملهم بعين الإكرام وخصهم بمختلف الأنعام ومنحهم رواتب الاعانة والاغاثة. وحينما وصل إلى فارس خبر قتل الأتابك أيبك والثورة الجديدة؛ قال الأتابك زنكى للأتابك محمد : قد حانت فرصتنا فما زال لنا صولة وقد جربنا طريقة الآخرين، وتورانشاه فى جيرفت وليس له شوكة وليس لولاية جيرفت قلعة أو حامية، وأن الجيش والخزانة والعتاد والسلاح جميعهم مما يهواه القلب، فإذا كان هناك تصميم على التوجه إلى كرمان فإن موسم الترحال قد حل.

وفى الحال أقام الأتابك محمد الخيمة بالصحراء وتعلق بتلابيب الجد وشمر عن ساعده ، وصاحب الأتابك زنكى؛ تاج الدين الخلج مع جيش جرار، ووصلوا إلى جيرفت فى شتاء سنة سبع وستين وخمسمائة، وتوجه تورانشاه ومؤيد الدين أتابك يزد إلى بم وحينما وصلوا إلى بم لم يمكنهم سابق الدين على من دخول المدينة وأبقاهم فى الصحراء. وتوزعت خواطر الأكابر وتشتت ضمائرهم فإذا كان جيش فارس سيتحرك من جيرفت إلى مدينة بم فماذا يفعلون؟. وكنت أنا قد خرجت من معسكر الجيش إلى مدينة بم فى مهمة وتوقفت عند بوابة شهرستان ؛ وفجأة دوى الطبل عند قمة البوابة وارتفع الصراخ؛ فخفت وسألت عن الأمر فقالوا: أن الأتابك

زنكى قد انتقل إلى جوار الحق تعالى وأن هذه بشرى وفاته واعترانى الألم لذلك ففكرت فى أنه قانون الحياة . وساعة بعد أخرى شاع الخبر أكثر حتى وصل الخبر من جيرفت بأن الملك والأتابك محمد والجيش قد عادوا إلى فارس. فعاد تورانشاه ومؤيد الدين إلى جيرفت ، ومرض أتابك يزد فى بم، واتجهوا إلى الديار عن طريق بردسير وهم يحملونه فى محفة.

مقالة فى ذهاب الأتابك محمد من فارس إلى يزد وعودته إلى كرمان ؛ وعزل مؤيد الدين بسبب كبر سنه عن منصب الأتابكية وتعيين الأتابك محمد فى منصب الأتابكية

لقد أبتلى الأتابك محمد وهو فى فارس بعدد من المصائب والآلام وبخاصة وفاة ابنه العزيز بهلوان الذى فتح بصلابته دار الملك بردسير سنة ٥٦٥؛ ثم انشغال سريتين أو ثلاثة من جنده بأهوائهم وأخيراً جاءت وفاة الأتابك زنكى كمن ينثر الملح على جراحه.

شعر

كنت كسير القلب من الغم، وجاء عشقك فحطمنى تماماً.

لهذا كله لم يكن له رغبة فى المقام فى فارس؛ فاتجه إلى يزد معولاً على العلاقة التى كان قد أقامها مع عز الدين لشكر (لنكر) حينما نزل فى مدينة يزد. وزاد عز الدين لشكر فى تقديم العديدمن اللطائف وفى ضيافة الأحباء، وقام بكل ما يمكن أن يقوم به مخلوق من واجبات الضيافة والكرم وعن هبات الأموال والخزائن لدرجة أنه ذات يوم والبعض يرعى فى رياض نعمته والبطون قد امتلأت من أفضل عطاياه حدث أن أرسل إليه عز الدين؛ الأمير الحاجب العظيم- الخاص به- مع عشرين من الغلمان الكبار والصغار إلى خدمته. وفى شهر اسفندار مذ من سنة سبع وستين وخمسمائة نزل الأتابك محمد مع هذا الجيش والغلمان وخواصه فى زرند، وحينما وصل الخبر بأن الأتابك محمد مع جيش يزد قد وصلوا إلى جيرفت بدأت مشكلة جديدة لم تكن متوقعة وتولدت فتنة أخرى أوقعتهم فى حيرة، فأرسلوا إلى عز الدين جفرانه حتى يفعل كل ما يقدر عليه من أجل الصلح وأن يعمل على وقف سيل هذا البلاء ، ولأن جفرانه كان قد وصل إلى زرند ولم يلقه أحد سواء بالمعاندة أو بإظهار شوكة الأتابك أو حتى برعاية حقوق النعمة له؛ إرأى أن الصواب هو أن يسعى حثيثاً إلى استرضائه وأن يستميله إلى الدخول فى طاعة الملك على أساس أنه لم يبق من أعمدة المملكة غير واحد؛ فإذا ما

أعطيناه حقه من التقدير لم يبق هنالك شاغل من أى جانب قط. فأحضر الأتابك مع جيش يزد إلى جيرفت وخلع عليه منصب الأتابكية ؛ وكما يقول الشعر:

قد رجع الحق إلى نصابه وأنت عن كل الورى أولى به

وكان مؤيد الدين قد غلبه كبر السن فامتنعت جميع أعضائه على الحركة فأعاده إلى الدار وخلعوا منصب الدادبكية على چغرانه.

مقالة فى ذكر الجفوة بين الأتابك محمد وجغرانه ومقتل الأتابك چغرانه وآيبة وقلجق وهم غلمان المؤيدية فى جيرفت . واستشهاد أصحاب كرمان العظام على يد الأتراك فى بردسير

حينما مضت عدة أيام ودخل شهر فروردين سنة ثمانى وستين وخمسمائة الخراجية تكدرت ينابيع الصفاء بين الأتابك وچغرانه، وتغير جوالإخلاص، فقد كان جغرانه قد طلب استرداد أصول أموال الطرمطى؛ ولم يعر الأتابك هذا الأمر التفاتًا بحكم سابق أياديه عليه وسالف علاقته به؛ ولم يمكنه من الأمر.

وفى يوم الجمعة لم يأت الملك إلى الجامع وأدى الأتابك چغرانه الصلاة كما كان معهوداً من قبل فى حضور الملك؛ وحينما سلم الإمام؛ ارتفع من أعلى صليل السيوف والكر والفر؛ وخاف الناس واصطدموا ببعضهم البعض وحدث هرج ومرج شديدان؛ ثم رأوا على باب الجامع عز الدين جغرانه والأمير يعلى شبانكاره والأمير محمد خمارتاش وعدة غلمان قتلى. وقبض فى تلك اللحظة الأمير حسام الدين أيبك على الخطيب وأسره وكان من جرحى ذلك اليوم وهو يعمل فى خدمة الأمير چغرانه واشتدت قوة الأتابك وسعادته بهذه الحركة، وبقى مويد الدين فى بيته منكوبًا مدحوراً، ولم يعد الأمير آيبه وقلجق فى خدمة الأتابك لاموتى ولا أحياء. وذات يوم وكان الأتابك فى بيت الملك مشغولاً باللهو؛ قبضوا على آيبة وقلجق ثم قتلوا آيبة وأبقوا قلجق سجينًا ؛ وكان الناس يتحدثون عنه على استحياء قائلين: كان تركيًا بسيطًا، قليل الطمع. وبقى سجينا عدة أيام؛ وحينما اتجه العزم إلى العودة إلى بردسير تم تأجيل أمره إلى حين اخر. وحينما استقر عرش الملك فى بردسير انبعث الأمل فى رخاء عدة بقاع؛ وهب نسيم النعيم وامتلأت القلوب بالسلوى والسكون . وفى هذه الفترة خلعوا الوزارة عن ظهير الدين واسبغوها على نصير الدين أبى القاسم وهو معلم القصر؛ وكان رجلاً يتحلى بخلال الرشد والكفاية وعيناه ممتلئتان بالعفة والاحتشام .

شعر

- محا قلبه آثار العدم بيد الكرم، وأزال كفه حد الظلم بسن القلم.

وبحكم أنه كان سيدا كريما لطيفا محبا للمسرات فقد كان مشاهير عظماء العهد وأفراد ندماء العصر يدورون فى فلكه وهو بينهم كنجم الثريا وكانوا ينتظمون فى عقد خدمته. وفى كرمان كان المجال قد ضاق على الناس وقلت موارد الدواوين وأصبح الأتراك جوعى وبلاعائل، وحينما رأوا أن التاجيك يعيشون فى بيوت الخيش ويحتمون بالسعف والوقار مفضلين طريق الطيش؛ ظنوا أن لديهم المال والمتاع وأنهم يمنعونه عن الأتراك. وذات يوم قالوا وهم فى خدمة الأتابك: فى جيرفت قدمنا ما كان للأتراك من مال، والآن جاء دور التاجيك. ولم يستنكر الأتابك هذا الحديث وظن الأتراك أن سكوته يُعبر عن غاية الرضا. وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر تير سنة ثمان وستين وخمسمائة خرج تورانشاه إلى الصحراء القاحلة وهجم أغلب التاجيك على الأتراك؛ وقتلوهم ومزقوهم أمام الأتابك والملك والوزير ظهير الدين أفزون ونصير الدين أبى القاسم وشهاب الدين كيا محمد بن المفرح والسيد على خطيب وسابق الدين زواره وفخر الإسلام وشرف الكويناني وهم أركان المملكة وأعضاء الأمة وأنصار الدولة..

شعر

- ما أحمق الوفاء والمروءة فى الدنيا ، بأن يكونوا يداً واحدة فى اليسر والعسر.

- وألا يحدث خلاف فى السابق أو اللاحق حتى المسير إلى الدار الآخرة.

إنها حادثة هائلة وغضب إلهى قد نزل، وإذا أراد الحق تعالى أن يُحلك ليل الفتنة يسقط عن سماء الهداية النجوم ويُطفى فى مجلس الكياسة الشموع. وأن القوم القادرين على رؤية- بنور البصر والبصيرة- مخارج النجاة من مضايق الحوادث، والقادرين على أن يستقبطوا - بفضل الثراء والثروة التى لاتعد - المدد عن النواحى ؛ يختارن من بينهم؛ ويطهرون طريق يأجوجى البلاء من فراسخ العوائق والموانع ويحيلونها إلى صحراء...

شعر

- هكذا تنقضى دورة الحكم فى الدنيا؛ إذ تكون أيها الحبيب فى كل يوم؛ دورته لقوم آخرين.

والنهاية : أن المدينة قد انقلبت على بعضها البعض من جراء هذه الحركة وهرب بقية التاجيك؛ وسقط الأتراك قتلى فى المنازل بعد أن أغير عليهم، وبعد عدة أيام خُمد غبار البلاد

واستقرت اضطرابات المدينة؛ وعملوا على تهدئة السادة الباقين وإخراجهم، ولم يصدر عن الملك والأتابك كلمة قط استنكاراً لهذه الحركة السيئة ، وليقضى الله أمراً كان مفعولا .

مقالة فى مجىء حشم الغز [١] إلى كرمان من خراسان

حينما دخل شهر مهر لسنة ثمان وستين وخمسمائة وصل من حدود كوبنان خبر مفاده أن سلطانشاه قد أخرج الغز من سرخس وأن عدداً من خيولهم قد اتجه إلى كرمان. وتعاقب الخبر أنهم سلكوا طريق راور ووصلوا إلى كوبنان ، حيث هاجمها منهم خمسة آلاف فارس مع عتاد ثقيل الوزن وعدد لايُحصى من الأبناء، جميعهم كانوا من المحاربين والمسلوبين والمقهورين والمنكوبين العراة. وفى يومين أو ثلاثة خربوا كوبنان. وحينما لم يستولوا على القلعة عادوا إلى زرند، وفى البداية لم يقتلوا أو يعذبوا واقتصروا على سلب الطعام والثياب. وكان من بين عادات الغز المشئومة أنهم يتظاهرون فى البداية بالضعف حتى يختبروا عدوهم، وإذا ما تغلبوا عليه أشاعوا السلب والنهب.

وحينما وصل هذا الخبر إلى دار الملك كان فيها غلام يدعى سنقر عسبة وبسبب معرفته لغتهم؛ أرسلوه حتى يطلع على أحوالهم؛ وكمية رجالهم؛ ويعرف مكنون ضمائرهم وسر بواطنهم؛ وأى مهمة قد خرجوا لها. وذهب سنقر ثم عاد معه أمير يسمى قيصر بك وهو شديد الغلظة لايخاف الله، وكان بمثابة رسول يحمل رسالة وحتى ذلك الحين كان الملك فى قصر الصحراء وكانت معه قوة من الفرسان والمشاة. فاستدعى الجميع وحملوهم إلى بلاط الملك تورانشاه وكانت فحوى الرسالة وأساس السفارة هى: أننا قد أتينا لخدمة الملك؛ بعشرة آلاف رجل من تلك الجهة؛ أما فارس فقد اتجه إليها خمسة آلاف؛ فلما سمعوا هذا الكلام وقعوا فى حيص بيص حيث لم يعرفوا عددهم. وكان زين الدين حامل الرسائل حاضراً فقال: يجب أن

١- الغز طائفة من التركمان وكانت بداية خروجها عام ٥٤٨هـ وكانت خاضعة للأمير قماج ويحكمها أميران هما فرغود وطوطى بك. ويقال إن الأمير قماج قد أوقع بها ظلمًا فدخلوا معه فى معركة وقتلوا ولده. وتأجج الصراع بينها وبين الأمير قماج الذى حاول الاستعانة بالسلطان السلجوقى سنجر. فلما أعانه ودخل فى معركة معهم أسفرت المعركة عن قتل الأمير قماج وولده والسيطرة على السلطان سنجر. ثم (انتشروا فى البلاد انتشار الجراد ودب دبابهم الفساد وأذهبوا الأموال والنفوس وأعدموا النعم واوجدوا البؤس) (انظر محمد بن حامد الأصفهان، تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص٢٥٧ وما بعدها) .

نرضخ طائعين حتى نستكمل مراسم خدمة الملك ونقوم بواجبات الرعية. ثم أمهلوه يومين أو ثلاثة ، وبعد الاستخارة والاستشارة أجابوه : سيلتحق بالبلاط الصمصام والبلاغ وهما مقدما الحشم؛ وعدد من الأمراء المشهورين وينالان شرف تقبيل يد الملك على أن يتوقف هذا الحشم فى زرند من أجل إعداد مواضعهم ومراتعهم واقطاعاتهم؛ وتوفير أرزاقهم فى نواحى الصرود والجروم؛ ومن الواضح أن آى ناحية لاتستطيع تحمل شوكتهم وغلبتهم ومصداق هذا الكلام أننا نحافظ على أتباعنا ورعايانا ، على أن يمتثلوا بأوامر الملك وألايحيدوا عن خطه العادل، وقد حملوا قيصر بك هذا الرد.

وكان قيصر بك نفسه قد أتى فى ثياب جاسوس حتى يعلم حالة جيش كرمان وعدده وعدته. وحينما اتصل بجماعته بعد أن أدرك عجز وضعف حشم المدينة- قاموا من زرند واتجهوا إلى ناحية باغين، وتأكد بذلك من أنهم خرجوا عن دائرة الطاعة وأنهم لن يتخلوا عن نقطة الطغيان التى أمضوا عمرهم كله عليها ، وهكذا كان رد وقاحتهم أمرآ واجبًا وحكمًا لابد من نفاذه. وفى بداية دوى النفير بخروجهم أبلغ الوضع للأتابك تكلة بن زنكى وهو يحكم فارس وكان تحت إمرته من مدن كرمان مدينة السيرجان ومدينة برك، وكان الأمير خطلغ أيبة الايازى ينيب عنه فى السيرجان ، وكان زين الدين حامل الرسائل دائم التردد بين الحضرتين، والتمس المساعدة حتى يقطع دابر أضرار الغز لأنه إذا ما استولوا وتغلبوا على كرمان فسيسرى جراد فسادهم إلى فارس. وأرسل الأتابك تكلة فوجًا من الحشم بصحبة مجاهد الكوركانى؛ ونزل جيش فارس فى مشيز فى موعد وصول الغز إلى باغين. وقد عاد رفيع - وكان مستشاراً للطرمطى- من يزد إلى كرمان متسلقا حبل الحيل. وفى سوق الدولة كان الأتابك محمد هو رأس تدبير الخطط الملتوية وقد بحث الأمر وكان تقرير الأتابك هو: يجب الاحتفاظ بجيش فارس فى مشيز وعدم دعوته لحرب الغز؛ فماذا سيُضيف إليه غداً قهر الغز وأيضًا لن يعلو اسمك. ويجب دعوة مجاهد الكوركانى منفرداً والخروج مع جيش وحشم كرمان ومداهنة هؤلاء الطغاة من هنا كان التساهل فى طبع الأتابك محمد. فوافق على هذا الرأى الفاشل والتدبير الخاطىء لهذا الغول. وبناء على هذه الخطة خرج مجاهد منفرداً مع شرذمة الجيش التى كانت فى المدينة بنية الحرب متجهين إلى باغين. ولأن الخطة السابقة كانت أن يأخذ غز كرمان ويحيق الدمار بشعب هذه الديار دون أن يتعدى على آثار العمران فى هذه الولاية، وحادت سهام الفكر التى خرجت من قوس التدبير عن طريقها ولم يستقم سهم واحد أو يصل إلى هدفه ولم يخطر على البال قط أية خاطر حميد (إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره؛ سلب من ذوى العقول عقولهم). وحينما وصلوا إلى باغين واصطفوا فى صفوف الحرب هلك مجاهد الكوركانى

وأناس كثيرون على يد الغز؛ وأصبح الأتابك محمد منكوبًا مدحوراً ؛ وعاد إلى المدينة مع جمع هم إما نصف قتلى أو نصف عرايا. وحينما علم جيش فارس بخبر معركة مجاهد عاد إلى فارس . وقد حدثت هذه الواقعة فى شهور سنة ٥٧٥هجرية ؛ وأبتليت مدينة بردسير بنار المحنة ودخان الوحشة وعلا من كل محلة نواح؛ ومن كل بيت أنين؛ ومن زاوية صراخ مبحوح. ووصلت روح مملكة كرمان التى كانت فى الصدور إلى الحلقوم ضعفًا وخوراً؛ وأغلقت طرق القوافل بسبب الاضطرابات ؛ وانقطعت الامدادات التى كانت فى قوافل متصلة ولاحت بوادر القحط. وحينما وصل الغز إلى مرادهم قاموا من باغين ونزلوا عند شواطىء نهر ماهان؛ ولتعذر المقام فى بردسير بسبب الضيق اتجهوا إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) . ولما كان أهل جيرفت المساكين غافلين ساهين فإذا بالغز قد نزلوا فجأة فوق رؤسهم ؛ واستجارت مائة ألف نفس من جراء التعذيب والإيذاء والتنكيل ، وعاثوا فى الولاية فسادا وأينما كانت ناحية معمورة أو حى مأهول طمسوا آثاره ومحوه. أما رعية بردسير فإن كل من كانت له بضائع حزمها، أو عنده زاد أو أجرة لاستئجار عربات الدواب فقد عمد إلى الهجرة ، أما من بقى من حشم كرمان فقد وقعوا فى متاهة الخلاف واعتزلوا الأتابك محمد وخاضوا حومة التقارب والتباعد وقُتل البعض واحترق البعض الآخر، وبأيديهم نزعوا ريشهم وكسروا أجنحتهم.

مقالة فى طغيان محمد علمدار ومسيره إلى بم واتجاهه مع زمرة من الأوباش إلى بردسير وذهاب الأتابك محمد إلى فارس ومجيئه من فارس مرة أخرى إلى حدود كرمان وذهابه إلى خراسان

كان هناك شخص؛ هو من أسافل أوباش الحشم وأرذل حثالة الأمم؛ يسمى محمد علمدار . فى هذه الأثناء أخذته نفحة نخوة من النفحات الشيطانية وجمع حوله بعض القوم وهرب من الأتابك محمد واتجه إلى بم والتحق بسابق على، وبعد عدة أيام أحضر إلى بم جماعة من الفرسان والمشاة واتجهوا إلى مدينة بردسير للالتحاق بخدمة الملك تورانشاه واستولت على الأتابك محمد الظنون السيئة بسبب هذا الحضور ، ووقع فى حيرة ولم يقدر على التغاضى عنه، فتشاور مع الملك تورانشاه حول هذا الموضوع ؛ وحذره من نواياهم . قال الملك: إننى أدرك تمامًا نواياهم؛ إن نفور هؤلاء القوم منك أنت؛ وإن خلافهم معك أنت. فإذا ما كانوا سيعلنون الطاعة فإننى- ولو ضحيت بروحى- لن أسمح أو أرخص لهم بأن يتعرضوا قط لما يُحيط

بقصرك . وسوف نتعاهد على هذا ونقسم بالإيمان . أما إذا لم تشعر فى نفسك بالسكينة وأدركت أن مصلحتك ليست فى المقام ببردسير والعمل بخدمتى؛ فإننى أيضًا لن أمانع فى خروجك . وذات يوم خرج يتمشى حتى يرى بنفسه إلى أى مدى وصل هذا الأمر، وحينما أدرك الأتابك بما رأى من أحوال مدى عجز الملك وقلة مبالاته؛ تأكد أن ترك الديار والهجرة من الوطن أسهل على نفسه ، وبعد مناقشة مع محمد علمدار حول الحال؛ والمعاناة فى حرب الغز ومآل ذلك؛ ودع الملك واتجه إلى فارس. وحينما مضى الأتابك التحق محمد علمدار والأرذال الآخرون بخدمة الملك . وفى سنة ٥٦٨ الخراجية عانى الجميع من الضيق والتعب. وحينما وصل الأتابك محمد إلى فارس كانت هى أيضًا قد اجتاحها وباء الفتنة، فقد أثمرت بنور الخلاف بين الأتابك تكله وابن عمه قطب الدين ابن الأتابك سنقر، وحينما أدرك أن زاد السفر هو زاد الحضر منعه الحياء من أن يشق على بلاط عز الدين لنكر ولم يعلن عن رغبته فى التوجه إلى يزد وعاد مرة أخرى إلى حدود كرمان وتحصن فى قلعة زرند مع عدد محدود من الأشخاص . وكان الملك تورانشاه قد منح الوزارة إلى قوام الدين بن ضياء الدين عمر الزرندى وبذلك خلت ساحة المملكة فقد أصبحت مراسم السيادة وولاية الجند فى يده وتحت سلطانه، فتعامل بشدة مع رذالات فرسان الجيش ومشاته، وجاء إلى زرند وأزعج الأتابك، ولما رأى الأتابك أن أسباب الراحة قد ضاقت حوله؛ وأن سُبل الاستكانة قد سُدت؛ وأن المقام فى كرمان مع ورود موارد الخوف والجزع قد تعذرت؛ وأنه من العسير التواجد فى الديار والوطن مع وجود هذه الاستهانة؛ توجه من زرند إلى بلاط خراسان لخدمة الملك طغانشاه بن الملك المؤيد.

مقالة فى ذكر عموم القحط فى بردسير
ومجىء الغز من الجروم إلى أبواب بردسير
وعقد هدنة الذئاب مع الملك تورانشاه

حينما دخل ربيع ٥٦٩ الخراجي ظهر فى كرمان قحط شديد، وخلت مائدة الوجود من الطعام ولم يبق فى الدور ولو حبة قمح واحدة. وكان القوت والطعام الطيب موجوداً فى كواشير. وفى عدة أماكن أخرى ولم يكن يوجد غير نوى البلح حيث كانوا يطحنونه ويأكلونه ويموتون. وحينما انتهى النوى أيضًا أحرق الجوعى البُسط القديمة والدلال العتيقة والقرب الممزقة وأكلوها، وفى كل يوم كان العديد من الأطفال يفقدون فى المدينة، فإن الجوعى كانوا يقتلونهم ذبحًا، وهناك بعض الأشخاص أعدوا طعاما من أولادهم وأكلوه، ولم تبق فى المدينة أو حولها

قطة، وليلاً ونهاراً يتقاتل الجوعى والكلاب فى الشوارع فإذا غلب الكلب أكل الأدمى؛ وإذا غلب الآدمى كان الكلب هو المأكول. وإذا ما جلبوا إلى المدينة بضعة أمنان من الغلال طلبوا ثمنا لها الباهظ من الذهب والفضة والأثواب الفاخرة، ولهذا لايقدرون على شرائها، وأن منًا واحداً من الغلال لايمكن شراؤه بدينار فضة؛ هذا إذا ما تبقى عند أحد فى المدينة خيراً بعد استمرار النهب وتوالى الغارات . وبقيت أسعار الغلة على هذا النحو ومضت الأيام حتى تراكم الأموات فى الأماكن فلم يبق مكان لعبور الأحياء، ولم يعن أحد راحة بالموتى وتجهيزهم أوتكفينهم. ونهاية الأمر أنه حينما حل الشتاء كان الغز قد نشروا أرض الأصقاع الدافئة (الجروم) بعظام الكلاب والقطط؛ وخلت خزانة الولاية من النقد والثروة وهكذا أخرجوا كل ما كان مدفونًا فى جوف الأرض. وفى صيف ٥٦٩ تلاعبوا بحكاية جديدة، ذهبوا إلى بردسير وقدموا للملك الاعتذار والرغبة فى أن يعيدوا إليه كرامته؛ حيث أرسلوا رسولا إلى الملك تورانشاه ليقولوا له : إننا سنأتى من خراسان بنية خدمة الملك والمقام فى كرمان ؛ ولكى نقيم الدليل على صحة ما ندعى فقد نزلنا على بعد عشرة فراسخ من دار الملك، وكى نحافظ على فخامة البلاط الملكى واحترام جانب الملك فإننا لن نطأ بأقدامنا جانب الحرم الملكى أو حومة الولاية أو ما حول المدينة انتظاراً لأن يصدر الملك مرسومًا بتحديد المسكن والمقام وحتى لايفكر بأن جيشنا قد جاء عاصفًا وحينما أدركنا جميعا الوضع الراهن فإننا نرفض المقولة القائلة: (وفى الشر نجاة حين لاينجيك إحسان). والآن وفى هذا العام فإن القاعدة الأساسية التى كنا قد قلناها فى العام قبل الماضى قد آن الأوان للالتزام بها وأن النوايا صادقة فى خدمة الملك فالطاعة قد وقرت فى الضمائر وكذا الحفاظ عليها ، فإذا ما كانت رغبة الملك هى تعمير الولاية والحفاظ على أرواح الناس ونفوسها وأموال المسلمين وأغراضهم فإننا نقبل بالطاعة له؛ ونعلن طاعتنا له على طول الزمن، ونؤكد على العهد بالإيمان المغلظة وصدق الإيمان، وإذا ما أراد أن يحتمى بالحشم أو كانت رغبته ألا يقبل هذه المساعدة فإن الأمر له.

ولما كانت الرسالة تتفق ومقتضى العقل؛ ولاحيلة إلا فى القبول من أجل المحافظة على المصالح؛ أرسل الملك عظيما من عظماء الولاية مع رسول الغز وأعطاه رسالة بإجابة ودية؛ وظل مترقبًا حتى أضاءوا فى الليلة الأولى شموع الأنس؛ وفى الصبح أعدوا العدة على قدر الحال وحضر أمراء وأعيان الغز إلى بردسير وذهبوا إلى قصر الملك الذى كان فى الربض ، ونالوا شرف تقبيل الأيادى؛ وخلعوا عليه أنواعًا من الخلع والتشريفات ؛ وتجرأ الملك وخرج إلى الصحراء وسط الحشم ثم عاد بالسلامة، وطاف الغز ببردسير فإذا ما رأوا زراعة أكلوها كما هو معتاد؛ ثم اتجهوا إلى بم؛ ولما كانت نواحى بم منضبطة ومحمية بسبب وجود سابق على بها

فقد هجموا على ولاية نسا ونرماشير ، وسقط فى قبضة تعذيبهم ومخالب نكالهم مائة ألف انسان وأسروا بالحديد والنار؛ وتكممت الأفواه بالتراب، وقد أطلقوا على هذا الأمر مسمى القاوردية الغزية.

بيت

- ليجنب الله شفتيك القاوردية الغزية؛ فقد طعمت الظلم ولم يبق من الحادثة غير هجرك.

(وبعد خراب البصرة) استولى على ولاية نرامشير ونساوأمر بعمارتها واستقل بهذه الأطراف لنفسه وأصبح علاقته بسابق على الذى أتهم باستدعائهم واحضارهم؛ ولمدة عشر سنوات وحتى وصول الملك دينار بثوا بها فى بعض الأحيان عربدة الشقاق وفى أحيان أخرى ترتفع منها قهقهة الوفاق . وفى شتاء سنة ٥٦٩ عاد إلى جيرفت؛ وكما هو معتاد استمرت اعتداءات الغز الفاسدة وغوائل عنادهم ودام حالهم فى إيذاء الخلق وإنكار الحق واستمرت جميع حركاتهم وكل معاملاتهم التى تؤدى إلى نقض العهد ونكث الصلح.

مقالة فى توجه الغز من جيرفت إلى بم ونرماشيز ومجيئهم من بم إلى أبواب بردسير بنية الخلاف والتشاجر ووفاة الخاتون ركنى والدة الملك تورانشاه

حينما انتهت سنة ٥٦٩ ودخلت سنة ٥٧٠ الخراجية؛ خرج الغز من جيرفت وصاروا إلى بم ونرماشيز وعلا شأنهم . وفى شهر مهر لسنة ٥٧٠ الخراجية جاءوا إلى أبواب بردسير ونقضوا الهدنة معهم وتخلوا عن رعاية حقوق البر والإكرام ، وذات ليلة أثناء النوم جاءوا إلى بوابة الصحراء وكان الملك والجيش والرعية جميعهم فى الربض ، وبالمصادفة كانت الخاتون والدة الملك مريضة ؛ وقد نزلوا والحال على هذا الوضع .

وبسبب صراخ نساء الأسرة الحاكمة وجوارى القصر بسبب الهرج الذى حدث للجوء شعب الصحراء إلى القلعة احتاج باب المدينة إلى ساعة لإصلاحه ، وعند البوابات سقط عدد من الأطفال والنساء تحت أقدام الأنام؛ وحتى اليوم ظلت الأبواب مفتوحة حتى يدخل أهل ربض الصحراء كلهم إلى المدينة، وانتقل الملك مرة أخرى إلى قصر المدينة، وقد هجموا على قصر الصحراء- وكان يحتوى على قاعات للعرش وأماكن للضيافة ومغانى ومراتع وبساتين ومتنزهات ولم يكن له مثال فى ديار الإسلام، كما كانت له قاعات تسع الفضاء وهو دنيا أخرى داخل الدنيا ، أما أسقفه فيها صور بديعة ونقوش مليحة مثل أوراق السماء المزينة

بأعشارالكواكب؛ ومثل مقاصير الجنة المضيئة بجمال الحور- وخربوه وجعلوه عاليه سافله؛ وقد لحق بهم كل شخص أراد هدم غرفاته وتقويض شرفاته؛ واقتلعوا حجارته واحدة واحدة، وأصبح الذى حوى مجالس النزهة وعلا فيه مقام العرش؛ أطلالا ورسومًا وعشًا للغربان والبوم. يقول الأمير المعزى السنجرى:

شعر

- ما كانت (يوما) روضة للقلوب ، ومرتعًا للأحباب، وقد أصبحت (اليوم) وكراً للذئاب والثعالب ، ووطنًا للبوم والنسور.

- والمكان الذى دارت فيه القنانى وكؤوس الخمر، ترتع الحمر الوحشية وبدلا من القيثار والناى والمزمار : نستمع إلى نعيق البوم والغربان.

- واستبدل الجوهر بالصخور والسكر بالسموم، ولاح الغيم بديلاً عن القمر؛ والشوك بديلا عن الياسمين.

- نعم إنه حينما ينزل القضاء يصبح التهليل مثل النواح، وتتعوشب الخمائل، وتتحول ساحة الغناء إلى ساحة بكاء .

- وما أن يدور الفلك الأزرق حتى يسقط الملوك، وتدور دورة الديار على ديار الحبيب.

وحتى هذا الوقت كان ربض بردسير مسكونا ومنازله معمورة وأسقفه عالية وأسواقه قائمة وقوافله تسير؛ حتى بدأ هجوم الغز فانهار عمران الربض كله، وماتت بعض الرعية والبعض الآخر هجروا الوطن ووصل الأمر إلى أن كرمان بعد أن كان العدل يعمها والأمن يشملها؛ وكان خصبها دائما وراحتها مفرطة وكانت فى وفرة نعمتها كأنها الفردوس الأعلى- أصبحت كجهنم، وقد كانت تتفاخر بشدة على سغد سمرقند وغوطة دمشق . واليوم هى فى خرابها كديار لوط وبلاد سبأ التى نزلت بها ضربات ثلاث. ونعود إلى بداية القصة فهى محنة بلانهاية وداء بلا دواء، وكان تاريخ جمع هذه الصفحات فى العام التاسع والثلاثين من وفاة الملك طغرلشاه ، وفى كل يوم يتكدر ماء هذه الحادثة أكثر ويتوتر مزاج إصلاح أحوال كرمان أكثر فأكثر.

شعر

- كنت أقول لعل يومًا يأتى دون أن أتجرع فيه غمك، واليوم أكابد آلاف الهموم والأحزان.

ونهاية الأمر أتى الغز فدانوا إلى بردسير وكل ما رأوه حولها نهبوه ونظرا لتعذر مقامهم اتجهوا إلى أنحاء أخرى.

مقالة فى خلع مؤيد الدين ريحان خرقة التصوف وتعيينه فى الأتابكية ، وتوجه الجيش إلى السيرجان والموت هناك ومجمل أحوال الغز

حينما رحل الغز عن بوابة المدينة ، عاد مؤيد الدين ريحان مرة أخرى إلى منصب الأتابكية بعد أن كان قد تاب على يد فارس فرسان الميدان والسائح فى الدنيا ومترجم كلام الرحمن الشيخ شمس الدين محمد روزبهان، وكان قد ارتدى الخرقة فألقى بقارورة التوبة على الأرض وأحرق ثياب الخرقة فى النار، وقاد جيش المدينة وصار إلى السيرجان على أمل أن يعاونه بالمدد الأمير خطلغ آيبة الايازى. وذات يوم خرجوا للمرعى؛ وكما تقول آية (وما تدرى نفس بأى أرض تموت)[1] ويأمر (إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة) وكان كأس عمر مؤيد الدين قد وصل إلى الثمالة؛ وسنّه قد وصل إلى نهايته؛ فاستدعوه إلى هذه الأرض وأجاب: لبيك؛ ودفن فى رباط السيد على فى السيرجان . وعاد الجيش دون أى هدف. وفى بردسير خرج فى إثر الغز قوم من الغلمان فى محاولة لاسترجاع شىء من أمتعة الغز؛ فوقعوا أسرى فى يد الغز وقتلوا؛ وتحصن غلام شهير مع بضعة أتراك فى قلعة قرية العرب فقصد الغز هذه القلعة وقبضوا عليهم وقتلوهم جميعًا وأرسلوهم إلى غربة الفناء. وعلى هذا النحو فى فى كل عام كان يقتل على يد الغز مجموعة من الأتراك الذين كانوا قد شاركوا فى التشاور والسعى والمبادرة إلى قتل السادة؛ حتى وصل الأمر إلى حد (نافخ نارى وساكن دارى).
وحينما دخل شتاء سنة ٥٧٠ اتجهوا إلى الأصقاع الدافئة (الجروم) ؛ وأحيانا كانوا يسلكون درب الصلح مع سابق على وفى أحيان أخرى يمضون على طريق الحرب والخلاف ، وحينما تأكدوا أن كرمان هى دارهم وأنه ليس هنالك منازع فى هذا؛ عمروا الأصقاع الدافئة (الجروم) ورستاق جيرفت وزرعوا ولاية نرماشير وراعوا جانب المزارعين، وأحضروا من أصفهان ومن سجستان- بل من جميع ممالك فارس- أصناف المتاع والحيوانات وعتاد القوافل وقايضوا عليهم. وعند حدود الأصقاع الباردة (الصرود) والأصقاع الدافئة (الجروم) استولوا على عدد من الحصون والقلاع كان بها ثلاثمائة أو أربعمائة شخص وقتلوهم جميعًا مثل قلعة كورفك التى كان يملكها الأكراد؛ واستولوا على القلعة؛ وأيضًا زرند التى كان يملكها الأمير حيدر، وقد سقط فى هذه الفتنة الجيش وتاجيك كرمان ومنهم من هجر الوطن ، وقد أصبحت منازل

١- سورة لقمان ، آية ٣٤ .

ربض بردسير وقصور الصحراء- والتى نشترى شبراً واحداً منها بمثقال من الذهب المصفى- وقد هجرها البوم وهرب من خراباتها خوفًا من الوحدة ورهبة من تلك الأطلال .

رباعية

- حيث كانت نغمات القيثار والدف والناى؛ فأنظر الآن تجدها مرتعًا لوحوش الصحراء.

- المكان الذى كانت تعاقر فيه الحسان الصهباء ، اليوم تفر منه الشياطين.

إن خراب كرمان كله ناتج عن إيذاء مشاعر قدوة الأولياء الشيخ محمد رحمه الله والطرد المؤلم له من كرمان فى عهد الملك أرسلان، ويقال أن بهرامشاه ومؤيد الدين ريحان كانا مريدين للشيخ؛ وحينما صار كلاهما فى خراسان وعاد أرسلان شاه من بم إلى كرمان قدم الخراصون تقريراً إلى أرسلانشاه ورد فيه أن هذا الرجل صديق بهرامشاه ومؤيد الدين ريحان؛ وأن لديه عدة آلاف من المريدين ووجوده فى كرمان خطر. ثم جاء شخص إلى الشيخ وقال: قد تأذى الملك منك وهو رجل تركى؛ فقال الشيخ: نحن لانخاف من الأتراك إننا نخاف الشخص الذى قضى عمره باسطًا يده يسأل الناس؛ ثم قام غاضبًا وخرج من كرمان وقال: نحن نلقى بكرمان خلفنا. وفى هذه الأثناء كانت هناك ذئبة قد ولدت صغاراً أسفل منارة الشاهيجان إذ كان خارج كواشير خربًا نوعا ما وهذا ما دعا الذئبة لأن تلد أسفل منارة الشاهيجان وكان الشيخ المبارك كازر[1] وهو رجل صالح ومشهور وكثيراً ما كانت تظهر عليه مظاهر الولاية وقد صاحب شيخ الإسلام برهان الدين الكوبنانى[2] وكان يقول : كل من لايتمتع بالجرأة لايمر بالشاهيجان وحيداً خوفًا من الذئبة المفترسة.

١- هو الشيخ شمس الدين المبارك، عمل بمهنة جلى النحاس لفترة لذلك عرف بالشيخ المبارك (كازر) ومعناها فى الفارسية (مبيض النحاس) . رويت عنه كرامات كثيرة. قبره فى مكان معروف بـ (دشتويه) فى إحدى الخانقاهات. (وانظر، برى إيرن منشى، عرفاى كرمان، تهران ، ١٣٧٢، ص٧٤) .

٢- هو شيخ الإسلام برهان الدين محمد الكوبنانى ، وفى رواية أخرى الكوهبنانى. كان مريداً لـ (خواجة أبورضا) ويقال أن صومعته عند سفح جبل (خواجه خضر) ، عاصر السيد أبى المعالى الزرندى فى طفولته . قبره فى شرق مدينة كوهبنان فى موضع يسمى صحراء الجزيرة وقد ظل مزاراً لفترة طويلة وأوقفت عليه الأموال. (انظر برى إيران منشى، عرفاى كرمان، ص١٠٠) .

مقالة فى مجىء الأمير عمر نهى إلى مدينة خبيص والتحاقه بالغز رئيسًا ، واستدعاء الغز للأتابك محمد من أجل زعامة الحشم وعودة الأتابك محمد من خراسان إلى الغز ليكون رئيسًا لهم

كان الأمير عمر نهى سبط الأمير تاج الدين أبو الفضل السيستانى ولشدة ولعه بالملك أجج فى الغز- لعدة مرات- رغبتهم فى التوجه إلى كرمان ، وجاء مع جمع حشمه واستولى على مدينة خبيص وانضم إلى الغز. وكما هى عادة الغز؛ فى البداية يقربون ويجلون وفى النهاية ينكلون ويذلون، فقد رحبوا به وخلعوا عليه اللقب الملكى وأصبح رفيقهم فى تخريب البلاد وتعذيب العباد. وحينما وصل الأتابك إلى بلاط خراسان ؛ طوقه الملك طغانشاه بطوق ذهبى وتحقق حسن الظن به فى اللجوء لهذا البلاط ؛ وقال : إذا ما كنت ستقيم الخيمة بجوارنا فاحكم وتادها حتى تستقر وحتى تحصل على الهبات المختلفة؛ وكل منصب تريده ستناله، وإذا ما كان لنا خصم لدود- أى سلطانشاه - فلا تسرع إلى باب داره بنفسك تعضده وتقدم إليه الإمدادات والإسعاد حتى تعود إلى الديار مرة أخرى وقد تحقق مرادك. وحينما أدرك الأتابك محمد أن أسباب الخلاف بين طغانشاه وسلطانشاه دائمة ؛ وأن ما طلبه قد أوقعه فيما أراد الفرار منه.

مصراع

- كل مكان تذهب إليه ؛ يكون حظك معك أيها القلب.

ومن كرمان كتب الغز إلى الأتابك محمد قائلين: إن الأمير عمر نهى رجل غريب؛ خبيث الطوية، وأن حكام الأطراف لم يتفقوا معنا وجميعهم يتلاعبون بنرد طغاة الحرب، فإذا لاحت رغبة الأتابك فى ولايتنا ودارنا فإننا نطوق أعناقنا بالأذعان له وبقبول حكمه بسهولة ولانتجاوز قيد أنملة عن أمره. أما بقية خدمه وحشمه فقد كتبوا من بردسير ، قائلين:

بيت

- إن تعد أرتشف سُمّك ، وألق فى أذنى مائة حلقة عبودية لك.

إن ساحة الملك فى بردسير خالية؛ وقد تشبثنا بالانتظار وجعلناه أساسا لطول صبرنا، فإذا ما رغبت فى العودة للديار القديمة؛ فإننا قادرون على أن نجعل من تراب سمه الناقع كحلا للعيون. وكانت هذه الوعود سببا فى تحركه فى اتجاه كرمان. وفى أوائل سنة ٥٧١ الخراجية

خرج من طريق تون وأقام فى خبيص ، وحينما علم الغز بوصوله جاء الصمصام وبلاق- وهما من أمراء الحشم وسادة القبيلة- بأنفسهما للالتحاق بخدمته، وخصوه بسمات التفخيم وأمطروه بعطايا التعظيم وحملوه من خبيص والحشم يحيطون به وأنزلوه عند أبواب بردسير . وقد كان الأتابك قد أوقع نفسه فى جب الهلاك فأدرك أن واجبه الأول هو تقديم النصيحة فقال للأمراء وزعماء الحشم: لقد استوليتم على ولاية هى كرمان ؛ فإذا أقمنا الحكم حسب قواعد الانصاف؛ وإذا ما أخذنا وأعطينا وفق منهج الصدق والاستقامة فإن عملكم سيزداد فى كل يوم لينا ورفقا، وحينئذ يرى أصحاب الأطراف أن بساط الأمن فى كرمان قد عم وساد؛ وأن معاملات الغز القبيحة قد محيت بسكين العدل والعقل وعند هذا يبادر الجميع إلى الدخول فى الطاعة على جناح السرعة ويقدم الاستعجال ؛ ويستقر العالم المضطرب ؛ وتمهد لكم الرئاسة ومتع الحياة فتصبح بداية للسعادات وفاتحة للخيرات ذلك أنه سيتاح لكم الوقت مع الملك فتطيعون أوامره ويجرى على أيديكم ما يرضى خاطره العاطر. وإذا لم تصيخوا السمع لهذه الموعظة فإن آذان الغز على استعداد لهذا الأمر؛ وهذا ليس مجرد كلام، وبذلك حجّم عدوانيتهم وفى الحال أمنوا على حديث الأتابك ووعدوه بالموافقة.

بيت

- أنت الزعيم والروح وحديثك هو المقدم، أقول هذا وتهتز الرأس مقرة بهذا.

وقد خاضوا فى الصلح مع الملك تورانشاه وتباحثوا فى الالتزام باحكام الطاعة ورسوم الخضوع؛ وكان قرارهم وكما يقال (هدنة على دخن) هو : أن يكون الملك فى المدينة لمدة ستة شهور فإذا ما علم عن الحشم إمارات الرشد والصلاح وعلامات الخير والفلاح جاء إليهم. وحينما التحق الأتابك محمد بالغز كان أمر الأمير عمر نهى فى تأخر وتراجع ولم يكن قد بقى فى كأس عمره ما يزيد عن الثمالة ووری تراب الفناء.

مقالة فى ذكر مقتل تورانشاه على يد ظافر محمد أميرك؛ وجلوس محمد شاه بن بهرامشاه على العرش

حينما عاد الأتابك محمد إلى كرمان لحق به ظافر محمد أميرك. وكان ظافر محمد أميرك هذا فى خدمة أيبك وقد سبق ذكره، وكان أسلافه موسومين بوسم العبودية لهذه الدولة، أما

منبع الشّرفية فمرجعه أنه لم يكن يحفل برعاية الحقوق، أرسله الأتابك من مشيز نيابة عنه فى المدينة ؛ وحينما دخل ظافر المدينة افتتح سوقا ضخما للفضول وعرض فيه للرائج والغاد بضائع الأكاذيب ؛ ولما كانت ساحة الملك خالية من الأمراء والسادة على مختلف طبقاتهم فقد تصدر اثنان أو ثلاثة من الأوباش واستولوا على الحل والعقد؛ والتنصيب والعزل داخل المدينة. أمر ظافر باستحسان هذا العمل كبداية لأعمالهم ؛ أما هم فقد تمتموا باستعظام الأمر عليه؛ وفى الخفاء رتبوا لإعداد فتنة عظيمة وترتيب حادثة منكرة، وكان الملك تورانشاه المسكين غافلا عن هذا الأمر. وفى يوم هرمز[1] من شهر تير سنة ٥٧٢ الخراجية الموافقة لسنة ٥٧٩ الهجرية وفى الصباح دخل ظافر مع عدد من الضباط والهمج إلى حجرة الملك؛ وبدون إذن أو استئذان دخل إلى قصر الحريم- وكان تورانشاه مريضا مبتليا بمرض النقرس- فرفع حجاب الحرمة وأزاح عن وجهه برقع الحياء؛ ومزق هذا المسكين إربا إربا ، وأنزلوا محمد شاه بن بهرامشاه من القلعة وأجلسوه فى مكانه، وشمخ برأسه وتعالى وقال لأهل المدينة على سبيل التفاخر: لقد خلعت نصف رجل ظالم ومكار وغدار وأجلست شابا محظوظا عادلا. ورغم أن محمد شاه كان صبيا وصل من سجن القلعة إلى سرير الملك إلا أنه أدرك بالفراسة والأصالة وميراث السلطنة أن الإقدام على مثل هذه الكبيرة ليست نهاية المطاف عند ظافر وأن أى شخص أجاز مثل هذه الجريمة لاتقدر نفسه على تحمل سوء العاقبة وما قد يصل إليه من جراء هذه الحركة المذمومة والفعل المشئوم ؛ وهكذا تجاسر على قول هذا الرأى. ثم مضت عدة أيام وهتك الغز أستار السلام وضربوا عرض الحائط بالمواثيق ودقوا طبول الحرب. وذات يوم جاء الخبر بأن فوجا من الغز عبر على بعد فرسخين من المدينة ، ولفرط غرور ظافر أهمل جانب الحذر وخرج لمهاجمة الغز مع بضعة أشخاص معدودين. ولما كان محمد شاه دائم التشاور مع رجاله وخاصة حراسه فقد اجتمعوا على مقاومة ظافر؛ وفى هذا اليوم قال واحد من خاصته واسمه علاء الدين سليمان: أيها الملك إننا لن نحصل على يوم أفضل من هذا اليوم لمقاومة هذا الفاجر الغادر، فإذا ما خرجنا من المدينة فليأمر مولاى بإغلاق بوابات المدينة فى أركانها الأربعة وليأمر بإحضار مفاتيح الدروب والقلاع إليه ؛ وليجلس بنفسه مع رجاله من الترك والديلم على أسوار المدينة وعلى أنا أن أوجه إليه ضربة وليكن ما يكون. فقال الملك: إذا لم ينجح هذا العمل ووقع خطأ فسيقتل خلق كثير ويعم الدنيا البلاء. فقال علاء الدين سليمان: طالما أن الأبواب مغلقة طوال الوقت فإن أى فتنة أو معركة سوف تقع فى الخارج؛ وإذا العياذ بالله ما نجا هو

١- يوم هرمز اليوم الأول من كل شهر ، ويطلق اسم هرمز على يوم الخميس.

فعليك إغلاق البوابات ولاتسمح له بالدخول . فأعجب به الملك وقال له: بسم الله أخرج أنت معه وحينما يعود إلى المدينة لاتتغاضى عن مجازاته على فعله الذميم وبما يستحقه على عمله القبيح وحتى يصبح عبرة للمعتدين الآخرين وموعظة لغيره من الوقحين . ووفقا لأوامر علاء الدين سليمان وموافقة الجميع ترقبوا الفرصة حتى إذا ما أصبحوا عند بوابة ماهان ألقى علاء الدين سليمان بالحربة فى ظهر ظافر فقبضت روحه وخرجت بها من صدر ظافر ؛ وجاء بقية الأصدقاء لمعاونته ومزقوه إربا إربا . وكان فى المدينة سيدمعين فى منصب الوزارة ومعه شخص آخر اسمه الخازن وكانا قد تعاونا مع ظافر فى الإقدام على هذه المغامرة ؛ وتلوثت أيديهم معه بغبارها ، ففرا واختفيا خلف الأبواب. وكان محمد شاه قد بث العيون للتجسس والبحث عنهما ثم ألحقهما بظافر . وكان قد بقى فى المدينة أحد السادة الأفاضل وهو سليل المجد والشرف ومن أسرة الجود والكرم وكان يسمى شرف الدين بن عزيز. وكان بن عزيز كاتب ممالك كرمان وكان ملك علماء عصره وكانت دنيا علوم الشريعة خاضعة لخواطره وكتائب انتصار السيف فى حماية سن قلمه، وكان شرف الدين مسعود فى مطلع شبابه ذا وجه مقبول وهيئة جميلة وجمال فائق وذكاء باطن مع حسن ظاهر ولائق...

بيت

- حينما رأى الكفار شدة جمال وجهك قال: سبحان الخالق الذى صوّرك.

وقد نيط به أعباء أعمال الوزارة لقوة عقله وفرط كفايته، كما نيط بمخلص الدين مسعود أعمال قيادة الجيش والخدمة (اللالبكية)*. لقد تلقى الجميع لكمة فى ظلمة الفتنة ملك بلا بهاء وديوان بلا عوائد ورعية معدمة؛ وبقوا جميعا فى تحمل المعاناة واحتيال على الواقع انتظارا للفرج. وذات يوم كروا ليلاً وكان قوام الدين الزرندى وشرف الدين فى تنافس بينهما على الوزارة فقاما بسمل عينى كل منهما للآخر حتى لايليق شرف الدين بمنصب الوزارة ويخلع منها ويجلس فيها قوام الدين. وكان الأتراك يتصرفون كما يرغبون دون زجر زاجر أو منع مانع ويعملون على إبقاء أو إهلاك أى شخص أو إفنائه كما يحلو لهم، وكان مجد الدين ابن ناصح الدين أبو البركات متيسراً ؛ فتصوروه صرة مال فقتلوه ونهبوا أثاث الدار. أما مخلص الدين

---

* (اللالبكى) كلمة فارسية ذات لاحقة تركية ثم ياء مصدرية فارسية، وكلمة (لالا) بالفارسية تعنى خادم ويبدو أنه أضيفت لها لاحقة (بك أو بك) التركية للدلالة على المنصب ولذلك تعنى الخادم الخاص ولم أجد ما يشير إلى هذه المهنة فى كتب المصطلحات الخاصة بالعصر السلجوقى.

مسعود الذى كان يجاهر بصلة القربى والإخلاص فى خدمة الملك فقد ناله ظلم شديد ومزقوه إربا هو أيضا وأرسلوه إلى حتفه . وقد بقيت حفنة من الرعية المساكين مضطرين بسبب ما بهم من عجز وضياع الأمان فى الطريق؛ وعدم وجود ما يُستأجر، يمضون نهارهم كله بين مخالب الاحتياجات؛ وليلهم كله على كوة الحراسة.

مقالة فى ذهاب محمد شاه إلى بم ونية الغدر بسابق على وعودته لكواشير بعد هزيمته

فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة الخراجية الموافقة لسنة ٥٨٠ الهجرية؛ حل فى بردسير قحط خانق ووصل الفقر والعدم إلى قمته؛ واتفق الوزير قوام الدين الزرندى مع الأتراك وتوصلوا فى تقريرهم إلى أنه : يجب التوجه بعد عدة أيام إلى بم فى ضيافة سابق على، فإن سابق على- ولو أنه مسئول عن ولاية بم- يجب فى النهاية أن يسلم الولاية للملك الحالى وصاحب الحق، وكما أنه لم يقم بتقديم رسوم الطاعة وعليه مراعاة حق نعمة الملك بهرامشاه . وبناء على هذا التقرير توجهوا إلى بم وحينما وصلوا أظهر سابق على بشاشة وترحابا وأعلن الخضوع والطاعة . والآن فإن كل من دخل وجلس مستريحا عليه حل الإذار ورفع القلنسوة وخلع النعال وبذل مجهودا كبيرا فى القيام بالضيافة واشترط نزول الملك منفردا ومنفصلا عن الجيش؛ وأعد كل احتياجات الجميع ووفرها .

ثم رتعوا لعدة أيام فى رياض هذه النعمة واتخموا بألوان الطعام. وحسب قاعدة: الجائع حينما يشبع يتحرك فيه عرق الفضول ، وكما قال المثل (نعوذ بالله من الكريم إذا جاع ومن اللئيم إذا شبع) ، وحينما رأى الأتراك الغدارين؛ المكارين ومصاصى الدماء والأشرار السفاكين والوقحين النجسين وهتاكى الأعراض- رواج أمر سابق ورواج سوق دولته والمدينة عامرة والرعية آمنة- وبلاطه ملىء بالسادة الأكابر؛ والحشم مجتمعون على كلمة واحدة طاعة له؛ والأسواق مزينة بأنواع النعم؛ والأحياء مليئة بالأموال؛ وأن تصاريف الدهر وأرزاءه له وليست عليه؛ والعمل مستقيم والأمة فى نعيم مقيم؛ هذا كله نفض فى هذه الطائفة السيئة عرق الحسد على عمله؛ وقالوا لبعضهم البعض: لماذا يجب أن تمتلىء دار الملك بردسير؛ وهى مركز السلطنة وصدف جواهر المملكة؛ بأصناف القحط والبلاد ؛ فى حين تتحلى بم؛ وهى دار اللصوصية ومرتع قادة اللصوص؛ بأنواع الخصب والنعمة على هذا النحو .

بيت

نعم لأنك أحرقت بيدرك؛ فقد أردت أيضا أن تحرق بيدرى

وتشاوروا فى الأمر واتفقوا على القبض على سابق على وقتله؛ والاستيلاء على الولاية. وكان سابق على يواظب فى كل فجر على الذهاب فى معية الملك والخروج مع موكبه إلى الصحراء؛ ولم يكن قد خطر على باله مثل هذا الأمر. وقد أخبر الأتراك الملك بهذا الاتفاق وقدموا تقريرا يقول: إن صلاح حالك وفراغ بالك يرتبط بهذه الخطة حتى تعود الولاية إلى عمرانها؛ وتقدر على اكتساح الغز بهذه الحركة فيدخلون فى طاعتك. ورضى الملك لفرط صغره وقلة خبرته ولكن أكان يرضى إذا صنعوا مثل هذا الصنيع مع أبيه !؟ وقال : غدا حينما يأتى إلى معيتنا ونمضى للصحراء ، نفذوا أمركم . وفى الصباح ووفق ما اعتاد سابق ذهب فجرا لمعية الملك واتجهوا إلى الصحراء؛ وعلى خلاف المعتاد قال محمد علمدار- وهو من كانت تحيط به أيادى سابق العامرة سابقا والنشوة بالمكارم لاحقا- قال لسابق : لماذا تمضى إلى الصحراء اليوم؟ لقد قمت بخدمة الملك وبذلت واجبات الخضوع والطاعة؛ يجب أن تعود. وتخيل سابق- بشدة الذكاء الذى فيه- تدبيرهم وخطتهم فقال للأتراك : إن حذائى ليس جيدا سأرسل فى إحضار حذاء جيد لى، فليذهب الأمراء والأتراك وأنا سأتى فى إثركم؛ وعاد وصار بالقلعة. يقال أنه حينما مات سابق أخذوا ابنه نصرت الدين حبش وربيبه شمس الدين طهماسب ورتبوا شئونهما بنعمة هنية وجو ضيافة لائقة وماء لطيف سلسبيل ، تكفيرا عن هذا المكر الشنيع والغدر الفظيع . وتغلب القادة على الأمر وسرعان ما أخرج الملك والأتراك أنفسهم من هذه الورطة، وتركوا فرقة من المطربات ممن كن تعملن فى خدمة الملك وجميعهن من التاجيك وكانوا قد جاءوا إلى بم جوعى فعادوا إلى بردسير جوعى وعراة وأحضروا معهم ابن سابق وربيبه. واعتصم من بقى من التاجيك والنساء. وحينما مضت عدة أيام أعادوا نصرت وطهماسب وقبضوا مرة أخرى على التاجيك والمطربات.

مقالة فى حمل سابق على ؛ مباركشاه وهو واحد من الأمراء السلاجقة؛ من كواشير إلى بم

كان يوجد قارىء من بردسير يُعلم الأولاد والغلمان فى قصر الخاتون ركنى؛ وكان يذهب أحيانا إلى بم ويتقدم لخدمة سابق ويتلو بعض الآيات؛ قال لسابق بعد هذه الحادثة: جزاء السيئة سيئة مثلها، أنا أعرف لعبة تستطيع بها الرد على محمد شاه وتجازيه على ما فى قلبه بما يكافئه. فى كواشير أمير من أقارب محمد شاه وهو ابن أخى الخاتون وقد كنت معلمه؛ وقد سملوا عينيه ولكن مقلتيه سليمتان ولاضرار من تقوية بصيرته؛ فإذا أردت أن يكون لك ملك من آل سلجوق فأنا أقدر على هذا الأمر ومن السهل إحضاره إلى هنا؛ وهذه خدمة أقوم بها. ووافق سابق على هذا الحديث وقال: عليك النية والخطة ؛ وعلى أنا ترتيب عدة الطريق ؛ وحيثما تريد الذهاب أرسل بصحبتك دابة وكل ما يستلزمه العمل. وحصل القارىء على عُدة الطريق وجاء إلى بردسير . ولما كان معلما لهذا الابن وليس عليه حجاب فى بيته فقد أوعز بهذه الحكاية فى نفس الصبى وهمس فى أذانه بمكانة الملك والرئاسة، فلبى الصبى دعوته وزين له الطلب والمكر باثنين أو ثلاثة من الأشياء القيمة، وذات يوم وفى وقت متأخر ألبس هذا الصبى ثياب النساء وأخرجه من البوابة؛ وكان قد ربط فى الربض دواب غير مجهدة ، ووصلوا ليلا إلى بم، وقام سابق بواجبات التكريم واستقامت له الأمور فى مدينة دار الملك ؛ وأعد له عدة الملك من مظلة وراية والنوبة والحراس؛ وزوجه من أخته. وبعد أن عانى مباركشاه من قحط كواشير والحصار الدائم أصبح ملكا وله فرسان ومشاة ومظلة وراية وخيل وحشم؛ فإذا لم تكن هذه المكانة بتوفيق الله وعنايته فما الذى يمكن أن يفعله سعى المخلوق إذا لم يساعده لطف المشيئة الربانية وقوة السعادة السماوية !؟ . وفى نفس هذا التوقيت طلع هلال راية الملك دينار من أفق خراسان؛ ووصل إلى نرماشير. وجعل سابق على جل همته قاصرا على خدمته وقام باستقباله حماية للديار ضد الغز. وانفطر قلب مباركشاه من هذا الوضع وقال لنفسه: إن سابق يخاف هذا الملك وقد جعل حاله وماله فداء لنفسه؛ فإذا عاتبه الملك دينار وأمره أن يطرد الأمير الذى يقيم فى المدينة ؛ فمتى كان سابق يتحمل همومى وهنا لابد من حماية نفسى. واستقرت هذه الأوهام فى رأسه فهرب من سابق. وابتأس سابق من هذا الأمر وأمعن التفكير واستقر رأيه على استرداده والاهتمام به حتى يمحو هذه الخيالات من رأسه ويعرف سر هذه الأوهام السابقة. قال سابق: معاذ الله ما هذه الأفكار !؟ أنت عندى بمثابة الابن ؛ وأنت مثل فلذة كبدى وقد

عاونتك فكيف يجيز دينى ومذهبى هذا الغدر الذميم . وحينما خرج الملك دينار وأمن الصبى من هذا الخوف ، خطط من جديد لعدة تحركات لاتلائم سليل السلطنة وشريف الحسب، واستولى على سابق ندم شديد نظرا لاهتمامه بأمره، وحينما مضت عدة أيام هرب مرة أخرى. وأمر سابق بالبحث عنه سرا وإعادته ثم قال له : أيها الصبى إننى أريد شيئا والإرادة الإلهية لا تريده؛ أنا أريد أن أجعل منك ملكا والحق تعالى لم يكتب لك هذه السعادة، فإذا كنت قد مللت هذه الديار وشبعت منى فالدنيا واسعة والطريق مفتوح وأنا لن أمنعك من أن تتحرك وفق رغبتك ؛ فأطلق سراح ابنتى واذهب إلى المكان الذى تريد.

بيت

- والآن فإنه لم يعد لك فى الدار عرش للوفاء، فقد شبعت منى وأنا أيضا لم أعد مشتاقا إليك.

فطلق الصبى الإبنة وودع كرمان واتجه إلى سجستان ومن هناك التحق بخدمة سلاطين الغور؛ وأعطوه فى الغور رزقًا وظل هنالك مقيما طوال عمره.

مقالة فى انفصال الأتابك محمد عن الغز وذهابه إلى قلعة ريقان ؛ وتوجهه من هناك إلى خبيص ومن خبيص إلى كواشير

كان الأتابك محمد قد صبر فى صحبة الغز لمدة عامين؛ ولما لم يجد فيهم أثرا قط لما قدم من نصائح ومواعظ ورأى أنهم قوم نكسوا أعلام الإسلام وقلبوها رأسا على عقب؛ وأنهم اقتلعوا أغصان الإنسانية والمروءة من جذورها ؛ وليس لهم صفات العالم الإنسانى ولاخُلق رعاية حقوق المسلمين؛ ووجد أنهم يجدون فى إراقة دماء الرجال المسلمين سنة أوجب من سنة الفداء فى الأضحى ؛ فقد غدروا بعدة ملوك من أتباعه وأرسلوهم إلى جهنم؛ وحولوا عددا من المدن العظيمة إلى قرى، وأصبحت الآية (ولن تُفْلِحُوا إذاً أبداً) [1] هى شعار دولتهم ورموزهم وأصبح السر فى القضاء عليهم (وكنتم قومًا بوراً)[2] وبمقتضى سنة (ففررت منكم لما

١- سورة الكهف ، آية ٢٠ .

٢- سورة الفتح، آية ١٢ .

خـفــتـكـم)[1]؛ وعند أبواب ريقان نجا بنفسه من بحر الهلاك ولجة وحشة مصاحبتهم ومرافقتهم وفر إلى زورق الخلاص وسفينة النجاة وصار إلى قلعة ريقان. وعندما قام الغز عند أبواب ريقان متجهين إلى الصحراء نزلوا فى خبيص ، وحينما علم فرسان المدينة ومشاتها بوصول الأتابك إلى خبيص حطموا جدران العزلة وخرجوا من مضائق القحط واتجهوا إلى خبيص. وحينما خلت المدينة وقوى ساعد الأتابك وشوكته لم يبق طريق آخر غير الصلح والاستعداد. وأرسلوا السيد جمال الكريدى وهو من قرية كريد بمدينة طبس؛ وكان رجلا كريما منعما – أرسلوه من مدينة بردسير برسالة إلى الأتابك محمد فى خبيص وتذاكر الملك والأتابك العهود القديمة وجددا عهود الوفاق بعقد ميثاق شرف وأكداه. ثم لحق به الأتابك مع جمع فى شهور سنة ٥٧٤ الخراجية الموافق لسنة ٥٨١ الهلالية وجاء إلى المدينة ولو أن آفة القحط والغلاء وخوف الهلاك والفناء كان ما زال مستمرا بالمدينة . وبطلوع هلال راية الأتابكية بزغت تباشير صبح الصلاح وانتهى القتال والخصام بينهما؛ وأصبحا قلبًا واحداً وروحًا واحدة على قتال الغز. وفى هذه الأثناء جاء الخبر بخروج الملك دينار من صحراء كوبنان وذهابه فى اتجاه راور للتوجه إلى خبيص ومنها إلى نرماشير. ووصل إلى بردسير للحاق بحشم الغز؛ وجمعوا فرسان المدينة ومشاتها وهم ما يقرب من ثلاثمائة شخص وصاروا إلى خبيص على أساس أن يمنعوا مروره؛ وكان معه ثمانون فارس جميعهم متعبون ومكدودون، وحينما اقتربت المسافة بينهما بسبب الصيت الشائع فى كل الدنيا عن رجولة الملك دينار لم يقدر حشم كرمان على معارضته ولم يكن بهم طاقة لمحاربته ؛ وأصبحوا غير قادرين على التصدى له. وحينما وصل الملك دينار إلى نرماسير مثلما سيذكر بالتفصيل فى الخاتمة ؛ لحق به الغز فجاء إلى باب بردسير ؛ وفى ذلك الوقت كان السيد جمال الكريدى قد وصل عند الأتابك محمد فى خبيص قادما من كواشير برسالة. ولما كان الأتابك رجلا سهل الجانب وواضحا ويحتاج دائما إلى المستشارين والناصحين ؛ فقد توجه فى الحال إلى ناصر الدين كمال وهو سيده والكتخدا الخاص به؛ وكان فى هذه الحالة غائبا؛ فلما رأى السيد جمال اعتبر أن استقامته وجلده ورفقته له غنيمة كبيرة وفوزا تامًا وأحله فى خدمته فى مكان مكين وكان السيد جمال – ولو أنه كثير الكلام إلا أن كل حديثه حق ولايصبر على محال- ولايقول الكذب ولايستطيع سماعه؛ وكان لايخون ويكن العداوة للخونة؛ وكان لايرد لأى ملك قط كلمة حق. فلما رأى الأتابك (يخلط العدس بالدر) ، ولايدير أمور الحياة على الوجه الصحيح، حاول إرشاد الأتابك وتوجيهه نحو

١- سورة الشعراء، آية ٢١ .

الصلاح فازدادت رغبة الأتابك فى وجوده. وحينما لحق الجيش بالأتابك وحملوه من خبيص إلى مدينة كواشير ؛ حملوا معه السيد جمال وأصبح حلاق قصره وراعى مصالحه وأحواله. وبمرور الوقت وعلى عاداته فى الثرثرة جرى على لسانه ذكر بعض مساوىء ناصر الدين كمال وقال: ولو أنك كنت مدبرا كفؤا وكتخدا صادقًا فعليك ألا تقدم مطلقًا على مثل هذه الأفعال. وكان ناصر الدين كمال فى كوبنان فاستدعاه الأتابك ؛ فلما حضر نقل إليه خدم الأتابك كلمات السيد جمال فاشتعل قلبه بالحقد على جمال وتأجج فى نفسه وعقد النية على مضايقة جمال أو القبض عليه وقتله، ولاحظ السيد جمال علامات التغيير فاستبدل ناصر الدين بالأتابك وصار إلى كوبنان . وحينما وصل الملك دينار مع حشم الغز إلى أبواب بردسير ؛ اتجه السيد جمال إلى بلاطه والتحق بخدمته وأعطاه الملك منصب النيابة ووكيل البوابة. وعمر قلعة زرند وجلس بنفسه هناك. وحينما رأى الملك دينار ارتفاع السور وعمق الخندق واستحكام القلاع أدرك أن الاستيلاء على مدينة بردسير قد يتيسر بفتح قلاع الأطراف ؛ فقام من بردسير وصار إلى خبيص ومن هناك إلى راور .

مقالة فى ذكر ذهاب الملك محمد شاه إلى بلاط العراق؛ ووفاة الأتابك محمد فى بردسير واليأس من عودة محمد شاه ووصوله إلى بم؛ ومن هناك إلى سجستان وخوارزم والغور ونهاية دولة السلاجقة فى كرمان

حينما قام الملك دينار من عند أبواب بردسير واتجه إلى خبيص، كان أمراء وصدور المدينة- والذين كان يغلب عليهم أرق الجوع وخفقان الخوف والرغبة فى الجلاء عن الوطن- قد أوهموا محمد شاه بقولهم : إن أى بلاط تصل إليه؛ أنت فيه ملك شاب محظوظ وأن كل ما تطلب من إمدادات أو مباهج يُعطى لك، وبذلك رفعوا هذا الصبى إلى مكانة عليا ثم ألقوا به إلى حضيض الطريق. ومع هذا فقد توغل الغز فى كرمان ، وكتب الملك تورانشاه والأتابك محمد إلى العراق وبالغوا فى موضوع المعونة ، كما أبلغوا بلاط الأتابك بهلوان وبقية الملوك بحالهم الضعيف وبؤسهم وغلبة الأعداء عليهم؛ وذكروهم بواجبات وشائج الرحم. ولم يجب أحد قط من هؤلاء الملوك على الدعوة قائلا: لبيك، وحتى أنهم لم يفكروا فى إعانتهم أو إغاثتهم؛ ولم يكتبوا سوى خطاب يشتمل على التمهيد بالاعتذار وتقديم الوعود حتى أبواب المدينة وقالوا

هزلا واستهزاءًا : لقد وصل الجيش إلى كندنان. وحينما رأى محمد شاه أن أحواله لاتسير كما يريد عزم على التوجه فى شهر شعبان لسنة ٥٨٢هـ إلى العراق. ولما كان جماهير أعيان كرمان- مثل حاكم الولاية والقاضى قوام الدين ومجير الدين المستوفى وغيرهم - قد ربطوا أنفسهم به فى حبل واحد واعتبروه قائدهم؛ فقد تحرروا من سجن كرمان الموحش واتجهوا عن طريق يزد إلى العراق، وبقى الأتابك محمد فى المدينة مع جمع من الفرسان والمشاة ولم يطلع أحد على سريرته؛ هل يدخل نفسه فى حصار ومعاندة مع الملك دينار، أم أنه سيمد إليه يد المصافحة والموافقة . ذلك أنه كان يدبر فى الخفاء خطة أخرى قد أعد لها أسباب النجاح. وفى الثامن من شهر رمضان سنة ٥٨٢هـ وبدون أعراض مرضية ظاهرة أو مرض شديد الخطورة ظل الأتابك محمد لمدة يومين أو ثلاثة مبهوتا صامتا ثم انتقل من قمة الحشمة إلى حفرة الوحدة. وبذهاب الملك وموت الأتابك انتهى العهد الملكى ؛ وهدم قصر الإمارة وألقى بلواء الملك إلى التراب وأغلقت دفاتر العظمة واستولى ناصر الدين كمال على خزانة الأتابك محمد وبيته وصار إلى العراق لخدمة محمد شاه، واضطرب العمل فى المدينة كليا وتبدل. وبقيت حفنة من الرعية عاجزة مسكينة ، ونفثت فى مجموعة من الجيش من الترك والديلم بقيادة شيطان الغرور نفثات الضلالة وتوهموا أنهم قادرين على ضبط القلعة حتى وصل الملك فى الفجر؛ وتصدى الأتراك الجهلة دون استعدادات أو ذخيرة (متوكلين على زاد الحجيج) وقصروا نياتهم وهمتهم على حصار الغز ومقاومتهم. وحينما حل الربيع جاء الملك دينار إلى أبواب بردسير؛ مثلما سيدون فى الخاتمة ويشرح ، وبعد مناوشات سلموا المدينة صلحا ، وحينما خرج محمد شاه من المدينة وجاء إلى أبواب قلعة زرند دخل المعركة ؛ فأعلن عليه بضعة رجال من رجاله العصيان وصاروا إلى خندق القلعة فقتلوا جميعًا أو جرحوا؛ فأرسل إليه السيد جمال هدية وقال : أيها الملك إنك الآن ضعيف وتعجز عن الاستيلاء على قرية ، وقد جاء إلى كرمان ملك قاهر بجيش جرار فاتصل به واطلب صداقته ثم انتحى بناحية من أطراف كرمان؛ فإن هذا أنيد لك من هذا الترحال العشوانى ومن قطع المسافات الطوال. لقد كتب عمك منذ عشر سنوات وصرخ طالبا الغوث؛ وطلب المدد ولهج بلسان الشفاعة وفرط التضرع ولم يلتفت إليه؛ إن هذا جهد ضائع ومعاناة هجرة غير مجدية. فإذا ما أصاخ الملك السمع إلى كلامى فإننى أتقدم وأسعى ولاتوسط وأنهى هذا الأمر كله. ولم يصغ محمد شاه بسمع القبول وخرج إلى الطريق وحينما وصل إلى العراق تم تحويل الإمدادات الذاهبة إليه إلى فارس، وكان هناك عدد من أبناء الأتابك زنكى فى البلاط- كنوع من الوجاهه- فأرسلوا عائدين للديار فى صحبته من

أجل إكرام جانب محمد شاه، ومن أمراء العراق شُمح لعز الدين قبه وبوزقش شمله كش؛ بالعمل في خدمته حتى يرسل له الأتابك تكله بن زنكي جيشه، وأوصلوه عائداً إلى الديار. وكان الأتابك تكله ملكًا قنوعًا يغلب عليه إيثار السلامة؛ وإذا كانت له صفات محاكاة الأوباش ومبارزة كل لص ومحتال لكانت ظهرت صفات التهور هذه فيه وأخضع ملك كرمان؛ ولأنها لم تكن فيه تقاعس هو أيضا عن إعانة محمد شاه وإمداده أو تقديم رسوم النجدة له وقد فعل هذا بسبب تجاور الديار وتلاصق البلاد وتوقع طعنة الغز.

وفي العراق أيضا ثار غبار الخصومة بين السلطان طغرل والأتابك قزل أرسلان ، واغتنم هذا الأمر أمير عراقي منافق فتوجه عائدا أدراجه إلى العراق وبقي محمد شاه مع حشمه وأتباعه في فارس لعدة أيام، وحينما طال مقامه انتظارا للمدد وقد يأس من تحقيق أي فائدة أو نوال أغراضه، توجه عائدا إلى حدود كرمان وقصد ناحية بم- وقد كان الملك دينار قد جاء إلى مدينة بردسير فوقع أتباعه وأشياعه في مصيدة الفرقة وخرج بعضهم عليه وصاروا إلى فارس ، أما البعض الآخر فقد عاد إلى دار الملك بردسير وقليل منهم من بقي في خدمته ثم وصل إلى بم.

مصراع

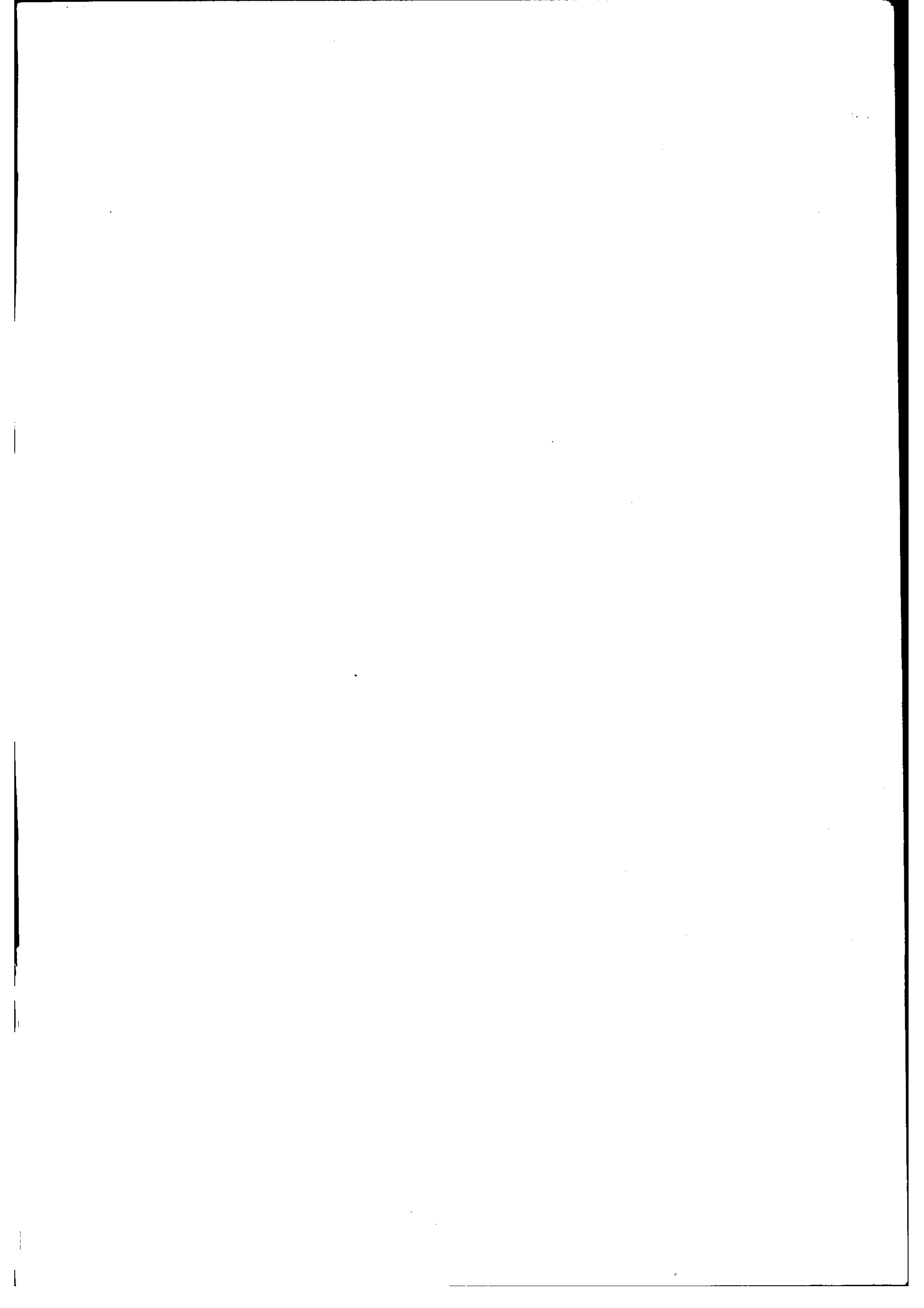
– عدت وأعدت معي، كل همومك وأحزانك

وحينما رأى سابق على أن محمد شاه يقف على أبواب الغرباء وأنه يمد يده بالسؤال لكل حقير فتعود يده فارغه : أشفق عليه كثيرا، ورعاية لحقوق أبيه عليه، لم يلتفت إلى ما حدث في السابق فإن (ذكر الوحشة نصف الوحشة)، ثم زوده في هذه المرة بواجبات الخدمة ولوازم الطاعة وأعاد أخته إلى عصمته ووسده وسائد الراحة لمدة ستة شهور. ولأن وجوده في بم كان سببا في خراب الولاية ولأن وجوده أجج الرغبة في خلع سابق ؛ فقد ودع سابق وودع أخته وخدمه واتجه إلى سجستان ، ثم توجه محمد شاه من سجستان إلى بلاط خوارزم . وقد بالغ خوارزمشاه تكش في توقيره واحترامه وأجلسه في مكانة عالية في بلاطه وفي مجالس أنسه كأحد أبنائه ووعده بقرب المعونة وسرعة الإغاثة ، وتوطدت أواصر المحبة والمودة الصادقة بين قلبي محمد شاه وخوارزمشاه . وتحمس لموضوع إمداده وإعانته. وقد سعى البعض من أتباع محمد شاه في ثنيه عن عزمه وإفساد أفكاره، ثم حينما صبر لعدة أيام على الوقوف على ساحل بحر كرمة والعطش يستبد به ولم يلمع أثراً لرى الظمأ؛ يئس منه وجهر بالتكبيرات

الأربعة وكأنه يودع ميتا وحول نيته للتوجه إلى الغور وغزنة، وقد عانى فى الوصول لمعية السلطان شهاب الدين[1] معاناة السباحة فى المياه العميقة، ووعورة صعود الجبال الجليدية وقطع المسافات الطويلة والسفر المرهق؛ حتى أنهك جسده وخرجت منه الروح وانقطع نسل القاوردية مرة أخرى.

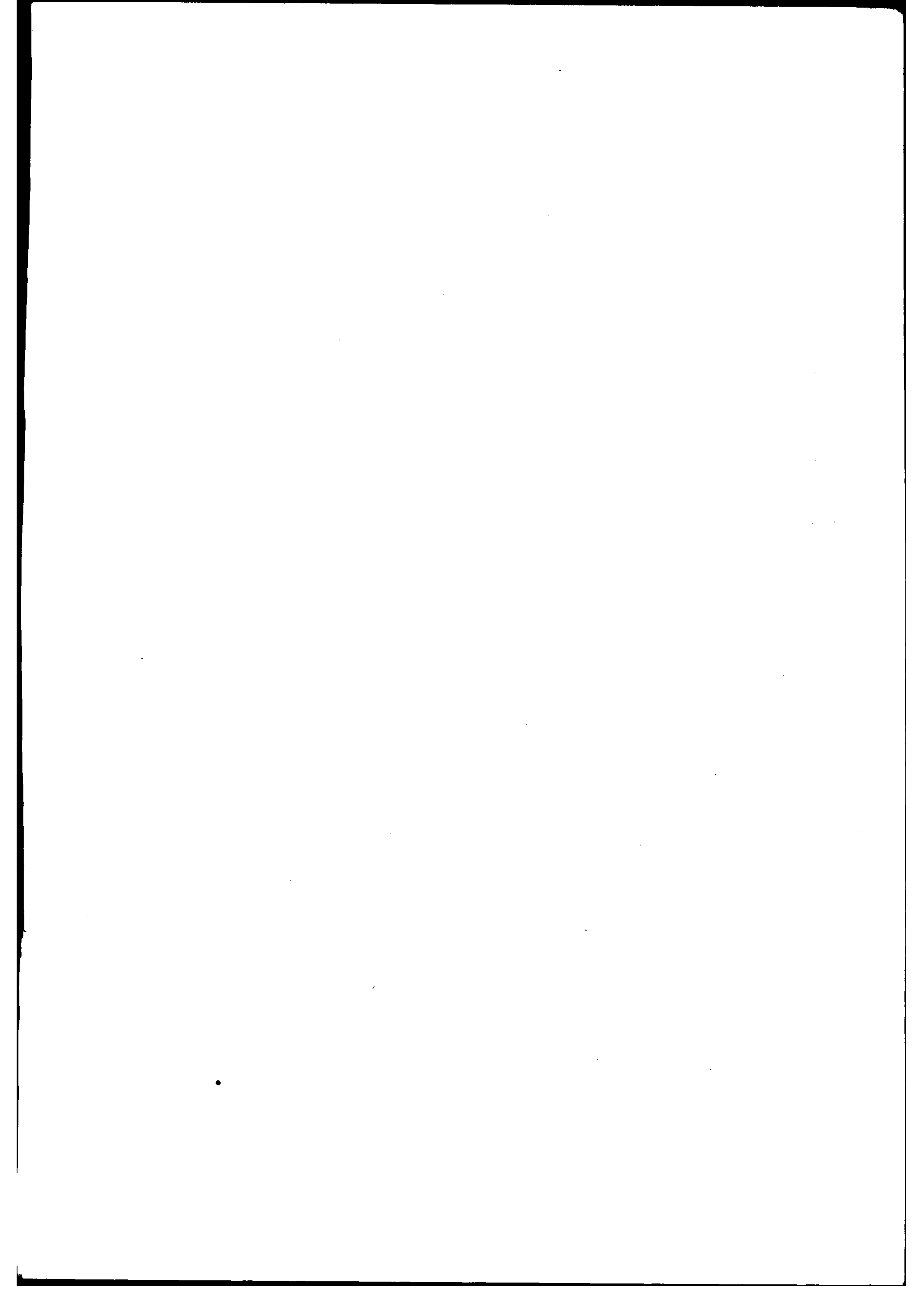
تعلم أن الفلك ساحر وأن لديه من مثل هذه الألاعيب الكثير، وأن الزمان مشعوذ وتجاربه المشابهة لاتعد. ثم توقف بعض خيل محمد شاه وحشمه فى خراسان ؛ وعاد البعض الآخر إلى كرمان . وهذه هى نهاية دولة آل سلجوق فى كرمان .

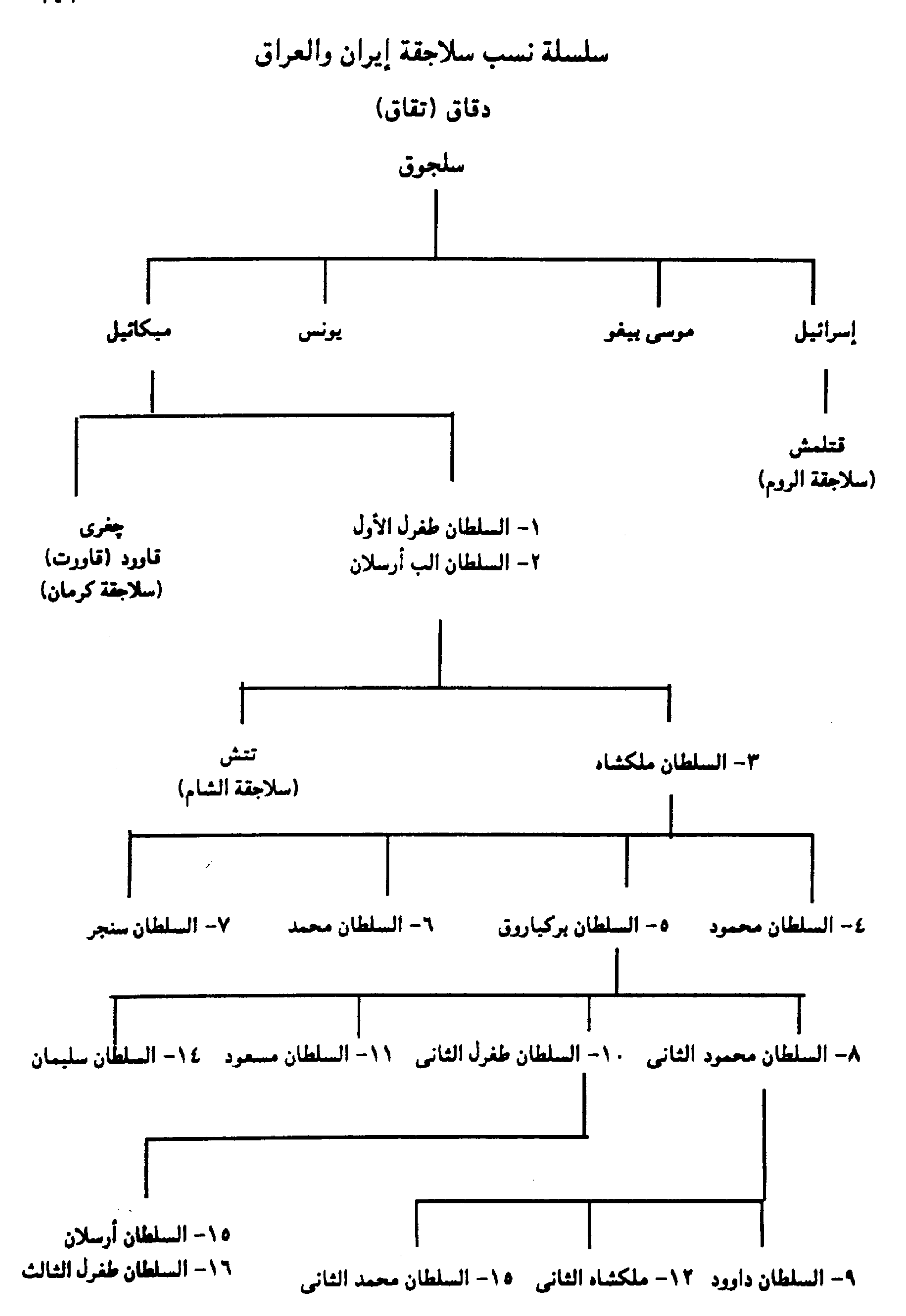
١- هو السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغورى ، حكم بعد أخيه غياث الدين الغورى فى العاصمة فيروز كوه بغورستان ، خاض معارك كثيرة لنشر الإسلام فى بلاد الهند، عاونه فيها مملوكه قطب الدين أيبك. بوفاته انهارت الدولة الغورية فى غورستان وانتقلت على يد مملوكه قطب الدين إلى الهند. (بالتفصيل انظر د. ثريا محمد على، الغوريون، القاهرة ، ١٩٩٣، ص٦٥ وما بعدها) .



ملاحق الكتاب

١- سلسلة نسب سلاجقة إيران والعراق
٢- سلسلة نسب سلاجقة كرمان
٣- التقويم الإيرانى وما يعادله من التقويم الميلادى
٤- خريطة إمارة كرمان




سلسلة نسب سلاجقة إيران والعراق
دقاق (تقاق)
سلجوق
إسرائيل
موسى بيغو
يونس
ميكائيل
قتلمش
(سلاجقة الروم)
١- السلطان طغرل الأول
٢- السلطان الب أرسلان
چغرى
قاورد (قاورت)
(سلاجقة كرمان)
٣- السلطان ملكشاه
تتش
(سلاجقة الشام)
٤- السلطان محمود
٥- السلطان بركياروق
٦- السلطان محمد
٧- السلطان سنجر
٨- السلطان محمود الثانى
١٠- السلطان طغرل الثانى
١١- السلطان مسعود
١٤- السلطان سليمان
٩- السلطان داوود
١٢- ملكشاه الثانى
١٥- السلطان محمد الثانى
١٥- السلطان أرسلان
١٦- السلطان طغرل الثالث

سلاجقة كرمان

سلسلة النسب القاوردية (القاورتية)

١- قاورد بن چغرى بن ميكائيل بن سلجوق (قره أرسلان)

أمير شاه | ٤- تورانشاه | ٢- كرمانشاه | عمرو | ٣- سلطانشاه | مرادنشاه | حسين

٤- تورانشاه ← ٥- ايرانشاه

٢- كرمانشاه ← ٦- أرسلانشاه

٦- أرسلانشاه ← كرمانشاه | ٧- محمد | سلجوقشاه

٧- محمد ← ٨- طغرلشاه | محمود شاه

٨- طغرلشاه ← ١٠- أرسلان (من جارية) | ١٢- تورانشاه (أمه الخاتون ركنى) | ٩- بهرامشاه (أمه الخاتون ركنى) | تركانشاه (من جارية)

٩- بهرامشاه ← ١١- محمد شاه

١٣- ثم تولى محمد شاه ثانية بعد عمه تورانشاه

ونهاية ملوك السلاجقة

تقويم السنة الإيرانية وما يعادله من التقويم الميلادى

السنة الإيرانية سنة شمسية تحتوى على اثنى عشر شهراً ، الستة شهور الأولى تشتمل على إحدى وثلاثين يومًا والخمسة التالية تشتمل على ثلاثين يومًا والشهر الأخير تسعة وعشرين يومًا إذا كانت السنة بسيطة وأما إذا كانت كبيسة جعلوه ثلاثين يومًا.

تبدأ السنة الإيرانية فى عيد النوروز الذى يوافق الاعتدال الربيعى أى يوم ٢١ مارس:

وأشهر السنة الفارسية هى:

١- فروردين (٣١يوما) أول يوم منه هو عيد النوروز ويقابل يوم ٢١ مارس من السنة الميلادية ويقابل هذا الشهر مارس وأبريل.

٢- أردى بهشت (٣١ يوما) يقابل الشهور الأفرنجية أبريل ومايو.

٣- خورداد (٣١يوما) " " " مايو ويونية.

٤- تير (٣١ يوما) " " " يونية ويولية.

٥- مرداد (٣١يوما) " " " يولية وأغسطس .

٦- شهريور (٣١يوما) " " " أغسطس وسبتمبر.

٧- مهر (٣٠ يوما) " " " سبتمبر وأكتوبر.

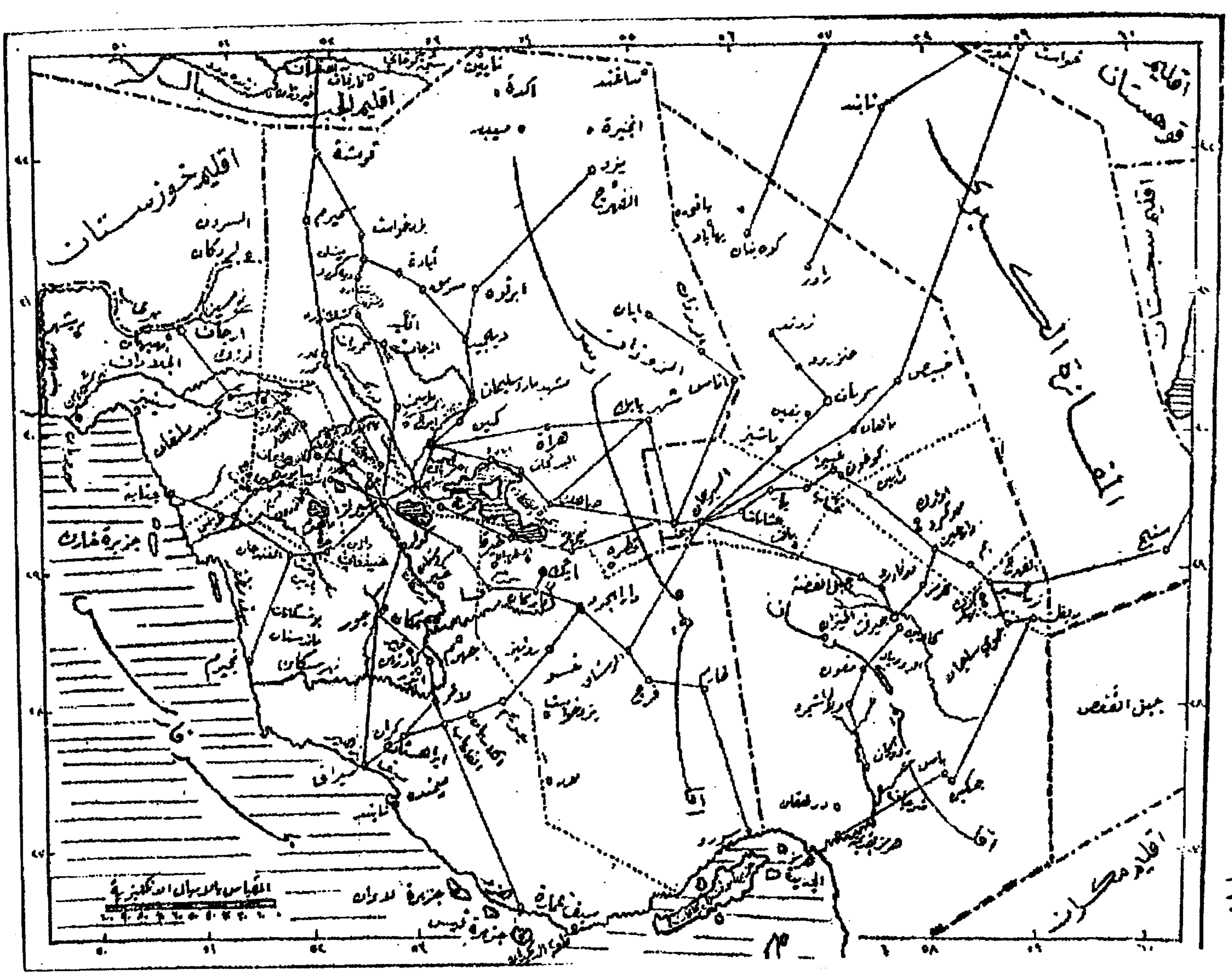
٨- آبان (٣٠ يوما) " " " أكتوبر ونوفمبر .

٩- آذر (٣٠ يوما) " " " نوفمبر وديسمبر .

١٠- دى (٣٠ يوما) " " " ديسمبر ويناير .

١١- بهمن (٣٠ يوما) " " " يناير وفبراير .

١٢- اسفندارمذ (٢٩ أو ٣٠ يوما) ويقابل الشهور الأفرنجية فبراير ومارس .



اقليم قوهستان
اقليم الجبال
اقليم خوزستان
اقليم سجستان
اقليم مكران
المفازة الكبرى
اكرة
ميبد
الجيرة
يزد
ابرقوه
سرمق
كرمان
كوبنان
زرند
سيرجان
هراة
كثه
جزيرة خارك
جزيرة لاوان
جزيرة قيس
سيراف
نابند
جبل القفص
ساغند
المقياس بالأميال الانكليزية

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية:

١- ابن الأثير (محمد بن عبد الكريم) ت ٦٣٠هـ)، والكامل فى التاريخ (عدة أجزاء) ، نشر دار الكتاب العربى، بيروت ١٤٠٣هـ.

٢- أدى شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة.

٣- الأصفهانى (محمد بن حامد) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ط الثانية ١٩٧٨م.

٤- أمنية عبد المطلب، رمز النار فى الشعر الإيرانى بين التراث والمعاصرة، رسالة دكتوراه من كلية الألسن جامعة عين شمس ١٩٩٦م.

٥- ثريا محمد على، الغوريون، القاهرة ١٩٩٣م.

٦- الحسينى (صدر الدين على بن ناصر) ، تحقيق محمد نور الدين ط أولى بيروت ١٤٠٥ / ١٩٨٥م.

٧- الحموى (ياقوت شهاب الدين) ، معجم البلدان- عدة أجزاء، طبع بيروت ١٤٠٤ / ١٩٨٤م .

٨- روز نثال (فرانز) ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح العلى ، بيروت ١٩٨٣م.

٩- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن) ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشر دار الكتاب العربى، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٠- العليانى (محمد بن صامل)، منهج كتابة التاريخ الإسلامى، الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١١- فتحى أبوسيف ، ظهور كتب الأقاليم والمدن كظاهرة منهجية فى المشرق الإسلامى، القاهرة ١٩٩٤م.

١٢- لسترنج (كى) ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، نشر بيروت طبعة ثانية، ١٩٨٥م.

١٣- محمد رجب النجار، الشطار والعيارين فى التراث العربى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٤٠١ / ١٩٨١م.

١٤- محمد عبد العظيم ، نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام، دكتوراة من آداب الزقازيق.

١٥- هنتس (فالتر) ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.

ثانيا : المصادر والمراجع الفارسية :

- إقبال (عباس) ، وزارات در عهد سلاطين بزرك سلجوقى، تهران ١٣٣٨ .
- أنورى (حسن) ، اصطلاحات ديوانى دورة غزنوى وسلجوقى، تهران ٢٥٣٥ ش.
- باريزى (محمد ابراهيم باستانى) ، وادى هفت واد، جلد نخست ، تهران ، ٢٥٣٥ ش.
- خانلرى (زهراى) فرهنك أدبيات إيران، تهران ١٣٤٨ .
- دهخدا ، لغت نامة ، تهران ١٣٣٨ هـ. ش.
- الكرمانى (أفضل الدين) ، عقد العلى للموقف الأعلى ، تحقيق على محمد عامرى نائينى، تقديم باستانى باريزى ، تهران ٢٥٣٦ش.
- منشى (يرى إيران) ، عرفاى كرمان، تهران ١٣٧٢ .

الفهرس

صفحة

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٤٠٩٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 038 - 9

دار روتابرينت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق